الوهابية السياسية

عقيدة الغزو والغنائم والإمامة المتوهمة



أمجد الجار الله

الوهابية السياسية

عقيدة الغزو والغنائم والإمامة المتوهمة

الطبعة١ الأولى

٢٠٢١

أمجد الجارالله

Amjad Aljarallah, 2021

Aljarallah, Amjad

Alwhabiyah alsiasiyah/ aqidat algzo waalgnaaeim wal-amamah almotawahhamh.

202p, 17X24cm

ISBN: 978-625-409-513-9

siyaset ve Devlet - siyasal ideolojiler - Suuidi Arabistan

ISBN: 978-625-409-513-9

ⓒ أمجد جارالله الجارالله، ٢٠٢١

الفهرسة أثناء النشر

الجارالله، أمجد

الوهابية السياسية/ عقيدة الغزو والغنائم والإمامة المتوهمة

٢٠٢ص، ١٧ × ٢٤سم

ردمك : ٩٧٨-٦٢٥-٤٠٩-٥١٣-٩

الدولة والسياسية - أيديولوجيات سياسية - السعودية

ردمك : ٩٧٨-٦٢٥-٤٠٩-٥١٣-٩

مقدمة

شهدت بلادنا في السنوات القليلة الماضية، أحداثاً صادمة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وأصبحت بلادنا نتيجة لتلك الأحداث خبراً أولاً في وسائل الإعلام العالمية لمرات متعددة، منذ أن تولّى السلطة في بلادنا الملك الحالي سلمان.

يبرز من بين تلك الأحداث، اغتيال الصحفي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده في إسطنبول، وقتل المفكر الإصلاحي عبدالله الحامد بالإهمال الطبي في السجن، وقتل المواطن عبدالرحيم الحويطي في قرية الخريبة لرفضه التهجير من بيته، وحملات الاعتقال التي طالت الأمراء ورجال الأعمال والمعارضين السياسيين ونشطاء المجتمع المدني، وحملة التطهير العرقي في الحجاز، وظاهرة هجرة المعارضين إلى الخارج، التي تصاعدت بشدة خلال السنوات القليلة الماضية.

ومع الإقرار الكامل بأهمية ودلالة كل تلك الأحداث على عمق أزمة السلطة التي تعيشها بلادنا، إلا أنَّني لن أقدم في هذا الكتاب عرضاً لها ومناقشة لتبريرات السلطة والرَّد عليها، لأنَّني من الجيل الذي شهد جولات متعاقبة من أزمة السلطة في بلادنا، ويتحمل مسؤولية التدبُّر والتحليل بحثاً عن أسباب أزمة السلطة التي تعصف أعاصيرها ببلادنا مرة تلو الأخرى، ومسؤولية التدبر والتفكر بحثاً عن الحلول والمعالجات الفكرية، استناداً للفهم العميق بطبيعة الأزمة ومنشأها، وأفضل الممارسات العالمية للموازنة بين ضرورة وجود سلطة الدولة، ووجوب تقييدها منعاً لتكرار حالات توحُّشِ السلطة، التي شهدتها المجتمعات الإنسانية على مر الزمان.

في هذا السياق من السعي لفهم أزمة السلطة في بلادنا، صدرت في العام ٢٠٠٠ روايتي الأولى "مشروعية حلم" وكنت كما يظهر من عنوان الرواية أتحدث عن حلم. وقد أفصحت عن ذاك الحلم/الأمل، في الصفحة الأخيرة من الرواية بشكل

واضح لا لبس فيه، بأن جعلت ضاري يوصي ابنه على هذا النحو:

(... ومتى حدث ذلك، فأكملوا البناء. وسلاحكم لذلك، الوعي والإرادة الصلبة الصادقة. فإن لم تفعلوا، عانيتم الأمرين، وخلفتم لأبنائكم مجتمعاً معاقاً، متوقفاً عن النمو عند لحظة ميلاده. فإذا ما استبد بكم الوهن، وفقدتم الإيمان بإمكانية النجاح، فتعالوا إلى هنا، وتذكروا أن الذئاب ظلت تعوي في هذه الديار لمئات السنين، عندما كانت هذه المدن التي تراها اليوم، مجرد حلم. ولكنه تحقق بفضل الله تعالى ثم بإرادة الرجال المخلصين) ثم ختم نصيحته لابنه، ويختم الرواية كلها بهذه العبارات (وعندما يخدرك هواء أجهزة التكييف البارد، وتأخذك غفوة، فلتحلم يابني بمجتمع سليم معافى. وأيقن أن إنجاز ما تحقق، يهب للحلم مشروعيته). ومثلما هو ظاهر في هذا النص، فقد تحدثت عن إعاقة أوقفت المجتمع عن النمو عند لحظة ولادته. تحدثت عن مجتمع عالق في عملية تحول اجتماعي من البداوة إلى المدنية. وعن حلم بمجتمع سليم معافى.

في تلك الرواية كنت أريد أن ألفت انتباه القارئ، إلى أن المجتمع السعودي مجتمع معاق، فلا هو مجتمع بقي على بداوته التي ألِفَها واتَّخذتها غالبية السكان نمط حياة لقرون طويلة، ولا هو الذي تخلى عن بداوته وأكمل تحوله نحو الحياة المدنية، بما فيها من استقرار ومهن وصناعات تتطلب معتقدات وأفكار تناسبها، وأدوات وآلات ووسائل ووسائط تسهل الحياة وترفع جودتها، في حياة المدينة. ولكني لم أتحدث آنذاك عن سبب إعاقة المجتمع، لأني كنت في داخل البلد وممنوع من السفر منعاً امتد لأكثر من عشر سنوات، ولأن الرقيب الإعلامي ما كان ليسمح بنشر الرواية، لو كان فيها أي ذكر للحكام، أو تلميحاً لكونهم سبب إعاقة المجتمع. أما الدكتور عبدالله الحامد رحمه الله فقد تحدث في مقالاته التي جمعها بكتاب "ثلاثية المجتمع المدني"الذي صدر سنة ٢٠٠٤ عن إعاقة المجتمع، وكان يصف تجمعات المجتمع المدني كحلٍ وعلاجٍ للإعاقة التي تشلُّ مجتمعنا.

كان الدكتور الحامد يتحدث بكتاب "ثلاثية المجتمع المدني"عن دولة ومجتمع وتجمعات مجتمع مدني. وكان يرى أن عندنا دولة، ولكنها مستبدة. وعندنا مجتمع ولكنه معاق، وليس عندنا تجمعات مجتمع مدني، لأن الدولة تمنع قيام تلك التجمعات. وهذه هي الإعاقة بحسب رأيه، وعلاجها فيما يقول، أن تصطنع الدولة تجمعات المجتمعٍ المدني (والأمل معقود على نوعين من النخب، النخب الثقافية التي تملك قدراً كبيرا من الحماسة والتضحية... النوع الثاني من النخب هم الصفوة السياسية، من الحكام الذين يتمتعون ببعد نظر استراتيجي، فيسبقون الأمة ويتقدمون عليها، ويبادرون ببناء تجمعات المجتمع الأهلي المدني، وقد يصطنعون ذلك اصطناعاً، في ممارسة لا تعد طبيعية، ولكنها تطبيعية تترسخ عبر مرور الزمن). ص ٧٣

لا شك أنَّ مجتمعنا مجتمع معاق، ولكن الحامد أخطأ بتشخيص الإعاقة، وهذا يؤدي بداهة للخطأ بوصف العلاج، وللأسف فقد دفع عبدالله الحامد حياته ثمناً لهذا الخطأ بفهم عمق الأزمة السياسية في بلادنا وأسبابها الحقيقية. لقد تعلق الحامد بأمل أن تصطنع "النخب الحاكمة" تجمعات المجتمع المدني، وكان يعتقد أنَّ ذلك سيؤدي بمرور الزمن، لتحوِّل هذه التجمعات المصطنعة إلى واقع طبيعي. إلاَّ أن عبدالله بن عبدالعزيز كان قد استجاب لدعوة عبدالله الحامد بقدر ضئيل للغاية، فأمر بإحياء المجالس البلدية. وأنشأ مؤسسة خاصة للحوار الوطني، وجعل اختيار رؤساء المؤسسات الصحفية بالانتخاب بدلاً من التعيين، وسمح بإنشاء رابطة أو جمعية لسكان العقار الواحد، تتولى إدارة الشؤون المشتركة للسكان، بل إنه أنشأ هيئة البيعة، التي يدخل في اختصاصها انتخاب ولي العهد بالتَّصويت، فما الذي حدث بعد موت عبدالله؟

ألغى سلمان كل ما قدمه عبدالله للمجتمع المدني، وكان فيصل قد فعل مثل ما فعل سلمان، فيما يتعلق بالحريات التي منحها سعود للمجتمع المدني، وإن كانت محدودةً أصلاً. كذلك يجب أن ننبه القارئ أن "النخب الحاكمة"التي كان الحامد يطالبها باصطناع مؤسسات مجتمع مدني، كانت قد اصطنعت منظمات

مجتمع مدني، وعلى نطاق واسع خلال العقود الخمس الماضية، فأنشأت منظمات عديدة ودعمتها برؤوس أموال ضخمة، كالغرف التجارية، وجمعية الهلال الأحمر السعودي، وجمعية الكشافة، وجمعية حقوق الإنسان الأهلية، ومؤسسة "موهبة"التي أنشأت برأسمال تجاوز٢٥٠ مليون ريال، لاكتشاف ورعاية الموهوبين إلاّ أنَّ "النخب الحاكمة" التي اصطنعت تلك المنظمات، تمسكت بتعيين رؤساء تلك المنظمات وتتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر، باتخاذ القرار فيها. وهذا يُظهِر أن الحلَّ الذي اقترحه الحامد لم يكن صحيحاً، لأنَّه حلٌّ مجرب وثبت عملياً أنَّه لن يؤدي لتطبيع منظمات المجتمع المدني المصطنعة. وهو اقترح غير صحيح أيضاً، لأنَّه مبني على افتراض أن عندنا دولة، واستمرارية للسلطة. في حين أن الوهابيين ذاتهم لايقرُّونَ بذلك، ولايعترفون بوجود شعب ومجتمع، وكل ما يدور فكرهم السياسي حوله، هو السلطة، الشركاء بالسلطة، الأعداء، الحرب، الغنائم.

في هذه الدراسة، أنا أبحث عن فهم صحيح لبنية النظام الملكي الحاكم، ومفهوم السلطة والدولة عند الوهابيين الذين يحكمون بلادنا، وأسعى لفهم معتقداتهم الفكرية والسياسية، والأسباب التي جعلتهم يعيدون إحياء أسوأ صور السلطة المطلقة التي عرفتها البشرية، في الإمبراطوريات الفرعونية والرومانية وغيرها، وأقدِّمُ في هذا الكتاب مراجعة تاريخية، تُبَيِّنُ أنَّ مايحدث الآن من استبداد بالسلطة واحتكار للثروة، هو الأصل في الممارسة السياسية للنظام الملكي الحاكم، لأنَّها ممارسة ترتبط ببنية النظام وعقيدته السياسية، ونابعة منها.

وقد أثبت هذه الدراسة أن أزمة الوطن، أزمةً عميقةً من الاستبداد بالسلطة، واحتكار للثروة، وهو ما يعني بالضرورة أنَّ الفيدرالية هي الحل الوحيد، وليست خياراً من ضمن خيارات أخرى. إلا أنَّه ومن أجل إفساح المجال للتوسُّعِ في شرحِ أبعاد وعمق أزمة السلطة في بلادنا، وتحليل أسبابها التي تستوجب حلاً جذرياً بعيداً عن الإصلاحات السطحية، فلن يتم شرح مزايا أو عيوب نظام الحكم الفيدرالي، أو مقارنته بِنُظُمِ الحكم الأخرى.

ونظراً لأن تحليل بنية النظام، ومعتقداته السياسية تتطلب استعراضاً لأحداث

التاريخ ووقائعه، التي جرت خلال فترة زمنية طويلة تمتد من ١٧٤٤م إلى اليوم، فقد رأيت أن أُخصِّصَ الفصل الأول كاملاً، لعرض صور من الممارسة السياسية عند الوهابيين المعاصرين، للفت انتباه القارئ إلى أننا نستعيد أحداث التَّاريخ في الفصل الثاني، بحثاً عن جذور أزمة سلطة قائمة في الزمن الحاضر، وهو ما كشف لنا أنَّ مفهوم السلطة والدولة عند الوهابيين الإماميين تحديداً، لم يطرأ عليه أيُّ تغير بعد ثلاثة قرون من نشأة السلطة الوهابية، ففي الماضي كانوا يقتلون الناس بحجة نشر الدعوة الدينية ومحاربة الشرك، ويسلبون أموال الناس باسم غنائم الحرب، وما زالوا حتى اليوم يقتلون الناس ويعتقلونهم ويسلبون أموالهم، ولكن تحت شعار محاربة الإرهاب ومحاربة الفساد، ومعالجة العجز في إيرادات الدولة، وهو ما يوضح أنَّ الاستبداد بالسلطة واحتكار الثروة، حالة مرتبطة ببنية النظام وعقيدته السياسية، ولا شيء قد تغير على مدى القرون الثلاثة الماضية، سوى الشعارات والدعايات السياسية المضللة.

أمَّا الفصل الثاني فإنه مخصص لشرح المراحل والأطوار التي مرت بها السلطة الوهابية، قبل أن تتحول إلى دولة عام ١٩٢٦، ويغطِّي هذا الفصل حقبةً زمنيةً تمتدُّ من عام١٧٤٤م إلى سنة ١٩٢٦م، وهي الفترة التي كان فيها للوهابيين من آل سعود وآل الشيخ وشركاؤهم وحلفاؤهم المحليين، سلطة على فترات متقطِّعةٍ، دون أن يكون لهم فيهادولة، وأرجو أن أكون قدقدمت البيناتِ الكافية على أنَّ ذلك هو الصحيح، فلم يكن للوهابيين من قبل دولة، سوى دولتهم القائمة حالياً، والتي ظهرت على أرض الواقع سنة ١٩٢٦، بعد أن كانت سلطة محلية تابعة للدولة العثمانية، ثم وضعها عبدالعزيز بموجب معاهدة العقير، تحت الوصاية البريطانية منذ عام ١٩١٥، وسيلاحظ القارئ في الفصل الثالث، كيف أنَّ الدعاية السياسية المضللة التي تقول إنَّ الوهابيين كان لهم دولة أولى ودولة ثانية، أو هذا الجهل بالفرق بين السلطة والدولة، قد تجذر في العقل الجمعي للوهابيين، حتى صار عدم التمييز بين الدولة والسلطة، هو الأصل والممارسة الطبيعية عند الوهابيين

وأتباعهم.

وفيٍ الفصل الثاني نريد أن نبيِّن أيضاً وبوجه خاص، أنَّ دولة الوهابيين القائمة حالياً، التي وجدت في الواقع، وظهرت في المجتمع الدولي وتم الاعتراف بها من دول كثيرة في عام ١٩٢٦، وكان اسمها مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، وكانت دولة فيدرالية تضمّ أربعة ولايات أو أقاليم هي نجد، ملحقات نجد، مملكة الحجاز، وإمارة الأدارسة في عسير.

أما الفصل الثالث، فنبين فيه أن الحكام المعاصرون من آل سعود ينقسمون كأسلافهم، إلى وهابيين إماميين ووهابيين وطنيين. حيث أن الوهابية "الوطنية"، هي جماعة من الوهابيين يعتقد أفرادها أنَّ الحاكم السعودي رئيس لدولة وطنية، والوهابية "الإمامية"هم جماعة يعتقدون أنَّ الملك السعودي "إمام"للمسلمين عامة، وأن "الدولة الوطنية"واقع فرضته وقائع وأحداث المجتمع الدوليٍ، بعد نشوء عصبة الأمم المتحدة، ثم الأمم المتحدة فيما بعد، ولكنه لا يغير شيئًا ـ حسب اعتقادهم ـ في الصفة العالمية لإمامة الملك السعودي، وسُلطاتِهِ المطلقة، وبعبارة أخرى، فإن انقسام الوهابيين على هذا النحو، يُظهرُ أنّ أزمة السلطة عند الوهابيين في جوهرها، أزمة هوية ظهرت عند الوهابيين بعد الحملة المصرية التي قادها إبراهيم باشا، وقضت على السلطة الوهابية في الدرعية سنة ١٨١٨. ومن هذا المنطلق فقط، يمكن فهم سعي الوهابيين الإماميين الدائم لشن الحروب، وتغيير أنظمة الحكم في الدول العربية والإسلامية، التي تسعى للاستقلال بقرارها السياسي وإرادتها الوطنية عن النفوذ والهيمنة الوهابية، ولهذا السبب نجد أنَّ عداء الوهابيين الإماميين للعراق وقطر وسوريا ومصر وتركيا وإيران وماليزيا، دائم مهما تغيرت الحكومات في تلك الدول، وأشد وأشرس من عدائهم لأي عدو آخر، وقد يتوارى هذا العداء لبعض الوقت أحياناً، بسبب وجود ملك من الوهابية الوطنية في بلدنا، أو وجود حكومة موالية للوهابيين في تلك الدول. ومن أجل إعطاء القارئ فرصة لقراءة وفهم متن النص الذي يقرأه، دون تشتيت انتباهه بكثرة الإحالات والاقتباسات من المراجع المختلفة، فقد رأيت أن أجعل لكل فصل ملحق، أعرض

فيه بعض المواد المنشورة في مصادر متعددة حول موضوعات الفصل، وجعلت خاتمة الكتاب سرداً لبعض أهم مستخلصات الدراسة، يليها قائمة المراجع وفهرس الموضوعات.

لقد اعتمدت على الكثير من المراجع لإنجاز هذه الدراسة، إلاَّ أنني ألزمت نفسي بالاعتماد فقط على كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، بشأن أحداث الفصل الثاني المتعلقة بظهور الدعوة الوهابية، وما مرت به من أحداث، وسبب هذا الموقف، هو أن الوهابيين لا يعترفون بالصدق والأمانة في رواية تاريخ أسلافهم، إلا لابن بشر دون سواه، وقد وجدت نسخ وطبعات متعددة من هذا الكتاب، وتختلف عن بعضها باختلافات مهمة، ولذلك اعتمدت فقط على نسخة من الطبعة الرابعة الصادرة عن دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٩٨٢، التي تولى تحقيقها والتعليق عليها أحد أحفاد محمد عبدالوهاب، وهو عبدالرحمن عبداللطيف عبدالله آل الشيخ، فيمكن لذلك أن يطمئن القارئ تماماً، إلى أن أحداث تاريخ الوهابيين في الفصل الثاني بوجه خاص، ليس للوهابيين من سبيل للطعن أو التشكيك فيها، لأنَّ مصدر هذه الرواية كتابٌ ألَّفهُ أحدهم، وحققهُ وعلَّقَ عليه أحدهم، من أحفاد شيخهم، وهم الذين طبعوه، وهم الذين نشروه.

ولاشك أن كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر، مفيد جداً لفهم العقيدة السياسية للوهابيين، لأنه يظهر بما لا يدع مجالا للشك أن الوهابيين الإماميين بوجه خاص، قتلة لا يعترفون بحرمة أرواح ودماء وأعراض وأموال المسلمين، وهذا يبين سبب انتشار الجرائم على اختلاف أنواعها في المجتمع، عندما يصل لأعلى هرم السلطة في بلادنا أحد الوهابيين الإماميين. ذلك إنَّ نَشرَ القتلِ والخطف والاغتصاب والسلب والنهب وتعاطي المخدرات والمتاجرة بها، وغير ذلك من الجرائم، سياسةٌ منهجيَّةٌ يمارسها الوهابيون الإماميين، لإرهاب وتدمير المجتمع وإذلال الناس فيه، وقد أوضحت في مستخلصات هذه الدراسة، كيف عارض الوهابيون الإماميين، إسقاط السوابق الجنائية عن المحكوم عليهم بعد مضي مدة محددة، وكيف تحايلوا على الأمر الملكي لعدم تطبيقه.

الفصل الأول

صور من ممارسة الوهابيين للسلطة

١- التمييز العرقي وخلط الأنساب.

يقول حمد الجاسر في كتابه (في شمال غرب الجزيرة) عن وادي السرحان (يحسن إيراد كلمة قصيرة حول اسم هذا المنخفض الواسع الذي يطلق عليه (قريات الملح) و(وادي السرحان) وهما مسميان لمسمى واحد، وقد يطلق اسم القريات على شمال الوادي الذي تقع فيه القريات، فيكون اسم الوادي أعم) ص ٤٠

هنا نجده يقول إن قريات الملح، القريات، وادي السرحان، مسميات لمسمى واحد، وهذا تزوير وتظليل للقارئ، لأن الصحيح هو أن "قريات الملح"هو الاسم الذي كان يستخدم في الخرائط والمكاتبات الرسمية، للإشارة إلى قرية كاف وعدد من القرى الأصغر حجماً المجاورة لها، وهي قرى صغيرة جداً؛ تبعد عن مدينة القريات المعروفة حاليا ٢٠ كم تقريباً باتجاه الشمال الشرقي، أما "وادي السرحان" فاسم يطلق على وادٍ ضخمٍ بحجمه، لدرجة أن بعض الباحثين يرجحون أن هذا الوادي كان بحراً مالحاً في الأزمنة القديمة؛ وهو يمتد من الأزرق في الأردن باتجاه الجنوب الشرقي إلى سهل "بسيطا". ووادي السرحان هو المعلم الجغرافي الأبرز الذي يظهر على خرائط قوقل، في شمال الجزيرة العربية، شمال غرب النفوذ، لأن طوله يزيد عن ٢٠٠ كيلومتر، ولون أرضه يختلف عن لون الأرض على جانبيه، أما عن تبعية هذا الوادي لبلاد نجد فيقول الجاسر ما يلي:

(كان وادي السرحان خاضعا لنفوذ أمراء الرولة آل شعلان، بعد ضعف الإمارة الرشيدية، ولما استولى الإمام عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على حائل سنة ١٣٤١ هـ. خضعت الجوف والقريات ـ وادي السرحان ـ لحكم جلالته).

نلاحظ هنا أنه عندما سقطت حائل بيد الوهابيين، كان الوادي خاضعا لحكم آل شعلان وهم مستقلون عن إمارة حائل، كما يذكر الجاسر نفسه، وبالتالي فإنَّ سقوط حائل لا ينتج عنه خضوع الجوف ووادي السرحان للوهابيين، فهذا كذب

وتزوير والصحيح هو أن الجوف دخلت في أراضي الوهابيين نتيجة معاهدة بين عبدالعزيز وأعيان الجوف، أما وادي السرحان فدخلت أجزاء كبيرة منه في أراضي الوهابيين، بموجب معاهدة حداء ١٩٢٥ بين نجد، وبريطانيا بوصفها سلطة الانتداب على شرق الأردن آنذاك. في حين أن احتلال الوهابيين لحائل في التاريخ الذي ذكره الجاسر، ويقابله بالتاريخ الميلادي ١٩٢٠. (أنظر المجلد الثاني من تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد ص٢٧٨) ،

ويكشف الجاسر عن هدفه من هذا التزوير، عند الحديث عن قبائل المنطقة، فنجده يقول إن قبيلة الشرارات هي سيدة وادي السرحان، ويسوق الأدلة على أن هذه القبيلة ذات نسب صريح عريق، وكان لها دولة "حتى وقت قريب" في وادي السرحان؛ قبل أن تضعف وتستقوي عليها القبائل الأخرى، التي جاءت إلى الوادي من مناطق أخرى مجاورة؛ ثُمَّ يبين للقارئ في مكان آخر، أن تلك "الدولة المزعومة" التي كانت موجودة "حتى عهد قريب"حسب زعمه، زالت قبل ألف سنة تقريبا.

وهكذا يتبين للقارئ أن الجاسر قام بهذه الرحلة إلى وادي السرحان، من أجل نشر كذبة تقول (إنَّ قبيلة الشرارات قبيلة ذات نسب صريحٍ عريق، وأنّ المنطقة الواقعة بين الجوف وعرعر شرقاً، والحدود الأردنية شمالاً وجنوباً وغرباً، هي لقبيلة الشرارات. فما المهم في ذلك؟!!

وهل يستحق إثبات ذلك، كل هذا الكذب والتزوير ؟!

الجواب يتضح من ملاحظة وجود ذكر لجماعة من الدروز سكنت في سهل "النبك" قبل أن تنتقل تبعيته إلى نجد؛ فنحن نعرف أن "الدروز" كفرة عند الوهابيين وليس لهم غير القتل، إلاَّ أنّ الجاسر يثني عليهم ويصفهم بالمجاهدين والأبطال المناضلين الأحرار، ويشير إلى أنَّهم كانوا في ضيافة عبدالعزيز وإخوتهم "عريقي النسب"وهو هنا يشير إلى الشرارات، ونحن نعرف أنَّ عبدالعزيز

ليس له علاقة بسكن الدروز في الوادي آنذاك، لأن المنطقة التي سكنوا فيها لم تكن تابعةً لنجد آنذاك أصلاً وفوق هذا وذاك فإنّ ما استشهد به من كلام خير الدين زركلي يكذِّبُ ما يقوله هو.

يقتبس الجاسر ما يزيد عن ١٧ صفحة من كتاب رحلات في بلادنا لخيرالدين زركلي، وفيها يصف الزركلي رحلة قام بها من القاهرة إلى النبك عبر فلسطين والأردن، لإيصال مساعدات مالية كان سلطان باشا الأطرش قد طلبها من أجل شراء خيام. فأين هو كرم الضيافة الذي يتحدث عنه الجاسر، إن كانوا قد تركوا أمراء "الدروز"وهم قادة وأبطال النضال ضد المستعمر ـ كما يقول الجاسر نفسه ـ في العراء، ولم يقدموا لهم الخيام التي تؤويهم وتأوي نسائهم وأطفالهم، والأغطية التي تقيهم شدة البرد؟!!

وعن سبب هذه الرحلة يقول الزركلي (أما سبب الرحلة فكان أن المجاهدين من بني معروف وبعض السوريين، لما اضطروا إلى الانسحاب من وجه سبعين ألف جندي افرنسي ومسترزق، بعد قتالهم زهاء عامين، لجئوا إلى"الأزرق" من أرض شرقي الأردن. وما لبثوا أن طلبت منهم السلطات الأردنية الرحيل، فعبروا الحدود إلى الأراضي السعودية، وأناخوا في وادي السرحان، بنبك قريات الملح. وانقضى الصيف. وقبل حلول الشتاء، أدركوا حاجتهم إلى المزيد من الخيام والأغطية في الليل، فكتبوا إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري، في القاهرة ـ وذلك قبل انشقاق اللجنة ـ وقررت إسعافهم.... وقد أتعبني حمل الذهب، بما عرض لنا في الطريق من مزعجات. وزال تعبي، حين رأيت لجنة من المجاهدين، يوزع عليهم المبلغ، ليقوم كل منهم بالاتفاق مع من يشاء على إصلاح خيمتهم أو شراء خيمة من الصوف وفرشها بما يمكن أن يرد عنهم عادية البرد في الصحراء). سأعود بعد قليل لتوضيح ما إذا كانت النبك تابعة إلى نجد أو شرقي الأردن التي تحدث عنها الزركلي، بعد الانتهاء من الرد على ادِّعاءِ الجاسر بأنَّ بلاد عبدالعزيز كانت مضيافة، وموئلاً لأحرار العرب، فها هو الزركلي يثبت أن المناضلين

السوريين الذين أقاموا في "النبك" آنذاك، لم يوفر لهم أحدٌ الخيام والفرش الأساسي للوقاية من البرد القارص، حتى اضطَّروا لطلب المساعدة من رفاقهم في الثورة الموجودين بالقاهرة، وليس هذا فحسب، بل إنَّ الزركلي بعد أن عاد إلى القاهرة، بعث قصيدة إلى رفاقه المناضلين الموجودين بالنبك، فرد عليه الأمير عادل أرسلان بقصيدة يشكو فيها بمرارة مما يلاقونه من سوء المعاملة من أبناء هذه الديار، وهي قصيدة طويلة أنقل الأبيات الأخيرة منها فقط.

أرى أفقا لا يدرك العقل حده   تقادم فيه بالمقام الجديدان

وأمة أعراب أضاع دماءها   تصادم أطماع هناك وتيجان

وقفر تموت الطير دون اجتيازه   إذاجئته من (حائل) نحو (حوران)

إذاعصفت فيه الرياح حسبته   يقاتل فيه الأنس جيش من الجان

عجائبه شتى وأعجب ما به   إذاما التقى الإنسان فيه بإنسان

سراب يضل الفكر بعد اهتدائه   ويغرق فيه الناظران بغدران

فإن تدن منه واجف القلب تلقه   كأحلامنا يوم اجتمعنا بعمان

ودنيا على أرض من العدل عاطل   عليها سماء قد تحلت بميزان

أكاد وقد عاشرت عمري أهلها   أخاف على المريخ يبلى بسكان

كتمت عن الخلان مما بلوته   أمور يذوب القلب منها بإعلان

فلا تعجلاني بارك الله فيكما   سأسمعها قومي إن الله أحياني

هذه هي الضيافة التي يتحدث عنها حمد الجاسر "أمور يذوب القلب منها

بإعلان"، أما مسألة الحدود، ولمن كانت تتبع تلك الأرض عندما أقام فيها الدروز، فقد أشار الأمير عادل بهذه القصيدة إلى ما شهدته من صراع بقوله:

وأمة أعراب أضاع دماءها   تصادم أطماع هناك وتيجان

ذلك أن كاف والقرى المحيطة بها التي تشكل ما كان يعرف بقريات الملح، كانت قد دخلت أراضي نجد بموجب معاهدة "١٩٢٥" إلا أن الصراع بين الوهابيين والهاشميين على حدود نجد وشرقي الأردن استمرَّ إلى عام "١٩٦٧"، حيث تم التعديل الأخير للحدود، فأصبحت حدود المملكتين الوهابية والهاشمية على ما هي عليه الآن بعد عام ١٩٦٧. ولفهم السبب الذي دفع الجاسر أن يتحدث مطولا عن الدروز، وإقامتهم في وادي السرحان "بضيافة عبدالعزيز" كما يقول، يجب أن يرى القارئ ما كان يقوله الجاسر في الصفحة ٤٣

(... وهذه البلاد لا يشك باحث بأنها من بلاد بني كلب. وأمر رابع فقبيلة بني كلب في القرن الرابع الهجري وما بعده أدركها الوهن والضعف، فهي قبل ذلك ناصر قسم منها القرامطة، فزالت دولتهم وضعفت وتهدم كيانهم، فقويت عليهم قبائل أخرى كانت تجاورهم ومنهم طيء وعنزة اللتان أصبحتا في استمرار من النشاط حتى تغلب بعض فروعهما على هذه الجهات، فانتشر فرع من طيء هم آل عمرو حيث استولوا على بلاد الجوف، وصار يعرف باسمهم (جوف آل عمرو) إلى عهد قريب من القرن السادس تقريبا حتى القرن الثالث عشر، حيث حل محل هؤلاء فرع من عنزة هي قبيلة الرولة، ولاشك أن بعض فروع الرولة يرجعون في الأصل إلى قبيلة كلب القحطانية، كما أن قبيلة الشرارات كغيرها من قبائل الجزيرة دخل فيها فروع من قبائل أخرى من طيء، ومن ذبيان من عطفان ومن عنزة وغيرها. ومن هنا يتضح أن الشرارات من القبائل العربية الصريحة النسب، وكانت إلى عهد قريب على درجة من القوة، غير أن ضعفها في الأزمنة القريبة وازدياد قوة القبائل المجاورة لها من الرولة وغيرهم جعل القبيلة تبدو بحالة من الضعف، حتى اعتبرها بعضهم في عداد القبائل المجهولة الأصل، وهذا خطأ وباطل).

هنا نرى الجاسر يجادل باستفاضة لإثبات أنَّ وادي السرحان أرض لقبيلة الشرارات، وأنَّ هذه القبيلة ذات نسب صريح عريق، ومن أجل أن نضع الصورة كاملة أمام القارئ، نقدم الآن للقارئ ما يقوله الباحث في قسم التاريخ بجامعة اليرموك الأردنية الدكتور خالد المقصقص، حول هذه الأمور في دراسته المنشورة بعنوان (تجنيس القبائل المتاخمة للحدود الأردنية السعودية ١٩٢١ـ١٩٣٣).

(... وقبل البحث في مشكلة التجنيس لابد من تحديد أهم القبائل التي كانت محل نزاع بين الحكومتين الأردنية والسعودية وهي : الحويطات وبني صخر والحجايا وبني عطيه والشرارات والرولة والعيسى والسرحان، كونها قبائل بدو رحل كانت تعبر مناطق البلدين بصورة اعتيادية...). ص٣٦٦.

وبعد أن يوضح المقصقص كيف تم معالجة وضع كل قبيلة، يقول تحت عنوان معايير تجنيس القبائل:

(... لكن الفريق فريدريك بيك باشا ..... كان له رأي مغاير، حيث رأى إمكانية تحديد تبعية القبائل وفروعها باستثناء قبيلتين يصعب تصنيفهما هما: الشرارات وبني عطية المستقرتين في ديرة الكرك. فالشرارات لم يكونوا بدوا حقيقيين، خاصة ما يتعلق بتنظيمهم القبلي من حيث اختلاطهم بالقبائل البدوية في شرق الأردن، فضلا عن نظرة القبائل الأردنية الدونية لهم التي كان يترتب عليها دفع الجزية لها، في حين كانت نظرة الجانب السعودي مغايرة الذي كان ينظر إليهم كقبيلة مشكلة حسب الأصول خاصة أن لهم تجمع كبير حول الجوف). ص٣٧٢.

ويضيف موضحاً (وبذلك يبدوا أن مسألة تجنيس القبائل كانت عرضة للنزاع والمساومات السياسية بين الطرفين، وأنه نزاع على الأرض والمناطق الإستراتيجية أكثر من كونه نزاع على تبعية السكان فابن سعود في إطارسياسته التوسعية ومن باب المناكفات السياسية طالب فجأة عام ١٩٣٢ بقبيلة السرحان التي تمضي

٩ أشهر من السنة غرب سكة حديد دمشق عمان. فسياسة ابن سعود التوسعية تقوم أولا على المطالبة بالقبيلة ثم يطالب بعد ذلك بأراضيها... وعليه طالب بالحويطات تمهيدا للمطالبة بأراضيهم وإلا فلن يستمروا بالرعي بسلام في وادي السرحان وجبل طبيق...). ص ٣٧٧.

ويتضح من هذه الدراسة الأكاديمية الهامة، أنَّ الوهابيّن كانوا يسعون لإثبات أن الشرارات قبيلة تابعة لهم بحجة وجود تجمع من الشرارات بالقرب من الجوف، وهذا يفسر لماذا يقول الجاسر أنَّ الجوف جزءٌ من ووادي السرحان، ولماذا يريد إثبات أن وادي السرحان هو أرض قبيلة الشرارات. ولهذا السبب بدأت الحكومة الوهابية تسعى جاهدة لجذب الشرارات من الأردن لتوطينهم على طول وادي السرحان، ولكن كيف يمكن إقناعهم بذلك، وهم من أبعد الناس عن المعتقدات الدينية الوهابية المتشددة؟!

لهذه الغاية ذهب الجاسر برحلته الى شمال غرب الجزيرة العربية، وليقدم للشرارات "مرجعاً" يستندون إليه للاستيطان في وادي السرحان، والقول أنَّهم قبيلة، وأنَّهم قبيلة صريحة النسب، وأنَّ وادي السرحان والجوف ملك خاص لهم، وأنَّهم ورَثُوهُ عن آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين، أمَّا نفور الشرارات من الشريعة الوهابية وخوفهم من أتباعها، فيُطمئِنُهم الجاسر بأنَّ الشريعة الوهابية لاتطبق في وادي السرحان، ويسوق لإثبات ذلك وتوضيحه، روايته المزورَّة بأنَّ الدروز وهم كفار حسب الشريعة الوهابية، كانوا قد لجئوا إلى هذه البلاد في وقت سابق ووجدوا "كل احترام وتقدير"، وقد تم للوهابيين ما أرادوه بتوطين الشرارات ومنحهم الأراضي الزراعية على طول وادي السرحان من الحديثة إلى الجوف. وضخ مليارات الريالات لهم كقروض عقارية وزراعية.

ثم نشرت مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية في العام ١٩٨٦ كتاب "الجوف . وادي النفاخ " الذي ألفه عبدالرحمن السديري، وهو الذي عمل أميراً لمنطقة الجوف لأكثر من ٤٠ عاما، وبين فيه جزء من واقع وتاريخ منطقة الجوف. ونجد

أن السديري في كتابه "الجوف" يعدد أحياء سكاكا ودومة الجندل، ويذكر القبائل والعائلات التي تسكن بكل حي، ويتبين من ذلك أنه حتى العام ١٩٨٦ لم يكن للشرارات تجمع واحد بداخل سكاكا أو دومة الجندل. بل إن السديري يذكر شيئاً مهماً عن توطين الشرارات في طبرجل التي تبعد عن القريات ما يقارب ١٥٠ كم في وسط وادي السرحان بين القريات ودومة الجندل.

فيقول:(وكان ذلك عندما تقدم إلينا الشيخ عاشق بن كاسب اللحاوي بمعروض، يطلب فيه منحه قطعة من الأرض تقع ضمن شعيب حدرج، من أجل التوطين بها وزراعتها. ولما كان الهدف، منذ البداية، هو تشجيع مثل هذه الخطوات، التي تسهم في توطين البادية بوادي السرحان، فقد قمنا بمنحه قطعة الأرض التي طلبها، من أجل تحقيق الغرض الذي سعى إليه، ولما عرفناه من حاجته إليها. وكان ذلك في الثالث من شهر صفر عام ١٣٧٦ هـ وقد كان لهذه البادرة أثر في تشجيعه، وغيره من كبار مشايخ الشرارات، على التوطين هناك، إلى أن أصبحت طبرجل الآن مدينة ذات أهمية زراعية وتجارية وتوطينية، نظرا لتوسطها وادي السرحان، وخصوبة تربتها، ووفرة مياهها. وكان من أوائل الذين استوطنوا تلك المنطقة، إضافة إلى الشيخ عاشق، شقيقه دحيلان بن كاسب اللحاوي، وسمير بن غاصب الأصوغ، ومقبول بن سويلم اللحاوي، ومجموعة أخرى من جماعتهم) ص٢٣٢.

ومادمنا نتكلم عن تزوير التاريخ، فلابد من أن نعرض ما قاله ابن بشر وهو من أكابر مؤرخي الوهابية المتقدمين، في كتابه الشهير "عنوان المجد في تاريخ نجد"عن قبيلة الشرارات وموطنهم في عهد عبدالعزيز محمد سعود، ليقارنها القارئ مع ما يقوله الجاسر وهو من أكبر مؤرخي الوهابية المتأخرين. وهذا ما قاله ابن بشر وهو يكتب عن أحداث العام ١٢١٢هـ:

(... وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم بجيش من أهل القصيم وغيرهم، وقصدوا أرض الشام. وأغاروا على عربان الشرارات فانهزموا فقتل منهم نحو مائة وعشرون رجلا. وأخذ جميع محلتهم وأمتاعهم وأزوادهم وأخذوا من الإبل

خمسة آلاف بعير وأغنام كثيرة. وعزلت الأخماس فأخذها عمال عبدالعزيز وقسم حجيلان باقيها في ذلك الجيش غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان).
عنوان المجد ص ٢٤٠

ها هو عبدالرحمن السديري ومن قبله ابن بشر، يثبتون عدم صحة ما يقوله الجاسر، ومازالت جريمة التغيير الديموغرافي التي مارستها الحكومة الوهابية ضد أبناء منطقة الجوف فيما مضى، مستمرة وتقترن الآن بجرائم تهميش وتحريض، وتنكيل تطال كل قبائل الجوف ووادي السرحان، باستثناءالشرارات الذين تفتح لهم الأسواق وأبواب الوظائف والجامعات، وقد أغرت هذه السياسة الوهابية الشريرة بعض أبناء الأجيال الجديدة من الشرارات للتهجم في المنتديات والحسابات الإلكترونية على غيرهم من أبناء القبائل، وترديد الادعاء الوهابي بأن كل القبائل المقيمة بالجوف ووادي السرحان دخلاء وغرباء عن هذه الأرض، لدرجة أنَّ أحدهم قام في السنوات القليلة الماضية بتأليف كتاب سماه "أدباء الجوف ومثقفيها "وذكر فيها عبدالرحمن السديري وشعراء الشرارات فقط، ويكفي معرفة أن ذاك الكتاب من إصدارات النادي الأدبي؛ لفهم أن هذه السياسية الوهابية من التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي مازالت مستمرة وبشكل علني.

كذلك لا يمكن تجاهل زيارة سلمان للمناطق الشمالية، حيث تم حشر الملك ومن معه في صالة استقبال صغيرة، ليستقبل الملك فيها أعيان المنطقة، وبدأت وسائل الإعلام تبث صوراً لما قالت أنَّهُ احتفال أهالي المنطقة بزيارة الملك، ولم يكن في تلك الصور سوى مشاهد من هجانة الشرارات على الجمال، وقد بعث أحد أبناء المنطقة برسالة شفوية إلى الحكومة تقول إنّ من وضع برنامج استقبال الملك، أراد الإساءة لأهل المنطقة بإظهار الشرارات وحدهم، ولكنَّهُ أساء من حيث لا يدري إلى الملك، لأنَّه ما هكذا يُستقبلُ الملوك في البلاد الأجنبية، فكيف يستقبل هكذا في بلده وعلى أرضه، وخلال أيام قلائل تم إعفاء أمير

المنطقة وهو شاب من أبناء خالد سلطان، وتم تعيينه نائبا لأمير منطقة مكة المكرمة.

٢ . اثنا عشر عاما من التحضير للاحتفال **!!**

يوجد الآن على موقع وكالة الأنباء الكويتية "كونا" ومواقع الكترونية أخرى، تفاصيل جيدة عن تفاصيل احتفالات الوهابيين بذكرى مئوية التوحيد/التأسيس. وسأعتمد على ما هو منشور على موقع "كونا" كمرجع أساسي، لكونه يقدم تفاصيل تكفي لتوضيح المسألة التي نحن بصدد الحديث عنها.

يقول موقع "كونا"تحت عنوان (السعودية تبدأ في الخامس من شوال المقبل احتفالاتها بالذكرى المئوية لتأسيسها) المنشور بتاريخ ١٠ /١/ ١٩٩٩ ما يلي:

(تبدأ المملكة العربية السعودية يوم الجمعة الخامس من شهر شوال المقبل الموافق ٢٢ يناير الحالي احتفالاتها بمرور مئة عام على تأسيسها وذلك تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد عبدالعزيز آل سعود. وقال مدير مكتب الإعلامي السعودي في الكويت محمد العمرو في تصريح لوكالة الأنباء الكويتية إن استعدادات المملكة تتواصل وفق البرنامج المعد لها حيث أعلن أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا واللجنة التحضيرية للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الأمير سلمان بن عبدالعزيز عن فعاليات الذكرى).

إلى هنا يظهر أننا في العام ١٩٩٩ أمام احتفالات وفعاليات رسمية، يتم تنظيمها بمناسبة مرور مائة عام على ما يوصف بأنه "تأسيس" المملكة، ولكننا نجد من ضمن الفعاليات مناورة عسكرية باسم "مئوية التوحيد" وذلك على النحو الآتي:

(وأفاد أن العرض العسكري سيوضح المرحلة التي وصل إليها الحرس الوطني حالياً تجهيزاً وتدريباً لإيضاح النقلة الكبيرة التي تحققت له كما سيقيم تمريناً تعبوياً ليلياً بالذخيرة الحية تحت مسمى // مئوية التوحيد//.). أمّا عن المناسبة التي

يحتفلون بمرور مائة عام عليها فهي دخول عبدالعزيز للرياض في العام ١٩٠٢ كما يقولون :

(وحول الخلفية التاريخية لهذه المناسبة قال العمرو إن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يرحمه الله تمكن في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩ هجرية الموافق ١٥ يناير ١٩٠٢ من استرداد عاصمة ملك آبائه وأجداده الرياض التي بدأ منها تأسيس المملكة ...).

وفيما يخص فكرة الاحتفالات بهذه المناسبة فيقول العمرو إن الفكرة تعود لعشر سنوات قبل ذلك (وذكر العمرو إن فكرة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة تعود إلى عشر سنوات مضت حين صدر الأمر السامي الكريم في ٣١/أكتوبر/١٩٨٩ بالموافقة على فكرة الاحتفال مشيراً إلى أنه تم تشكيل لجنة عليا ولجنة تحضيرية برئاسة أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبدالعزيز للإعدادلهذه المناسبة وتم تشكيل لجان القطاع الخاص واللجنة العلمية واللجنة التنظيمية ولجنة خاصة بالمؤتمر...).

فلاشك أبداً أن هذه فعاليات واحتفالات وطنية هامة للغاية. عشر سنوات من التحضير ولجنة عليا ولجنة تحضيرية ولجان متخصصة. ولاشك أنها احتفالات غير مسبوقة، حيث دامت فعالياتها لأربع سنوات متواصلة من ١٩٩٩ إلى٢٠٠٢. فلماذا إذاً نجد أنَّ اسم المناسبة التي يتم الاحتفال بمرور مئة عام عليها، غير متفق عليه، فتسمى (مئوية التأسيس) مرة، ومرةً أخرى نجدهم يسمونها (مئوية التوحيد)؟!

الجواب بسيط، وهو أنَّهم يعرفون أنَّهم كاذبون، فعبدالعزيز لم يؤسس شيئاً ولم يوحد شيئا بدخوله الرياض سنة ١٩٠٢. والصحيح هو أن أعمال تأسيس ما يعرف اليوم باسم "المملكة العربية السعودية"، قد بدأت فعليا بعد احتلال الوهابيين للحجاز، وتتلخص أعمال التأسيس في هذه الحالة، في المشاورات والاتصالات مع القوى الداخلية والخارجية لاختيار اسم البلاد ونظام حكمها، والسعي للحصول

على اعتراف المجتمع الدولي بالدولة الناشئة، ليس هذا فحسب، بل إنّه حدث بعد احتلال الحجاز خلاف حاد بين عبدالعزيز وجيشه، حول اسم البلاد ولقب رئيسها وصيغة نظام الحكم فيها، وبعد أن تمكن عبدالعزيز من القضاء على المقاومة المسلحة، تم إعلان توحيد البلاد في عام ١٩٣٢، وبناء على ذلك، فإن تأسيس المملكة العربية السعودية قد بدأ فعليا في عام ١٩٢٦ بعد احتلال الحجاز، أما إعلان توحيد البلاد باسمها المعروف حاليا، فقد كان قد تم في عام ١٩٣٢. فلماذا يكذبون ويحتفلون بمرور مئة عام على تأسيس وتوحيد المملكة في العام ٢٠٠٢ ، بدلا من الانتظار ٢٧ عام للاحتفال في العام ٢٠٢٦ بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، أو الانتظار ٣٠ عاما للاحتفال في العام ٢٠٣٢ بمرور مئة عام على توحيد المملكة ؟!

لفهم سبب هذا التزوير والكذب، يتوجب أن نلاحظ مايلي:

أ ـ سلمان بن عبدالعزيز الذي كان هو أمير الرياض ورئيس اللجنة العليا لتطوير الرياض، كان هو رئيس اللجنة العليا واللجنة التحضيرية للإعداد لتلك الاحتفالات.

ب ـ اللجنة العليا لتطوير الرياض كانت قد نفذت مشروعا لتطوير "منطقة قصر الحكم". فكان "مركز عبدالعزيز التاريخي" جاهز للافتتاح في العام ١٩٨٩.

جـ ـ ذكرت صحيفة الجزيرة في تغطيتها لفعاليات المؤتمر العلمي الذي أقيم ضمن برنامج الاحتفالات ما يأتي:

(.... وقد تم تنظيم برنامج زيارات للمشاركين، تمكنوا من خلاله من الاطلاع على مظاهر النهضة في المملكة العربية السعودية مشيدين بصفة خاصة بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي افتتح بهذه المناسبة).

وهكذا يتضح أنَّ سلمان كأمير للرياض، ورئيسا للجنة العليا لتطوير الرياض، كان قد نفذ مشروعاً لترميم قصر المصمك وتطوير المناطق المحيطة به،

وعندما انتهت أعمال التطوير تلك، أرادوا أن يجذبوا العلماء والباحثين ووسائل الإعلام العربية والعالمية من كل أنحاء العالم، لحضور احتفالهم بافتتاح مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، ولأن ذلك الحدث يعتبر حدث محلي صغير لا يستحق كل هذا الضجيج، وغالبا لن يلقى أي اهتمام داخلي أو خارجي، زعموا أنهم بدءوا في ذلك العام ١٩٨٩ بأعمال التحضير والاستعداد للاحتفال بمئوية التأسيس أو التوحيد التي ستحل بعد ١٢ سنة!!

أما سبب إدعائهم بأن دخول عبدالعزيز للرياض يمثل بداية التأسيس لإقامة المملكة الحالية، فهو أمر يتعلق بالغيرة المتأصلة عند الوهابيين تجاه جيرانهم الهاشميين في الغرب، فالأردن تأسس باسم إمارة شرق الأردن سنة ١٩٢١، واعترفت بريطانيا بإمارة شرق الأردن، إمارة مستقلة تحت الانتداب في العام ١٩٢٣، وتم وضع أول دستور أردني في العام ١٩٢٨، أنظر صفحة "القانون الأساسي ١٩٢٨، على موقع التراث الملكي الأردني.

فحقائق التاريخ والواقع تقول إن "الأردن" تأسس كدولة حديثة، قبل تأسيس "السعودية". وهو ما يتمنى الوهابيين، لو أنّ لهم القدرة على تغييره، وإن كان ذلك بالكذب وتزوير حقائق التاريخ ووثائقه الرسمية. فكان أن اخترعوا كذبة تقول إن دخول عبدالعزيز للرياض في ١٩٠٢ هو بداية تأسيس "المملكة العربية السعودية".

٣ ـ ميناء حقل: ألف سنه من التاريخ، و١٠٠ مليون ريال من الاستثمار، طمست بعهد فهد !!

ميناء حقل هو أحد أهم الموانئ على خليج العقبة، فهو ميناء تاريخي ورد ذكره كميناء هام في مصادر تاريخية متعددة، ومن ذلك ما ذكره يا قوت الحموي عن أهمية ميناء حقل على طرق الحج، وما أوردته مصادر أخرى من أن حقل كان ميناء لتيماء، عندما كانت تيماء عاصمة دولة قوية قبل الاسلام.

أما في العصر الحديث، فإن المراجع المتعددة تثبت بالصور والمستندات الرسمية أن ميناء حقل كان ما يزال قائما كميناء تجاري في عهد مملكة الحجاز، عندما احتل عبدالعزيز الحجاز. وتعرض بعض المراجع مستندات حكومية تثبت بأن ميناء حقل كان ميناء رسمي في عهد عبدالعزيز وابنه سعود، وبداية عهد فيصل، ثم تحول الى ميناء عسكري صغير لسلاح الحدود. وهذا سرد مختصر لجانب من التاريخ المعاصر لهذا الميناء المنكوب بالوهابيين وعقيدتهم التخريبية المدمرة.

أ ـ جاء في بحث جامعي نشره معده/مطلق بن صياح البلوي في العام ٢٠١٠ بعنوان "منطقة تبوك في عهد الملك عبدالعزيز "ما يلي:

(... وقد شهد عقد الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي تأسيس إدارة جمركية في مرفأ كل من المويلح وحقل وذات حاج وعلقان، وكان للدوريات البرية دور في مساعدة مأموري الرسوم في هذه الإدارات على ضبط البضائع المهربة، حيث كان جنود الهجانة يلاحقون كل من يحاول التهريب، ويتأكدون من قانونية البضائع والأشياء الأخرى التي تدخل الأراضي السعودية عن طريق تقديمها إلى الإدارة الجمركية التي تفوضها، وتجري ما يلزم حسب الأنظمة النافذة. وتم في عام ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م إحداث ديوان عام للجمارك في وزارة المالية، يرتبط بوزير المالية مباشرة. وألحقت بهذا الديوان جميع الدوائر الجمركية في المنطقة، وبذلك أصبحت المراكز الجمركية في كل من أملج والوجه وضبا والمويلح والخريبة والصورة وحقل ذات مسمى واحد، هو جمارك الحجاز، ومقره جدة. أما المراكز الجمركية البرية في إمارات منطقة تبوك فقد توحدت باسم جمارك الشمال ومقرها إمارة تبوك، والمراكز الجمركية التي تبعتها هي: تبوك والقريات والجوف والعلا وذات الحاج وعلقان وحقل ومغيرة والحماد. وكانت مهمة الديوان العام للجمارك... وكان في كل مركز جمركي مفتش يرتبط بمدير عام الجمارك). ص ٢٩٤

ب ـ تشير مصادر متعددة أن عبدالله بن جبرين ذكر في كتاب (رحلة إلى

شمال الجزيرة)، الذي كتبه بعد أن زار حقل عام ١٣٨٠ هـ الموافق ١٩٦٠ ما يأتي:

(وهناك عندهم سفن تصنع من النخل المنحوتة بطول الرجل وهي من سحار أو نحوه، ومنها أكبر من ذلك، يسبحون فيها حتى تصيد السمك، وعندهم سفينة تسير بشراع إلا أنها صغيرة، وعندهم أخرى ذات مكينة كبيرة يذهبون عليها دائرين في حدود المملكة للتهريب، وعندهم أيضا صندوقان كبيران من طول كل واحد قدر اثني عشر باعاً، وعرضه قرب خمسة، وسمكه فوق باع، وقد ربطا في الباكر بحبال من وبر قوية غليظة وضعوها لتفرغ بها البواخر أحمالها إذا جاءت إليهم، وهذا البحر لا تسير فيه السفينة الكبيرة ولا الباخرة لكونه قريب القعر). من موضوع كتبه عودة المسعودي، وفيه مقابلة مع الباحث عبدالله العمراني أبو مياسة منشور في موقع صحيفة صدى تبوك بتاريخ ١٤٣٦/٢/١٥.

وهذا يثبت بشكل لا ريب فيه أنه كان يوجد في حقل عام ١٣٨٠ هـ الموافق ١٩٦٠ ميناء تجاري تأتيه السفن الكبيرة، التي لا تستطيع الاقتراب من الشاطئ لقرب قعر البحر من سطح الماء عند الشاطئ.

جـ ـ قام الجاسر برحلته إلى شمال غرب الجزيرة في عام ١٣٩٠ الموافق ١٩٧٠، وقام بجولة في البلدة مع أمير حقل إبراهيم مزيد. وقد قدم في كتابة "رحلة في شمال غرب الجزيرة" وصفا لبلدة حقل وشاطئها والمباني الحكومية الموجودة فيها، بل ووصف جبال سيناء وميناء إيلات وميناء العقبة، التي تظهر للواقف على شاطئ حقل، ولم يذكر شيئاً عن ميناء عسكري لحرس الحدود. وهذا يتثبت أن ميناء سلاح الحدود تم إنشاؤه بعد العام ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠.

يقول الجاسر واصفا ما رءاه بحقل من معالم (... بعد تناول طعام الإفطار ذهب صاحباي لقضاء بعض حاجاتهما، وذهب بي الأمير لمشاهدة معالم البلدة..... أبرز ما رأيت من مباني البلدة (المستوصف) وقد بني بناء حديثا، وشاهدت موقع المدرسة التي شرع ببنائها بقرب شاطئ البحر. وفي البلدة إمارة ومحكمة،

ومدرسة للبنات وبلدية، وغيرها من الهيئات الحكومية غير أنها تحل بنايات صغيرة بالأجرة. ومن بلدة حقل يشاهد المرء شاطئ البحر المقابل وجباله المتصلة بجبال الطور، كما يرى من قرب أنوار (أيلات) والمسافة بين البلدتين تقارب (٢٧) كيلا فهي من حقل إلى العقبة خمس وعشرون كيلا. والعقبة على رأس البحر، و(ايلات) بمحاذاتها على رأس البحر أيضا، والمسافة بينهما لا تتجاوز الميلين، و(إيلات) من العقبة تشاهد بوضوح، الميناء فيها البواخر والسفن، والبلدة الواقعة في شرقي الميناء، بحيث أن المرء يرى السفن الراسية في الميناء من قرب). وبعد أن يتحدث عن عدد السكان وبعض الموظفين بحقل، يذكر نزوله للبحر (... عدت إلى المنزل للاستراحة بعد القيام بجولة قصيرة في البلدة، وكان المنزل على شاطئ البحر، وقد هيأ فيه مكان للسباحة، ومع أن الوقت كان باردا إذ نحن في فصل الربيع (١٥ أيار) ، ولكنني أهوى السباحة في البحر، وإن كنت لا أجيدها، فخلعت ملابسي، ونزلت في ذلك المكان، ولم يكن عميقا، ولكنه مملوءاً بكسر الأواني من زجاج وغيرها يقذفها سكان ذلك المنزل، وكان من أثر ذلك أنني أسرعت الخروج، وقد تجرحت رجلاي، غير أنني أحسست راحة من تلك الرياضة المحببة إلى نفسي). ص ٤٥٦

وهكذا يكون الجاسر قد وصف حقل وصفاً تفصيلياً مملاً، لدرجة أنه ذكر موضع المدرسة التي بدأ العمل ببنائها، والنفايات الموجودة في قاع البحر، ولم يذكر شيئاً عن ميناء لحرس الحدود، ولا يبقى بعد ذلك أدنى شك في أن ميناء حرس الحدود البحري، الموجود الآن بجانب أشجار النخيل ومبنى المستوصف والبلدية، قد تم إنشاؤها بعد العام ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠.

د ـ نشر الشيخ الغريض وهو مؤسس ميناء حقل التجاري والصناعي الحديث، كتابا ذكر فيه أن حركة الواردات التجارية في ميناء حقل المعاصر بدأت في العام ١٣٩٦ وهذا التاريخ يوافق ١٩٧٦ (... كان يوجد رصيف صغير لسلاح الحدود في حقل؛ وطلبت من سمو سيدي وزير الداخلية أن أستعمل هذا الرصيف لإنزال

بواخر صغيرة عليه لا تتعدى حمولتها ألفي طن وقد سمح لي بذلك..) من مقال عودة المسعودي في صحيفة صدى تبوك، المشار إليه سابقا.

هـ ـ عندما تقدم الشيخ الغريض لوزارة الداخلية بطلب استخدام رصيف سلاح الحدود للأغراض التجارية، كانت البلاد تشهد نشاطا اقتصاديا غير مسبوق ومتصاعد بقوة، وهي العوامل التي عرفت محليا باسم "الطفرة الأولى". ونتيجة لذلك فقد شهدت الموانئ الكبرى في بلادنا ـ ميناء جدة وميناء الدمام ـ اختناقا ت شديدة، لدرجة أن السفن والبواخر كانت تقف بالبحر لعدة أيام بانتظار أن يسمح لها بدخول الميناء لتفريغ حمولاتها. وبسرعة فائقة ـ عدة أشهر فقط ـ أخذت مؤسسة الغريض الموافقة على إنشاء أرصفه تجارية، وأخذت ترفع الطاقة الاستيعابية للميناء، ثم اقتحمت مجال الصناعة بإنشاء مصنع وخزانات لتعبئة الإسمنت السائب، ورصيف بحري عائم خاص بذلك. وبلغ هذا الميناء ذروة مساهمته في الاقتصاد الوطني، من خلال تزويده الأسواق المحلية في تبوك والقصيم الرياض بالإسمنت، والواردات بمختلف أنواعها، إلاَّ أنّ هذا الميناء قتل على أيد الوهابيين في عهد الملك فهد بعام ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ بحجة أن المنطقة أصبحت مكتفية من المواد التي كانت تستورد من خلال الميناء، وهذا عذر أقبح من ذنب. لأن الموانئ يمكن أن تستخدم للاستيراد والتصدير، وليس للاستيراد فقط، وفي عام ١٤٠٨ـ ١٩٨٨ كانت تبوك قد أصبحت منطقة زراعية تصدر منتجاتها إلى دول إقليمية وأوروبية متعددة، وهي بأمس الحاجة لميناء حقل.

لقد أنفقت مؤسسة الغريض ما يقارب ١٠٠ مليون ريال، لإنشاء الميناء، وتعميق قعر البحر عند أرصفته، للسماح برسو السفن الكبيرة، وأنشأت المؤسسة رصيف خاص ومصنع لتعبئة الإسمنت، إلاَّ أنّ كل ذلك لم يمنع الوهابيين من قتل ميناء حقل، لأنه ليس من إنجازاتهم، وليس لهم فضل في جعله أحد أهم موانئ خليج العقبة آنذاك،

٤ ـ تحرير تيران وصنافير!!

بعد أن أصبح سلمان ملكاً بوقت قصير، ذهب في زيارة قصيرة ومفاجئة لمصر، ثم رجع بعد أن أحدث صدمة عند السعوديين والمصريين، بإدعاء أنَّ جزيرتي تيران وصنافير سعوديتان وقد تم الاتفاق مع السلطة المصرية على "إعادتهما" للسعوديين.

أقول إن هذا الأمر أحدث صدمة عند الشعبين، لأن قضية الجزر هذه ليست من القضايا الملحة التي تشغل بال أحدٍ في السعودية أو مصر، ولم يحدث أيُّ إعلان أو إشارة في الإعلام هنا أو هناك أنّ الهدف من الزيارة طرح مسألة الجزر، ثمَّ إنَّ معالجة مسألة كهذه لا يعقل مطلقاً أن تعالج وتنتهي خلال أيام، وكأنها مسألة تتعلق بالاتفاقِ على إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين أو تطوير علاقات قائمة، وما زاد الصدمة والذهول عند الناس هو ما ذكره نقيب الصحفيين في مصر في قناة صدى البلد: أنَّ سلمان فاجأ الجميع عندما هبطت طائرته في مطار القاهرة، فرفض أن ينزل من الطائرة حتى توافق الحكومة المصرية على "رد" الجزيرتين للسعودية.

وهكذا نجد العذر للحكومة المصرية والمتثقفين المصريين، بالفشل في تجهيز دفاع قانوني واضح يسقط الإدعاء بأن تيران وصنافير أراضي سعودية، ولكن المؤسف هو أن رئيس المخابرات الحربية السابق عبدالفتاح السيسي، كان لديه الوقت الكافي للتفكير بهذه المسألة، عندما قام بإجراء بحث ـ كما قال هو في الإعلام ـ ولم يجد أي دليل أن هذه الجزر مصرية، فهل عدم وجود دليل على أنها مصرية، يثبت أنّها سعودية؟!

كذلك فإن الحجج التي ساقها سلمان لإثبات أن تيران وصنافير سعودية، حجج لا تثبت أنها سعودية، فسلمان يقول ـ كما ذكر في الإعلام ـ إن عبدالعزيز بعث رسالة للملك فاروق في عام ١٩٤٨ يطلب منه فيها أن يضع حامية مصرية على هذه

الجزر، حتى لا تحتلها "إسرائيل" وتحتج بأنَّ هذه الجزر ليست تابعة لأحد. فبأي وجه قانوني يستشهد سلمان بهذه الرسالة ـ إن وجدت ـ لإثبات أن تيران وصنافير جزر سعودية؟!

لفهم الوجه القانوني الصحيح للنظر في مسألة تيران وصنافير، يجب أولاً ملاحظة أن الحدودالسياسية بين مصر وجزيرة العرب، كانت قد تغيرت عدة مرات بالقوة، خلال القرون الأربعة الماضية (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠) ، فالحجاز كان في عهد الدولة العثمانية تابع لولاية مصر (محمد على باشا)، ثم استولى الوهابيون على الحجاز، فبعث محمد على ابنه إبراهيم باشا ودمر السلطة الوهابية في الدرعية، وأقام إدارة مصرية في نجد، وهكذا تكون أراضي الحجاز ونجد كلها قد أصبحت جزء من أراضي ولاية مصر العثمانية آنذاك، واستمرت حالة تغير الحدود هذه حتى عام ١٩٢٦ حين احتل عبدالعزيز الحجاز آخر مرة، بالقوة المسلحة أيضاً، وكانت الحجاز في ذلك الوقت ثائرة تسعى للاستقلال، ولا تخضع لمصر أو الأتراك.

من هنا يجب أن نبدأ النظر إلى مسألة تيران وصنافير، وأية مسألة أخرى مشابهة. فهذه حدود كانت لعدة قرون متغيرة بالقوة، وأي كلام عن خرائط واتفاقيات ومعاهدات سابقة لاحتلال عبدالعزيز الحجاز، يصبح غير ذي بال، لأن عبدالعزيز احتلَّ الحجاز بالقوَّة المسلحة، وهذا يسقط أيَّة اتفاقيات أو معاهدات سابقة بين أطراف لم يعترف هو بشرعيتها وهو يغزو الحجاز، فالقول بأن المرجع في ترسيم حدود مملكة نجد وجاراتها، إنما يعتمد على تحديد ما تمكنت قوات عبدالعزيز من انتزاعه بالقوة من غيرها، لا يستند فقط لوجهة نظر قانونية يجب أخذها بالاعتبار، بل ويستند أيضا إلى الممارسة العملية الَّتي انتهجها عبدالعزيز برسم حدود بلاده.

وأول سؤال يوجه (للإمام) سلمان في هذه الحالة، هو هل لديكم أية أدلة أو بينات تثبت أن قوات عبدالعزيز "احتلَّتْ" تيران وصنافير بالقوة المسلحة، عندما احتلَّتْ

الحجاز؟!

ولأنَّه لا يوجد دليل مثل هذا، لأن قوات عبدالعزيز كانت تقاتل براً فقط، فإن عليهم إثبات أن أي جهة حكومية مصرية، وهبت تيران وصنافير لعبدالعزيز أو باعتها له. ولأنَّه ما من بينه على شيء كهذا، بدليل أنهم يستشهدون برسالة عبدالعزيز للملك فاروق، فإنَّ تيران وصنافير تكون وفقاً للأعراف الدولية مصرية ١٠٠% ولا تنازع للسيادة عليها مع أحد، أو هي أرض مصرية، والسعودية تنازع مصر السيادة عليها، أو هي منطقة محايدة بين البلدين، لم يتم الاتفاق بشأنها. ولأن عبدالفتاح السيسي قد أعلن بصفته رئيسا لجمهورية مصر العربية، أنَّه لا يوجد بينة واحدة تثبت أن تيران وصنافير أرض مصرية، فإن تيران وصنافير تصبح في هذه الحالة أرض محايدة بين البلدين، ولم يتم الاتفاق بشأنها.

تغيرت هذه المعادلة بعد أن وقع الرئيس المصري، والحكومة والبرلمان على اتفاق ينص على أن تيران وصنافير ملك للسعودية، هنا دخل عامل جديد، فحتى لو كانت هذه الجزر مصرية ١٠٠%، فإن الدولة المصرية ممثلة برئيسها ورئيس حكومتها وبرلمانها، لهم مطلق الحرية بالتصرف فيها بيعاً أو تنازلا على سبيل الهبة، فإذا كان الدستور المصري لا يعطي لهذه السلطات مجتمعة حق بيع أجزاء من أرض البلاد أو التنازل عنها، فإن الاتفاق الذي تم، لا قيمة قانونية له، وستبقى تيران وصنافير ـ بنظر القانون الدولي ـ أرض محايدة أو متنازع عليها، إلى أن يتم التفاوض بشأنها بين البلدين، على النحو الذي يحفظ للطرفين كرامتهما، وحقوقهم الوطنية.

ما يهمنا الآن من كل ذلك، هو التأكيد على أن تزوير حقائق التاريخ والجغرافيا ليس شيئا غريبا عن الوهابيين، وإنما هو منهج متوارث وممارسة اعتيادية. فكان يمكن لتيران وصنافير أن تدخلا ضمن الأراضي السعودية باتفاق ترسيم حدود هادئ يرضي جميع الأطراف، أو تحكيم دولي يستند للبينات وقواعد الأعراف الدولية بشأن الحدود، ولكن أيٌّ من هذه الخيارات لم يكن ليجعل من سلمان،

ملكاً غازياً مظفراً "حرر"الجزر "المحتلة"، التي لم ينجح أيٌ من أسلافه بتحريرها واستردادها، فلاتهمُ الطريقة ولايهمُ التوقيت، وآخر مايهم هم هو الحقيقة، فالهمُ الأول والوحيد، هو أن يحمل (الإمام) سلمان لقب الملك المظفر قاهر الأعداء، محرر تيران وصنافير.

٥ ـ الوزير المستثمر، الذي لا تراه لجنة محاربة الفساد.

بعد مبايعة سلمان ملكاً وإماماً للمسلمين، أعلن عزل ولي العهد مقرن، وتعيين محمد ابن نايف وليا للعهد، ثم عزل محمد ابن نايف، وعين ابنه محمد وليا العهد للعهد ثمَّ شنَّ (الإمام) حملةً لمحاربة الفساد، بدأها بإصدار أمر ملكي لتشكيل لجنة عليا لمحاربة الفساد، وكان فساد هذا الأمر الملكي ظاهراً وصارخاً، ولا تخطئة عين من كان له أدنى خبرة بالعمل الإداري وتشكيل اللجان، لأن اللجان تختلف عن بعضها من حيث عمرها ومهامها، فمنها ما يكون لجنة دائمة تمارس مهمة محددة بصفة دائمة، وأبرز مثال على هذا النوع من اللجان، "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء"، فهذه لجنة تمارس وظيفتها التي يوضحها اسمها بصفة دائمة، ومنها ما يكون لجنة مؤقتة، يتم تشكيلها لتقوم بمهمة محددة في وقت محدد، وأبرز مثال على هذا النوع من اللجان، اللجنة التي أمر الملك عبدالله بتشكيلها، لتحديد المسؤولين عن كارثة سيول جدة، وقد تم تكليف هذه اللجنة بمهامها وتحديد مدة زمنية، يتوجب على اللجنة إنهاء أعمالها خلال المدة المحددة.

وأول ما يلاحظ على الأمر الملكي بتشكيل لجنة محاربة الفساد هذه، هو أنها لجنة لم ينص الأمر الملكي على أنها لجنة دائمة، ولم يحدد الأمر الملكي مدة زمنية يتوجب على اللجنة أن تنهي فيها أعمالها. بدلا من ذلك، وجدنا الأمر الملكي يقول إن على اللجنة أن ترفع تقريراً بالنتائج التي تتوصل إليها للملك.

أما اللجنة ذاتها فإن أغرب ما يتعلق بها هو أنها بعد أن "قامت بالكشف "عن كل خافي ومستور من فساد لا يعلمه الناس، وجدناها لا ترى فساداً أعمى عيون

الناس وأصم آذانهم، لأنه ليس علنيا وحسب، بل إنه استفزازي لدرجة كاد معها أن يتسبب بأزمة سياسية كبرى، بين بلدنا وبلد عربي جار وشقيق.

أحدث تركي آل الشيخ الذي كان رئيساً لهيئة الرياضة، ثم صار رئيساً لهيئة الترفيه. حملات إعلامية متبادلة بين الإعلام السعودي والمصري بسبب ما يقول انها استثماراته بمصر، ولم يلفت شيء من ذلك انتباه لجنة (الإمام) سلمان لمكافحة الفساد، أو يثير اهتمامها!!

في تلك الأثناء كان (رئيس هيئة الرياضة) وهو بمرتبة وزير، يذهب بنفسه إلى مصر، ويدخل في مساجلات ومهاترات إعلامية مع نجوم كرة القدم، ومشجعي الأندية الرياضية، ثم اشترى نادياً رياضياً مصرياً، وأراد أن يستقطب كبار نجوم كرة القدم المصرية لنادية، من خلال إغراءهم بالمال، ولكنه فشل بذلك، فأخذ يمن على الأندية المصرية واللاعبين المصريين، بالمساعدات التي كانوا يحصلون عليها من الأمير عبدالله الفيصل في العقود الماضية. ثم تعرض بالإساءة لأحد أشهر نجوم كرة القدم المصرية ورئيس النادي الأهلي "محمود الخطيب". وبدأت وسائل الإعلام المصرية تشير إلى أن الأمر أخذ منحى يتعلق بالكرامة الوطنية. ولكن معالي الوزير المستثمر، أصر على التحدي، وأعلن أنه سيستقدم مدربين ولاعبين أجانب لناديه. وفي هذا السياق من الاستفزاز المتواصل، هتفت جماهير النادي الأهلي في أحد ملاعب الكرة، من مدرجات مكتظة بجماهير النادي الأهلي، وأمام وسائل الإعلام، بهتاف تضمن شتائم نابية جدا مست شرف أم معاليه. وبدلاً من أن يدرك "معالي الوزير" أنه تورط في مشاكل كبيرة، فيسكت أو يعمل على تهدئة الموقف، أخذ يهدد الحكومة المصرية بسحب "استثماراته"من مصر، هو وكل المستثمرين السعوديين، إن لم تفرض الحكومة المصرية، عقوبة على جماهير النادي الأهلي!!

كان هذا طلباً غبياً، ويبين إلى أي مدى من الغرور والوقاحة وصل التمادي بالوزير المستثمر، فرد الإعلام المصري بتوضيح أن الحكومة، ليس لها الحق بالتدخل في

قرارات الأندية والاتحادات الرياضية، ولا تستطيع فرض عقوبات عليها، لأن قوانين الفيفا لا تسمح بذلك. ولأن سلطة فرض عقوبات على الأندية وجماهيرها، هي بيد الاتحادات الرياضية، التي كان معالي الوزير المستثمر، قد أساء للكثير من أعضاءها.

ما يهمنا هنا هو أن هذا الوزير المستثمر، لم يكن فقط يدير استثماراته الخارجية وهو يشغل منصب حكومي، بل كاد أن يتسبب بأزمات سياسية ودبلوماسية بسبب تلك الاستثمارات، وإدارته السيئة لها. وكان قد أصبح بسبب هتاف جماهير النادي الأهلي، مادة للسخرية في وسائلٍ التواصل الاجتماعي العربية. ومازال هذا الوزير المستثمر، يشغل حتى الآن منصباً حكومياً رفيعاً، بعد أن تم نقله ليرأس هيئة الترفيه.

خلاصة القول إن مسرحية مكافحة الفساد التي ألفها (الإمام) سلمان وأخرجها ابنه ولي العهد، فشلت في إخفاء الحقيقة التاريخيةٍ التي يريدون إخفاؤها، وهي أن الصراع على السلطة بين الوهابيين مازال مستمراً.

٦ ـ نيوم**:** فيدرالية ولكن للغرباء فقط **!!**

في الوقت الذي لا يرى فيه سلمان وابنه محمد أن الشعب السعودي مؤهل للديمقراطية، والمشاركة بالسلطة، جاء الإعلان عن مشروع مدينة نيوم، ليحمل في تفاصيله مفاجآت متعددة. وأغرب ما في الأمر، أن مدينة نيوم كما أعلن عنها محمد سلمان، ستتمتع بحكم إداري مستقل عن الحكومة المركزية، وهذا يعني عمليا أنها ستكون ولاية أو منطقة مستقلة فيدرالياً. ومن الغريب كون هذه الولاية المستقلة، ليست للسعوديين، وإنما هي للغرباء فقط، الذين يشبههم محمد ابن سلمان ضمنيا بالمخلوقات الفضائية، الذين سيجدون في نيوم مدينة تشبه بيئتهم الفضائية التي ينتمون لها.

يقول محمد ابن سلمان وهو يصف نيوم في مقابلة صحفية مع وكالة بلومبيرغ،

وأعادت صحيفة الشرق الأوسط نشرها بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢٧ (كلمة نيوم، تعطيك إحساساً بأنها تحمل اسما للمستقبل. وتشعر أن نيوم هي اسم من الفضاء الخارجي)!!

وعند سؤاله عن الأنظمة والقوانين التي ستطبق في نيوم، أجاب بأن المدينة ستقر الأنظمة والقوانين التي تريدها، على أن تطبق قوانين الحكومة المركزية ـ الحكومة السعودية ـ فيما يتعلق بالشؤون السيادية كالدفاع والخارجية والأمن الوطني...الخ. أما عدا ذلك، فستضع المخلوقات الفضائية التي ستعيش في نيوم، الأنظمة والقوانين التي تريدها. وهذه هي الفيدرالية لمن لا يعرف معنى الفيدرالية. كل ولاية تضع قوانينها المحلية، وتترك الشؤون الوطنية المشتركة أو السيادية للحكومة المركزية، وعن هذا يقول ابن سلمان (سوف تكون القوانين السيادية ضمن إطار القانون السعودي، مثل الدفاع، والأمن الوطني، ومكافحة الإرهاب والتهديدات المماثلة، والسياسة الخارجية. هذه الأمور ستبقى ضمن إطار القوانين الحكومية. ولكن القوانين التجارية وغيرها ستخضع تحت إطار قوانين خاصة بنيوم نفسها. سوف يمنحون الحق في تنظيم كل هذه التفاصيل بالطريقة التي تخدم أهداف نيوم. هذا شيء رائع. وعندما تنظر إلى أي مدينة حول العالم، على سبيل المثال نيويورك فسوف تجد قوانين تخدم الجميع، سواء الشركات أو الأفراد، ولذلك فهم يسعون إلى وضع الأمور بالطريقة التي تُفيد الجميع. ولكن نيوم لا يوجد مثيل لها، فالتشريعات سوف تكون وفقاً لحاجة الشركات والمستثمرين) .

يقول ولكن نيوم لا يوجد مثيل لها، فالتشريعات سوف تكون وفقاً لحاجة الشركات والمستثمرين. وهذه العبارات تضع حدوداً للتشريعات المحلية. فهو هنا يقول إن "حكومة" نيوم أو "برلمان" نيوم، أو "مجلس إدارة" نيوم، يحق له وضع التشريعات المتعلقة بالأعمال فقط. هكذا يتحايل ويتذاكى، حتى لا يسمح للمخلوقات الفضائية التي ستسكن في نيوم، بسن قوانين وتشريعات تتعلق

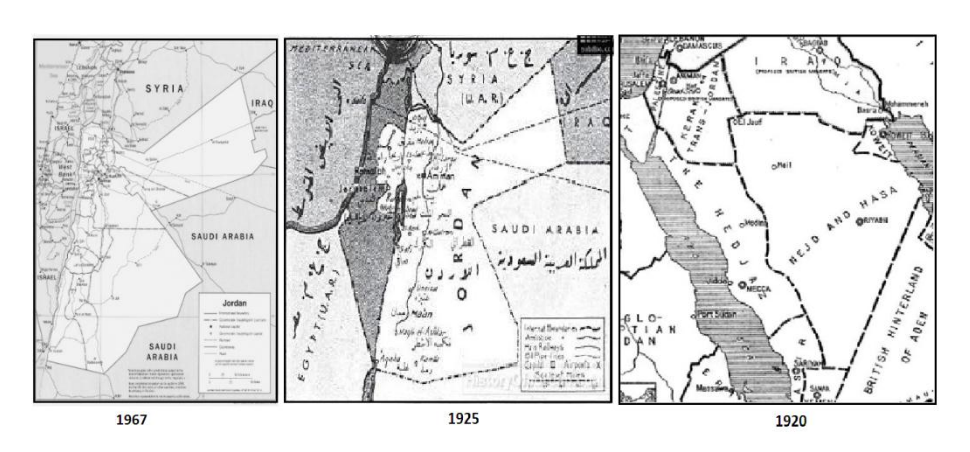
بالحقوق المدنية والسياسية، كإنشاء أحزاب أو نقابات مثلا. ولكن مع ذلك، فهذا هو النظام الفيدرالي. المؤسسات المركزية ـ الحكومة والبرلمان ـ تتخلى عن بعض سلطاتها للمؤسسات المحلية، لتتولى كل ولاية إدارة شؤونها الذاتية، وسن قوانينها. هذه هي الفيدرالية، وإن كانت فيدرالية جزئية، أو فيدرالية ناقصة. وهذا شيء من تلك الأشياء التي لا تصدق. فلا يعقل أن تنشئ دولة شمولية، ولاية خاصة للمستثمرين الفضائيين الغرباء، ويسمح لهم فيها بإدارة شؤونهم وشؤون "ولايتهم"، وسن التشريعات التي يرونها مناسبة لهم، فيما يستبد الملك وابنه بالسلطة كلها، ويتصرفون بثروات البلاد ومواردها، ويهدرونها كما لو كانت أموالاً كسبوها على طاولة القمار. ولا يعقل أو يصدق أن يقول في جواب عن سؤاله حول ذهاب السعوديين إلى نيوم (لن يذهبوا إلى نيومويناموا على الطرقات. إذا ذهبوا إلى نيوم، عليهم أن يقوموا بحجز غرفة في فندق أو أن يكون لديهم منزل أو شقة في نيوم). إن تصوير أبناء البلاد، المواطنين السعوديون، في حوار مع وسيلة إعلام عالمية، كأنهم قطط أو كلاب ينامون على الطرقات. شيء لا يعقل ولا يصدق.

ملحق الفصل الأول

أولا: الوزير المستثمر



ثانيا: نزاع على تجنيس القبائل، هدفه الحقيقي الاستيلاء على موارد المياه والأراضي الخصبة.



1967 1925 1920

ثالثا: ميناء حقل. ألف سنة من التاريخ و١٠٠ مليون ريال من الاستثمارات تم السطو عليها، فأغلق الميناء بحجة الضرورات الأمنية وتحقق الاكتفاء من المنتجات المحلية.







رابعا: سلمان يجلس بمنطقة الجوف على أريكة واحدة، مع أمير المنطقة ـ السابق ـ ونائبه!!





خامسا: عقيدة الغزو والغنائم تُحِل السطو على الأملاك والاستثمارات الخاصة


السيد محمد بن السيد عصام ناس أعاد تغريد

السيد محمد بن السيد عصام ناس
@MohammedNAS22

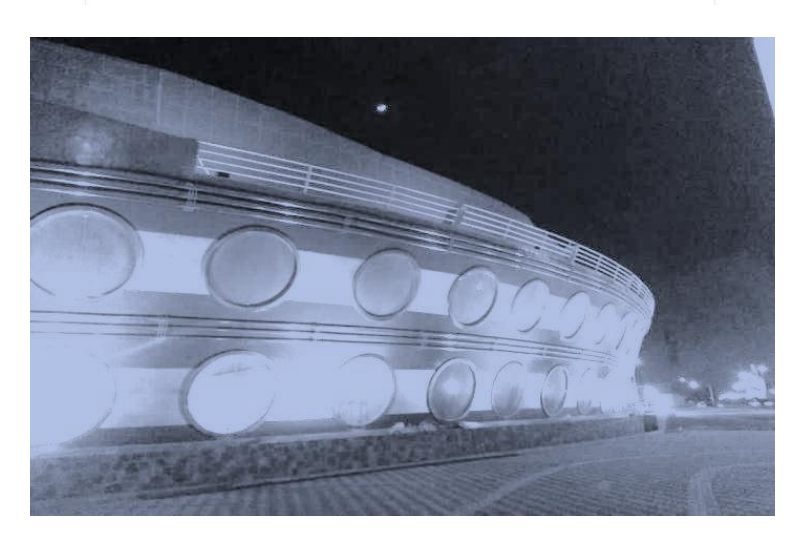
#مبنى_السفينة #جدة حقائق و وقائع مبني السفينة
للتوضيح المبني مرخص من البلدية ورخصة البناء رقم ١٦٤٣
وتاريخه١٤٢٢والأرض مملوكة بصك شرعي رقم ١٥٠٠ وتاريخ
الصك ١٤١١ وتم دفع رسوم محطات شركة الكهرباء وتركيبها
بعد موافقة مدير الدفاع بخطاب رقم ٣١/١/١٨٤٧/وف.

٤:٤٧ ص · ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٠ · Twitter for iPhone

السيد محمد بن السيد عصام ناس
@MohammedNAS22

ردًا على @MohammedNAS22

#مبنى_السفينة #جدة فمنذ البداية لم تصدر #أمانة_جدة جدة قرارا اداري بالإزالة بل بدأت بالإزالة بلا قرار او اشعار او سابق انذر ومخالفة المادة ١٨ من النظام الأساسي للحكم (تكفل الدولة حرية الملكية الخاصة وحرمتها) وهي الان تتعسف بالإعلان عن بيع ما لا تملك وهذي مخالفة صريحة للانظمة.







القوانين تفسر وتنفذ وفقاً للعقيدة السياسية للدولة. والعقيدة السياسية الوهابية أحلت للإمام المتوهم، الغزو والغنائم وسلب الناس أموالهم. ستستمر هذه الجرائم إلى أن يتم تغيير العقيدة السياسية للدولة.

الفصل الثاني

نشأة وتطور الوهابية السياسية في ضل الصراع الاستعماري

في هذا الفصل وبشكل خاص فيٍ القسم الأول منه، سيلاحظ القارئ أننا نتحدث عن مساحات جغرافية واسعة جدا، تشمل قارات وبحار ومحيطات. كذلك فإن نظرتنا هذه الواسعة جغرافيا، تمتد لتشمل أحداث متصلة على مدى عدة قرون من الزمان. فليس بالإمكان تغطية كل ما حدث ـ هناك،آنذاك ـ لشرح تفاصيل كل حدث نمر عليه، أو نأتي على ذكره.

في أفضل الأحوال يكفي أن نرى صورة تخطيطية عامة، تتضمن القوى الاستعمارية التي كانت ـ هناك، آنذاك ـ والقوى المحلية التي كانت القوى الاستعمارية مهتمة بها. وما يمكن أن نسميه محطات أو أحداث أدت بشكل مباشر أو غير مباشر، لإحداث تغير في الصورة الأولية البسيط التي نريد رؤيتها، ورؤية ما طرأ عليها من تغيرات.

في هذه الصورة الأولية البسيطة، نجد أن نقطة البداية التي افتتحت كل هذه الأحداث، هو اكتشاف البرتغاليون في العام ١٤٩٨م لرأس الرجاء الصالح. هكذا تكون علاقة الأوروبيين بهذه الأجزاء الواسعة من العالم، قد تبدلت إلى الأبد. دخل البرتغاليون إلى مياه وسواحل هذه الأجزاء من العالم كغزاة. أرادوا أن يخضعوا سكان البلدان التي لهم فيها مغانم يريدونها، ولحق بهم الهولنديون والبريطانيون والفرنسيون، كمنافسين لهم. وذاك صراع استعماري نحن بغنى عن النظر إليه، لأنه مازال بعيدا في الزمان، عن اللحظة الزمنية التي تشغل بالنا، وتوجه مسعانا، وهي ظهور الدعوة الوهابية في نجد من شبه الجزيرة العربية في العام 1744.

ما يهمنا من شأن هذا الصراع الاستعماري، هو أن اللحظة الزمنية التي نهتم بها، كان فيها الصراع محتدما بين بريطانيا وفرنسا. وهذا الصراع بينهما هو المحرك البارز للصورة التي نريد أن نراها.

وسيستمر هذا الصراع بين البريطانيين والفرنسيين بتحريك الصورة، حتى منتصف القرن العشرين١٩٥٣، ولأنّ ما نبحث عنه هو أهداف كل منهما، وما كان

يفكر فيه، بمحاولة لاكتشاف أية علاقات ظاهرة أو مستترة، بين هذا الصراع بين الطرفين، وأحداث وسط الجزيرة العربية، فإننا سنلقي نظرةً ـ في القسم الأول من هذا الفصل ـ على بداية هذا الصراع. ونتنقل بين المحطات أو المنعطفات التي تبدلت فيها أو عندها أهداف وإستراتيجية كل منهما.

في القسم الأول من هذا الفصل، سنصرف النظر عن الدعوة الوهابية، ما لم تفرض نفسها علينا. وسنخصص القسم الثاني لأحداث الدعوة الوهابية، كصورة أخرى مستقلة بذاتها. لنعود في القسم الثالث ونضع الدعوة الوهابية، في سياقها الزمني مع الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا. وما نريده من وراء ذلك، هو أن نستنطق التاريخ، فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الوهابيون تزويره. نحن نريد معرفة الحقيقة. ومثلما تبين من الفصل الأول فإن الوهابيين لا يؤتمنون على تاريخهم أو تاريخ غيرهم. ولا نريد أن نسمع روايتهم لتاريخ الدعوة الوهابية، لأنها رواية لم تزيدنا إلا جهلاً بتاريخ بلادنا. ولا نريد أن نسمع رواية خصوم الوهابيين، لأنها رواية تعرضت للتشكيك وإتهم رواتها بالتزوير. ونأمل أن نفاجئ الوهابيين برواية التاريخ، كما يرويها التاريخ بنفسه.

القسم الأول

مراحل تطور الصراع البريطاني ـ الفرنسي في الشرق من ١٦٠٠ إلى ١٩٥٦

المرحلة الأولى: إستراتيجية السيطرة على السواحل والموانئ ١٦٠٠ـ ١٧٩٨

هنا نحن نبدأ بتحليل السياسات البريطانية والفرنسية، ولذلك يجب أن نلقي الضوء أولا على مسألة في غاية الأهمية، وكان لها دور أساسي في تحديد سياسات كل دولة من الدول الاستعمارية. وهي أن المناطق التي تهتم بها تلك الدول، ليست سواء بالنسبة لهم، وإنما هي تنقسم من حيث أهميتها الاقتصادية إلى مناطق إنتاج، ومناطق عبور. فالأوروبيون كانوا يستوردون الخامات الطبيعية والمنتجات المختلفة، من جنوب وجنوب شرق آسيا منذ آلاف السنين. أما غرب أسيا والذي يشمل الخليج العربي وخليج عدن وسواحل بحر العرب والبحر الأحمر وما بينها من مناطق داخلية، فهي مناطق فقيرة ـ آنذاك ـ بالبضائع التي يسعى الأوروبيون وراءها، كالتوابل والبخور والحرير وغيرها، ولكنها مناطق هامة جدا بالنسبة لهم، كطرق عبور لتجارتهم مع الشرق الأقصى.

وهكذا نجد أن البرتغاليين بعد أن اكتشفوا رأس الرجاء الصالح، كانوا يريدون استعمار مناطق الإنتاج في جنوب وجنوب شرق أسيا، ويريدون أيضا تحويل طرق التجارة بين أوروبا ومناطق الإنتاج تلك، باتجاه رأس الرجاء الصالح الذي يسيطرون عليه. ومعنى ذلك أن البرتغاليون كانوا يريدون السيطرة ليس على مناطق الإنتاج فقط، بل والسيطرة على طرق التجارة أيضا.

أما البريطانيون فلم يكن يهمهم في المرحلة الأولى من صراعهم مع الفرنسيين، سوى احتكارالتجارة في مناطق الإنتاج، وتأمين طرق القوافل التجارية في غرب أسيا. ولذلك نجد أن الأسطول البحري البريطاني كان يحمي السفن التجارية البريطانية، ولكن الحكومة البريطانية ذاتها، نأت بنفسها عن الأعمال التجارية التي تركتها لشركة الهند الشرقية البريطانية. في حين أن فرنسا كانت تسعى

لإعاقة الإستراتيجية البريطانية في مناطق الإنتاج ومناطق العبور، إلا أنها فشلت بذلك، وهو ما اضطرها أخيراً لاعتماد إستراتيجية قطع طرق التجارة، بالسيطرة على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، كما سنرى لا حقاً. ولكننا الآن سنقتبس من بعض المراجع فقرات تتضمن تفاصيل مفيدة، لفهم ما ذكرناه عن الإستراتيجية التي انتهجها كل من بريطانيا وفرنسا في هذه المرحلة.

١ ـ (.... صدر قرار ملكي في ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ من ملكة بريطانيا إليزابيث بتأسيس شركة الهند الشرقية. ومنحت الملكة هذه الشركة امتياز التجارة في الهند والشرق. وخرجت أول رحلة للشركة من لندن سنة ١٦٠١، وتوغلت في المياه الشرقية حتى وصلت سومطرة حيث وجد رجالها مدى حاجة جزر المنطقة إلى منسوجات الهند، وقرروا بعد عودتهم إنشاء مركز لها في سوارت. وحصلت الشركة على اتفاق تجاري مع السلطات المحلية في سورات سنة ١٦١٢، وصدر فرمان من السلطان جهانكيز يؤكد هذا الإنفاق وهكذا تأسست أول وكالة لشركة الهند الشرقية في شبه القارة) من كتاب الدكتور محمد مرسي عبدالله. أمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى.ص ١٥٣

٢ ـ (... ومرت الشركة بعدة مراحل، ويعتبر القرن السابع عشر مرحلة إنشاء الوكالات.. وأيد البرلمان الإنجليزي بين سنة ١٦٥٥ وسنة ١٧٠١ عدة شركات تأسست في لندن لمنافسة شركة الهند الشرقية.. وأخيرا توحدت هذه الشركات سنة ١٧٠٢..) المرجع السابق ص ١٥٤

٣ـ (... ويذكر المؤرخ بانيكار أن الشركة لم تكن تمتلك في الهند حتى سنة ١٧٥٠ غير ثلاث مدن محصنة على السواحل هي كلكتا ومدراس وبومباي إلى جانب بعض الوكالات المتناثرة في سورات وداخل البنغال...) المرجع السابق ص ١٥٥

٤ ـ (... ترجع علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج العربي إلى أيامها الأولى في

الهند، حينما زاد فائض من الأقمشة الصوفية الإنجليزية لديها ووجد رجال الشركة لها سوقا طيبة في إيران، وحصلوا على فرمان من الشاه عباس الصفوي سنة ١٦١٩ بفتح وكالة لهم في ميناء جاسك عند مدخل الخليج بعيدا عن مضايقات البرتغاليين في هرمز. وتلى ذلك فتح وكالة في شيراز وأخرى في أصفهان سنة ١٦١٧) المرجع السابق ص ١٥٨

٥ ـ (... وهكذا كان لحكومة بومباي معتمداً سياسياً في بوشهر ومقيماً في البصرة وآخر في مسقط وقنصلاً في بغداد يوم التقت مصالحها في الخليج العربي بالتوسع السعودي في عمان وحدود العراق، وتولى هؤلاء الموظفين الرسميون الاتصال والتعامل مع الدرعية. وكانت مهمة هؤلاء المقيمين الرسميين البريطانيين في الخليج رعاية مصالح شركة الهند الشرقية التجارية ، والعمل على توثيق روابط الحكام المحليين بحكومة بومباي. وكان يضاف إلى مهام كل من معتمد البصرة وبوشهر العناية بسلامة بريد الصحراء بين البصرة وحلب. ونحن نستقي معلوماتنا عن نشاط شركة الهند الشرقية في الخليج من التقرير الذي كتبه معتمد البصرة مستر مانستي ومساعده هارفورد جونز إلي حكومة بومباي سنة ١٧٩٠، ومن تقرير آخر للكابتن ملكولم إلى المركيز ولزلي سنة ١٨٠٠ أثناء بعثته إلى بلاط إيران. وكانت شركة الهند الشرقية تصدر إلى الخليج الأصواف الإنجليزية وحرير البنغال، والتوابل والنيلة والتمر..) المرجع السابق ص ١٦٠

٦ ـ (... وعرفت شركة الهند الشرقية بريد الصحراء بين البصرة وحلب منذ افتتحت وكالة البصرة سنة ١٦٤٣. وكانت القوافل تخرج غربي الفرات تحت حراسة بدو أصدقاء للشركة ثم تعبر بادية الشام إلى حلب حيث تتولى الوكالة الإنجليزية التابعة لشركة شرق البحر الأبيض المتوسط نقل البضائع والبريد بسفنها إلى الجزائر البريطانية ويستغرق وصول البريد بين الهند وبريطانيا بهذا الطريق خمسة أشهر بينما يستغرق طريق رأس الرجاء الصالح أحد عشر شهرا...) المرجع السابق ص ١٦١

٧ ـ (.... وتبدو أهمية بريد الصحراء لشركة الهند الشرقية من قرار مجلس المديرين في لندن سنة ١٧٦١ بعزل مستر شو وكيل الشركة في البصرة (١٧٥٩ ـ ١٧٦١) لإهماله في رعاية سلامة هذا الطريق. وحرص كل مقيم بريطاني في البصرة على توثيق علاقاته مع شيوخ قبائل البادية وتقدر الهدايا التي دفعها المستر مانستي سنة ١٨٠١ لهؤلاء الشيوخ بسنة عشر ألف روبية. ويذكر هافورد جونز أنه كان يرسل أثناء إقامته في البصرة الهدايا باستمرار إلى الإمام عبدالعزيز ابن محمد في الدرعية حينما سيطرت القبائل الوهابية على بادية العراق وذلك حرصا على سلامة قوافل بريد الصحراء.) المرجع السابق ص ١٦٢.

وفيما كانت بريطانيا تفعل ذلك، كانت فرنسا تعمل على الهدف نفسه، لمنع سيطرة البريطانيين على السواحل وطرق التجارة، كما تبين هذه الاقتباسات:

١ ـ (ساد النفوذ الفرنسي دولة آل بوسعيد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وكان اتصال الفرنسيين بمسقط عن طريق قنصلهم في البصرة وجزيرة آيل دي فرانس في المحيط الهندي. ومع أن الفرنسيين فقدوا منذ قيام حرب سنة ١٧٩٣، كثيرا من أملاكهم في الهند، إلا أنهم ظلوا يسيطرون على طريق رأس الرجاء الصالح من قاعدتهم البحرية في جزيرة فرنسا بالمحيط الهندي).المرجع السابق ص ١٦٢

٢ ـ (... ووضع نجاح بعثة هارفورد جونز في بلاط شاه إيران في فبراير سنة ١٨٠٩ وسقوط جزيرة فرنسا في ٣ ديسمبر سنة ١٨١٠ في يد حكومة بومباي نهاية للنشاط الفرنسي في عمان والمحيط الهندي) المرجع السابق ص ١٧١

المرحلة الثانية: بريطانيا تتوسع شرقا، وفرنسا تقطع طرق التجارة ١٧٩٨ إلى ١٨٧٣

دخل الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا مرحلة جديدة في العام ١٧٩٨ عندما غزت فرنسا مصر، وأنهت حكم المماليك. ومن المهم ملاحظة أن

بريطانيا كانت في هذه المرحلة تدافع بكل قواها عن السلطة العثمانية ووحدة أراضيها، لأن ذلك هو الذي يضمن لها عدم سيطرة الفرنسيين على طرق التجارة، دون أن تضطر للدخول في حرب مباشرة مع فرنسا. وفيما يلي نقتبس من بعض المراجع، فقرات تبين ملامح هذه المرحلة:

١ ـ الحملة الفرنسية على مصر (... كان الغرض الأساسي الأول من الحملة، طعن انجلترا طعنة نجلاء، بمحاولة القضاء على سلطتها في الشرق، باستيلائها على مصر، ووصل البحرين الأبيض بالأحمر، والسيطرة على هذا الطريق، الذي يعد أقصر طريق بين أوروبا والشرق.... ولما كان لابد لفرنسا أن تستر أغراضها الحقيقية تحت طلاء ظاهري، أعلنت أنها ذاهبة إلى وادي النيل، لمعاقبة المماليك والقضاء على سلطتهم، بحجة أنهم طالما تعدوا على أرواح الرعايا الفرنسيين النازلين بمصر، وكثيرا ما نهبوا متاجرهم وسلبوا أموالهم وأساءوا معاملتهم. وفضلا عن ذلك أظهرت أنها تقصد بحملتها مساعدة الباب العالي صديق فرنسا الحميم، في إرجاع مصر إليه فعلا، بعد إبادة المماليك الذين استبدوا بالسلطة دونه.) من كتاب تاريخ مصر الحديث ص ٧٣

٢ ـ (... وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ أبحر نابليون من ميناء طولون... وفي أول يوليه رست العمارة الفرنسية بالقرب من الإسكندرية...) المرجع السابق ص ٧٥

٣ ـ (...اتصل خبر هذه الحملة بعلم الحكومة الإنجليزية... ولكنها كانت تجهل تمام الجهل الموضع الذي اختارته لتضربها فيه.... ولكي يستوثق الإنجليز من الموقف، أرسل "نلسون Nelson""ببعض سفن الأسطول إلى داخل البحر الأبيض، ليبقى قريبا من الموانئ الفرنسية يراقب أخبار الحملة وحركاتها.) المرجع السابق ص٧٩ .

٣ ـ (... أيقن الإنجليز أن الأتراك لن يستطيعوا بأنفسهم طرد الفرنسيين من مصر، ولهذا عزموا على الاشتراك معهم اشتراكا فعليا في إخراجهم، وتم الإنفاق

بينهم على إرسال أربعة جيوش إلى مصر، جيش انجليزي وآخر تركي يغزوانها من الشمال، ثم جيش الصدر الأعظم يغزوها من الشرق، وكذلك جيش من الهند يدخل مصر عن طريق القصير). المرجع السابق ص ٩٩

٤ ـ (... فلما وصلوا قرب القاهرة، كما وصل كذلك الجيش العثماني البري، وجد "بليار Belliard" القائد الفرنسي في المدينة أنه لا يستطيع المقاومة، فقر رأيه على التسليم، وعُقِد الصُلح بين الطرفين، في ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١، على أن ينقل هو وجميع رجاله إلى بلادهم على مراكب إنجليزية، بكل ما معهم من معدات... أما مينو، فإنه ظل محصورا بالإسكندرية أكثر من شهرين، وأخيرا فاوض القيادة الإنجليزية على التسليم، وحدث الاتفاق بين الفريقين على الجلاء بنفس الشروط السابقة. وتم الجلاء في أكتوبر ١٨٠١، وعادت البلاد ولاية من ولايات الدولة العثمانية...) المرجع السابق، ص ١٠١

٥ ـ الصلح بعد الجلاء (... أما فرنسا فأخذت تتقرب من تركيا، بعد جلاء الحملة عن مصر، وتعمل على إعادة روابط الصداقة القديمة بينهما، واستمرت الحالة كذلك، حتى تم بينهما الصلح النهائي عام ١٨٠٢. وقد غضبت إنجلترا لهذه السياسة...) المرجع السابق. ص١٠٧

٦ ـ الحملة البريطانية الفاشلة (... يرتبط تاريخ هذه الحملة، بتاريخ التطور الذي حدث في السياسة الأوروبية... وذلك أن نفوذ فرنسا بدأ يزداد في الأستانة منذ أوائل سنة ١٨٠٦، فساء هذا التقارب كلاً من الروسيا وانجلترا، اللتين كانتا في حالة حرب مع فرنسا. ولهذا فإنهما حاولتا أن تقضيا على نفوذ فرنسا في تركيا... أرسل أمير البحر الانجليزي إلى الجنرال"فريزر FRASER" ... يأمره بالاستيلاء على الإسكندرية.... سارت جيوش الوالي الشمال، تقصد الدفاع عن البلاد ضد الانجليز، حتى وصلت إلى دمنهور، ولشد ما دهش محمد على عندما جاءه رسل الانجليز يطلبون عقد الصلح، وتم ذلك فعلا "باتفاقية دمنهور". وفي سبتمبر سنة ١٨٠٧أقلعت الحملة من الإسكندرية. أما الذي دفع الانجليز إلى

طلب الصلح، فهو خروج روسيا من صفهم، بعقدها صلح "تلست Tilsit"مع نابليون، في يوليه سنة ١٨٠٧، وقد أعقب ذلك صلح بين انجلترا وتركيا، على أساس الجلاء عن مصر) المرجع السابق. ص ١١٨ ـ ١١٩

٧ ـ صلح أميان (... كانت مفاوضات الصلح في أوروبا جارية بين فرنسا وانجلترا، وأفضت إلى عقد صلح "أميان Amians" بين الدولتين، في مارس ١٨٠٢، وتعهدت انجلترا في هذا الصلح بجلاء جيوشها عن مصر، وتركها للسلطان صاحبها الشرعي، ولكن بالرغم من هذا التعهد الصريح، تلكأت انجلترا في الجلاء... ولم تتجلي عنها إلا في مارس ١٨٠٣، أمام إلحاح نابليون المتكرر). المرجع السابق. ص ١٠٩

هكذا تكون بريطانيا قد نجحت في طرد الفرنسيين من مصر، فعمل الفرنسيين على طرد البريطانيين من مصر أيضا. ولكن الفرنسيين عادوا إلى مصر بشكل غير مباشر، من خلال دعمهم المكثف لمحمد علي باشا، ليحصلوا منه على الصداقة والامتيازات، وضمان إبعاده للبريطانيين عن مصر:

١ـ الدعم الفرنسي لمصر (... كان "محمد علي"موقنا، أنه لا يستطيع أن يعتمد على جنده الألبانيين، في تحقيق أغراضه... ولذلك كان شديد الرغبة في أن يكون له جيش مدرب على حسب الأنظمة الأوروبية الحديثة.... ولم تلبث أن جاءت الحروب في بلاد العرب، فتخلص فيها من عدد كبير منهم... غير أن الفرصة المناسبة جاءت بعد أن عاد ابنه إبراهيم باشا، منتصرا من بلاد العرب... وكان من حسن حظه، أن وصل مصر في هذا الوقت ضابط فرنسي يدعى "سيف**Seves**"، قدم نفسه لمحمد على بخطاب توصية، فقبله في خدمته... وعهد إليه بمهمة تكوين الجيش الجديد. وقد وقع الاختيار على أسوان، لتكون مقرا للمدرسة الحربية الأولى التي أنشئت بمصر، فتوجه سيف إليها عام ١٨٢٠) المرجع السابق. ص ١٢٤

٢ـ (وضعت النواة الأولى للبحرية المصرية، في عهد "محمد علي"، أيام الحروب في بلاد العرب... ثم أخذ بتقوية الأسطول بشراء السفن من البلاد الأجنبية، واشترك هذا الأسطول في بعض الحروب، ولكنه حطم في إحدى المواقع البحرية عام ١٨٢٧، فلم يثن هذا من همة محمد علي العظيمة، بل صمم على إنشاء أسطول جديد. وعزم أن يكون بناء هذا الأسطول بمصر... فاستعان في مهمته الجديدة بمهندس فرنسي، هو مسيو"دي سريزي**Cerisy**"، كان يشتغل في بناء السفن في طولون. فلما كان عام ١٩٢٩ بدأ "سريزي" في إنشاء دار صناعة بحرية في الإسكندرية (الترسانة)...) المرجع السابق. ص ١٢٦

٣ـ (... كذلك أمكن محمد علي أن يدخل محصولات جديدة في مصر، ما كان باستطاعة الفلاح لو ترك لنفسه أن يفكر في الحصول عليها أو زراعتها، وأهم هذه القطن... فقد أشار بزراعته مسيو "جيمل**Jumel**"عام ١٨٢٠، وهو نساج فرنسي كان في خدمة الحكومة المصرية وقتئذ...) المرجع السابق. ص ١٢٨

٤ ـ (... ولكن على الرغم من كل الصعوبات التي اعترضته في هذا السبيل، نجح إلى حد كبير في تعليم عدد وفير من أهل البلاد، كانوا خير عون له في تنفيذ مشروعاته، فأسس المدارس على اختلاف درجاتها وأنواعها، وكان من بينها مدارس ابتدائية وتجهيزية وخاصة. وأهم المدارس الخاصة مدرسة الطب التي أسسها بأبي زعبل عام ١٨٢٧. ويرجع الفضل في إنشائها إلى الدكتور "كلوت بك **Clot Bey**"الفرنسي، الذي كان في خدمة الحكومة المصرية. وقد أنشأ كذلك مدرسة للطب البيطري وأخرى للهندسة، ومدرسة لتحسين الزراعة...) المرجع السابق. ص ١٣٤

٥ ـ التوسع المصري ١٨٣١ بدعم أو تشجيع فرنسي: (... صمم محمد علي أن يرسل حملة إلىسوريا... أعد "محمد علي"الحملة في أوائل عام ١٨٣١... وفي ٢٩ من هذا الشهر، تحرك معظم الجيش قاصدا سوريا... أما القائد العام "إبراهيم

باشا" فإنه أقلع في غضون ذلك بالأسطول من الإسكندرية... وهكذا استولت الجيوش المصرية على كل بلاد سوريا في بضعة أشهر، بفضل شجاعة رجالها ومقدرة قائدها العام إبراهيم، ورئيس أركان حربه سليمان الفرنساوي...) المرجع السابق. ص١٥٧

وبعد أن أوشك محمد علي باشا، على السيطرة على سواحل شرق المتوسط، وقطع طرق التجارة البريطانية تماماً، تدخلت بريطانيا كما هو متوقع، وأعادته إلى مصر:

١ ـ اتفاق كوتاهية ١٨٣٣: على اثر ذلك أرسل إبراهيم قوات مختلفة، استولت على أكثر بلاد الأناضول... وفي غضون ذلك استؤنفت مفاوضات الصلح التي أدت في النهاية إلى إبرام "اتفاق كوتاهية" بين الطرفين، في مايو سنة ١٨٣٣، وهو يقضي بمنح محمد علي بلاد سوريا علاوة على مصر، وتعيين ابنه إبراهيم حاكما على ولاية "أذنة".) المرجع السابق. ص ١٥٧

٢ ـ معاهد أنكيارسكلسي ١٨٣٣: نتيجة للخسائر الكبيرة التي تعرضت لها تركيا في موقعة كوتاهيه، وبعد أن وقع السلطان اتِّفاق الصلح مع المصريين "اتفاق كوتاهيه". طلب بعد شهرين الدعم العسكري من روسيا، وقام بتوقيع معاهدة معها في يوليه . ١٨٣٣، عرفت باسم معاهد أنكيارسكلسي، فأرسلت روسيا قوات برية وبحرية كبيرة إلى تركيا.

٣ ـ موقعة نصيبين ١٨٣٩:في العام ١٨٣٩ أرسل السلطان قواته إلى قرية نصيبين لمواجهة جيش مصر، فتعرضت القوات التركية لهزيمة كبيرة في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ بمعركة عرفت باسم موقعة نصيبين.

٤ ـ معاهدة لندن ١٨٤٠: بعد خسارة الأتراك في موقعة نصيبين، أرسل خسرو باشا رسولا إلى محمد علي ليعرض عليه الصلح بأن تكون ولاية مصر وراثية لأبنائه، فرفض محمد على الصلح وطلب أن تكون سوريا ومصر وراثية له ولأبنائه،

فوقعت بريطانيا وروسيا والنمسا معاهدة مع تركيا عرفت باسم معاهدة لندن ١٨٤٠، تقضي بطرد قوات محمد على من سوريا والبلاد العربية الأخرى إن لم ينسحب طواعية، ورفضت فرنسا الاشتراك بهذا التحالف ضد محمد علي. (... ولما أصر "محمد علي"على رفض شروط الدول، أمرت الحكومة الانجليزية أسطولها بمحاصرة موانئ الشام ومصر... وصلت أساطيل الحلفاء بقيادة "ستبفوردStopford"و"نابييرNapier"الانجليزيين، أمام"بيروت"في سبتمبر سنة ١٨٤٠، وأطلقت القنابل عليها، ثم أنزلت جيشا عثمانيا بالقرب من المدينة.... في غضون هذه الحرب، بدأت السياسة الفرنسية تتخذ لنفسها مجرى آخر... ولما كان اليأس قد استولى على "محمد علي"، من جراء انهزام جيشه في سوريا، ومن تخلي فرنسا عن مساعدته، قبل الشروط المعروضة، وأبرم الاتفاق في ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٤٠) المرجع السابق. ص ١٧١ و١٧٢

ولم تستسلم فرنسا في مواجهة بريطانيا، حتى مع هذه الضربة الموجعة التي تلقاها محمد علي باشا، ولكنها لجأت لفكرة مدهشة، جعلت بريطانيا تتوقف عن سعيها لمنافسة الفرنسيين في السيطرة على طرق التجارة مع الشرق، وبدأت بريطانيا تبحث عن الشراكة مع الفرنسيين، ونحن نتحدث الآن عن حفر قناة السويس ١٨٥٩ إلى ١٨٦٩، فقد سعى نابليون لحفر قناة السويس، إلا أنَّ أخطاء المهندسين في حساباتهم أظهرت استحالة تنفيذ الفكرة، وهو ما جعله يصرف النظر عنها، إلاَّ أنَّ فرنسا لم تتخلى عن الفكرة:

١ ـ (... من هنا نرى، أن الفكرة القديمة تحققت بتوصيل البحرين بطريق النيل فقط، أما الفكرة الحديثة، فكانت ترمي إلى وصلهما بطريق مائي مباشر... وأول من اهتم بتنفيذ هذه الفكرة جديا "نابليون بونابرت"، بعد استيلائه على مصر بحملته الشهيرة عام ١٧٩٨، فإنه ذهب بنفسه إلى البرزخ الواقع بين البحرين، ليشرف على أعمال الفحص والدرس، غير أنه لم يقدر له أن ينفذ المشروع، لغلطة وقع فيها مهندس الحملة "لابير"، أدت إلى اعتقاد بأن سطح البحر الأحمر أعلى

من سطح البحر الأبيض بتسعة أمتار... غير أن تلك الغلطة الشائعة، أصلحت نهائيا في أواخر عهد محمد على، عندما حضرت إلى مصر لجنة فنية من أوروبا عام ١٨٤٧، لإعادة درس الموضوع، ووجدت أن البحرين في مستوى واحد...) المرجع السابق. ص ١٩١

٢ ـ (... كان "فرنند ديلسبس" نائبا للقنصل الفرنسي بالإسكندرية في عهد محمد علي... وكان شديد الميل لتنفيذ مشروع قناة تشق برزخ السويس لتوصيل البحرين، وكانت له صلة متينة بسعيد باشا. فلما ولى هذا حكم مصر، أقبل عليه ديلسبس، وأخذ يحسن له فكرة القناة.... ولما كان ديلسبس دائم الإلحاح عليه، ومتين الصلة به، نجح في رغبته، وأمضى عقد الاتفاق في يناير سنة ١٨٥٦) المرجع السابق. ص ١٩١ ـ ١٩٢

٣ـ (... هكذا تم الاتفاق بين ديلسبس وسعيد، ولكن كان من الضروري لسريانه من الحصول على موافقة الباب العالي، ولذلك يمم ديلسبس وجهه نحو الآستانة، غير أنه وجد العقبات قائمة في طريقه، ويعزى ذلك إلى تحريض انجلترا، لعدم رضاها عن المشروع، فإنها كانت تعتقد أنه يلحق ضررا بليغا بمصالحها في الشرق... ولهذا كانت شديدة الحنق على المشروع، وبفضل معاضدتها رفض الباب العالي الموافقة على الاتفاق. غير أنه حدثت في أثناء ذلك ثورة في الهند سنة١٨٥٧... وحينذاك رأى كثير من كبار ساسة الانجليز فائدة الترعة، لصالح العالم عامة، وللمصالح البريطانية خاصة، لأنها تقرب المسافة بين انجلترا والهند بقدر عظيم..) المرجع السابق. ص١٩٣ .

٤ ـ (.. لما تولى إسماعيل عرش مصر، في يناير ١٨٦٣، لفتت نظره تلك الامتيازات الواسعة، التي نالتها الشركة من سلفه، وكان فيه إجحاف كبير بحقوق مصر... خاطب الباب العالي في يونيه سنة ١٨٦٣، بشأن موافقته على إنقاص عدد العمال المصريين، الذين يشتغلون في حفر القناة بطريق السخرة، وعلى إلزام الشركة بإعادة ما أخذته من الأراضي المصرية في عهد سعيد إلى الحكومة. وهذا ما

كان يبغيه الباب العالي، وكان قد وقع تحت تأثير انجلترا من هذه الناحية، فوافق على ذلك، وأنذرت الشركة بإيقاف العمل إن لم تقبل بهذه الشروط) المرجع السابق. ص٢٢٢

٥ ـ (... وكان فتح القناة من أهم الأسباب، التي وجهت مطامع الدول نحو مصر، وخاصة انجلترا وفرنسا، فان هاتين الدولتين أصبحتا تكثران من مصالحهما الاقتصادية والسياسية في مصر، وتتخذانها وسيلة للتدخل في شؤون البلاد، وتعمل كل منهما على منع الأخرى من الانفراد فيها) المرجع السابق. ص٢٢٦

المرحلة الثالثة: إستراتيجية التعاون لإلغاء الخلافة وتقاسم أراضيها من ١٨٧٣ إلى ١٩٥٦

(... وما وافى عام ١٨٧٥، حتى وجد الخديوي نفسه في عسر مالي شديد.... فعرض للبيع نصيب مصر في أسهم قناة السويس... فبادر "دزرائيلي Disraeli" رئيس وزراء انجلترا آنذاك، واشترى الأسهم باسم حكومته.... شراء هذه الأسهم، جعل لانجلترا مصالح مالية كبيرة في القناة، بعد أن كانت مصلحتها فيها سياسية فقط... ولما كانت مصلحة فرنسا مالية فقط، أخذت كفة انجلترا في الرجحان، وقام بين السياستين تنافس شديد، انتهى بتغلب السياسة الانجليزية) المرجع السابق ص ٢٣٦

استمرَّت الأزمات المالية في مصر، و استمرَّ التنافس البريطاني الفرنسي لاستثمار هذه الأوضاع السيئة للتدخل في الشؤون الداخلية المصرية، حتى تمَّ تشكيل حكومة مصرية فيها وزراء أوروبيين، وكانت قرارات الحكومات المتعاقبة غير مقبولة شعبيا في مصر وهو ما أثار معارضة قوية، استغلتها بريطانيا لإرسال قواتها إلى مصر واحتلالها في العام١٨٨٢:

(... بلغت الحالة في مصر حدا، دعا الدول إلى عقد مؤتمر بالأستانة، في ٢٣ يونيه سنة ١٨٨٢، للنظر في المسألة المصرية وتطورها، وطلب إلى السلطان إرسال مندوب عن الدولة، ولكنه رفض، بدعوى أن الحالة في مصر لا تستدعي التدخل

في شؤونها، وأن مثل هذا التدخل من اختصاصاته هو فقط، ولا دخل للدول في الأمر. ولكن بالرغم من ذلك، استمر المؤتمر يعقد جلساته... ولكن تطور الحوادث بمصر في خلال ذلك، وضع حل المسألة برمتها في يد انجلترا وحدها، وذلك أن قائد الأسطول الانجليزي "الأميرال سيمور "Sir Beauchamp Seymeur" لاحظ قيام العرابيين بتحصين قلاع الإسكندرية، لضرب الأسطول الانجليزي، وادعى أنهم كانوا يقذفون أحجار كبيرة عند مدخل الميناء لسده... ولما لم يجيبوه إلى طلبه، بدأ إطلاق المدافع عليها... حتى عجزت القلاع وسلمت المدينة، ونزلت الجنود الانجليزية فيها... أما الانجليز فاستمروا في سيرهم نحو القاهرة، ودخلوها بلا مقاومة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢... ومنذ ذلك التاريخ بدأ عهد الاحتلال البريطاني بمصر). تاريخ مصر الحديث. ص ٢٦٩

(... واستمرت فرنسا ناقمة على انجلترا استئثارها بمصر، تعمل على إفساد سياستها وعرقلة أعمالها بوادي النيل، حتى سنة ١٩٠٤، ففي ٨ أبريل من تلك السنة، عُقِد "الاتفاق الودي" الشهير بين انجلترا وفرنسا، وفيه تعهدت فرنسا بإطلاق يد انجلترا في مصر، نظير تعهد إنجلترا بإطلاق يد فرنسا في مراكش...) . المرجع السابق. ص٢٨٨

(... وفي عام ١٩٠٤، تم الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا، فان انجلترا كانت لها في مراكش مصالح تلي مصالح فرنسا في الأهمية، لذلك أخذت تعرقل السياسية الفرنسية هناك، كما كانت تفعل فرنسا في معاكسة السياسة البريطانية في مصر، واستمر ذلك النزاع بين الدولتين، حتى تم عقد الاتفاق بينهما، فتخلت فرنسا عن عرقلة أعمال بريطانيا في مصر، كما أطلقت انجلترا يد فرنسا في مراكش، مع بعض تحفظات خاصة بحرية التجارة لجميع الدول في هذه البلاد) المرجع السابق. ص ٣١٤

وتطوّرت العلاقة بينهما إلى درجة التحالف العسكري في الحرب العالمية الأولى، من سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨. فقد دخلت بريطانيا وفرنسا في حلف عسكري ضد

تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الأولى. ودخلتا أيضا بعد ذلك بين ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥ في حلف عسكري ضد تركيا وألمانيا بالحرب العالمية الثانية. واشتركتا مع إسرائيل في العام ١٩٥٦ بشن حرب على مصر، في محاولة فاشلة لمنع تأميم قناة السويس. ومازالت بريطانيا وفرنسا حتى اليوم أعضاء في حلف الناتو، الذي نشأ بعدانتهاء الحقبة الاستعمارية بظهور عصبة الأمم، ووريثتها الأمم المتحدة.

وهكذا يتبين مما ذكر في هذا القسم، أن الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا، كان أحد أبرز العوامل المؤثرة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بجزيرة العرب والعراق وبلاد الشام وشمال أفريقيا، عندما ظهرت الدعوة الدينية الوهابية والسلطة الوهابية، بجزيرة العرب في الأعوام القليلة السابقة واللاحقة لسنة ١٧٤٤، وهي السنة التي انعقد فيها تحالف أمير قرية الدرعية محمد ابن سعود، وصاحب الدعوة الدينية الوهابية، محمد ابن عبدالوهاب. وسنرى في القسم الثاني، كيف انعقد تحالف الأمير والشيخ، وكيف تطورت السلطة التي أنشأها هذا التحالف.على أن نعود في القسم الثالث لتوضيح العلاقة بين هذا التحالف، والصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا، الذي استعرضناه في القسم الأول.

القسم الثاني: نشأة الوهابية السياسية ومراحل تطورها ١٧٤٤ ـ٢٠٢١

في هذا القسم من الفصل الثاني، نقدم استعراضا للمراحل والأطوار التي مرت بها السلطة الوهابية، والتي تمثل مجتمعة، ملخصاً للتاريخ السياسي الوهابي، الممتد من ١٧٤٤ إلى اليوم. وسنكتفي باقتباسات قصيرة، توضح متى بدأت كل مرحلة ومتى انتهت. ومتى بدأ كل طور ومتى انتهى، وطبيعة السلطة الوهابية في كل مرحلة وكل طور. على أنني سأبدأ بتوضيح هام، وهو أن سلطة آل سعود، كانت قائمة في الدرعية كسلطة محلية شرعية، قبل قدوم محمد ابن عبدالوهاب إلى الدرعية.

هذا توضيح هام، لأن القول بأن "الدولة السعودية الأولى" نشأت بتحالف ابن سعود وابن عبدالوهاب سنة ١٧٤٤، خطأ، فأولاً لا يوجد شيء اسمه "دولة سعودية أولى"، وإنما كان ثمة "سلطة"غير مستقرة، مرت بمراحل وأطوار سنبينها في هذا القسم، وثانيا، فإن سلطة آل سعود كانت قائمة في الدرعية، قبل تحالف حاكم الدرعية محمد ابن سعود، ومحمد ابن عبدالوهاب، وما نتج عن هذا التحالف، هو عقيدة سياسية تقر سلطة آل سعود الوراثية، وتلزم رعية أو شعب الدرعية، بإتباع الدعوة الدينية الوهابية.

يتحدث ابن بشر بإسهاب عن نسب آل سعود، وكيف ومتى ولماذا استوطنوا الدرعية، وكيف نشأت سلطتهم، إلاَّ أنَّهُ لم يحدد تواريخ واضحة لتلك الأحداث، فنكتفي منه بتوضيح أن محمد ابن سعود، هو الحاكم الثاني للدرعية من آل سعود، كما تؤكد المصادر والمراجع المختلفة، وتذكر مصادر متعددة أنه تولى الحكم بعد والده المتوفى سنة ١١٣٧/١٧٢٤، وهذا يعني أن محمد ابن سعود حكم الدرعية لما يقارب ٢٠ عاما، قبل أن ينتقل محمد ابن عبدالوهاب، من العيينة إلى الدرعية سنة ١٧٤٤.

المرحلة الأولى: سلطة محلية شرعية. من ١٧٤٤ إلى ١٧٦٥.

أنشأ آل سعود سلطة محلية في الدرعية قبل سنة ١٧٢٤ وكانت سلطة محلية

شرعية تابعة للدولة العثمانية. وهذا لأنه بحسب قوانين وأعراف الدولة العثمانية، كانت الدولة تقر . آنذاك . كل حاكم في حكمه، ما لم يشتكي منه الناس، ولأنَّ الدرعية فعليا كانت أملاك شخصية لآل سعود، وكل من كان فيها هم أبناء وأحفاد رجل واحد، أو من عبيدهم والعاملين معهم وعندهم، ويمكن الرجوع للمصادر التاريخية المختلفة، لفهم هذه المسألة.

ثم إنه يتبين من مراسلة شريف مكة مع ابن عبدالوهاب، وما جاء في رد ابن عبدالوهاب، أنه . أي ابن عبدالوهاب . كان يتحدث كمجتهد، يحكم بمذهبه في محل ولايته، فليس في ذلك ما يستنكر عليه، ويذكر ابن بشر هذه الوقائع فيقول إن الشريف غالب بعث رسالة إلى عبدالعزيز ابن محمد ابن سعود في سنة ١٢٠٤ يطلب منه فيها أن يرسل إلى علماء مكة، إنساناً عارفاً حتى يعرف حقيقة ما يدعوا إليه وما هم عليه، فأرسل إليه القاضي عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، وبعث ابن عبدالوهاب رسالة مع القاضي عبدالعزيز إلى علماء مكة، ومما جاء فيها (... فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره، امتثلنا وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام. وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد. فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه...) عنوان المجد. ابن بشر. ص ١٧١

ويتبين مما جاء في نص هذه الرسالة كما هو موضح هنا، وبما لا يدعٍ مجالاً للشك، أن محمد ابن سعود ومحمد ابن عبدالوهاب، كانا تابعين سياسياً وإدارياً لسلطة شريف مكة، فلا أحد يقول عن غيره (عندما طلب منا امتثلنا) إلا إن كان الطالب رئيساً يُمتَثلُ لأمره، ولا أحد يحتجُّ بالقول (فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لاينكر عليه) إلا إن كان يقر بأن سلطته، سلطة محليةً محصورة بمحل ولاية محدد. وهو هنا يقول إنه لم يتصرف بشيء خارج حدود سلطته، أو في غير البلاد التي هي في ولايته.

ثم إننا نلاحظ أنَّ التوسع حول الدرعية، في عهد محمد ابن سعود، كان بطيء

ومحدود للغاية، ولم يتعدَ البوادي والقرى المجاورة للدرعية (... وتوفي بعدها في سنة ١٧٦٥ . ١١٧٩ الإمام محمد بن سعود الذي تمكن بقتاله خلال عشرين عام أن يجعل لمذهب التوحيد قدما راسخا في وادي حنيفة حيث بلدة حريملة ومنفوحة. وفي بعض مدن نجد في أرض الوشم وسدير شمالي الدرعية) إمارات الساحل وعمان ص ١٢٧.

وهذا يثبت أن السلطة الوهابية في عهد محمد ابن سعود، لم تتعدى حدود الدرعية، وما حولها من قرى وأرياف وبادية، وهو بينة أخرى على أن محمد ابن سعود، لم يكن يسعى لبسط سلطته، بعيداً عن الدرعية، فعشرين عاماً قضاها محمد ابن سعود حاكماً للدرعية، بعد تحالفه مع ابن عبدالوهاب، لم تحدث فيها حروباً كبرى، ولم يبسط فيها سلطته على مدن أو مناطق بعيدة، وإنما اكتفى بالدرعية وما حولها كحاكم محلي، ولم يكن عاجزاً عن ذلك لو أراد، وسنرى ما فعل من بعده ابنه عبدالعزيز وحفيده سعود، خلال مدة مماثلة، عندما أرادوا أن يبسطوا سلطتهم، خارج حدود الإمارة التي ورثوها عن أبيهم، وهذه بينة كافية لإثبات أن محمد ابن سعود لم يكن عاجزاً عن بسط سلطته في مناطق واسعة من وسط الجزيرة العربية، ولكنه كان ملتزماً برؤيته للسلطة الوهابية، على أنها سلطة محلية فقط، وانتهت المرحلة الأولى سنة ١٧٦٥ بموت محمد ابن سعود.

تميزت هذه المرحلة بظهور العقيدة السياسية الوهابية، ونشأة السلطة الوهابية ذات الولاية المحلية، والتَّوسع البطيء جدا حول الدرعية، وتمثلت الوهابية السياسية في هذه المرحلة، بسلطة محلية ذات رأسين، يتبع فيها السياسي لرجل الدين، وانحصرت فيها الزعامة السياسية في ذرية محمد ابن سعود، وكان ذلك عندما وصل ابن عبدالوهاب إلى الدرعية، والتقى بمحمد ابن سعود سنة ١٧٤٤ . ١١٥٨، فدار بينهما الحوار الآتي، كما يقول ابن بشر في كتاب عنوان المجد (... فسار إليه محمد ابن سعود. ودخل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك. وبالعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر

المبين. وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم. فمن تمسك بها. وعمل بها. ونصرها. ملك بها البلاد والعباد. وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل. والفرقة. والاختلاف والقتال لبعضهم بعض. فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك. وجعل يشرح له الإسلام وشرايعه وما يحل وما يحرم وما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعوة إلى التوحيد والقيام في نصره والقتال عليه. فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك. فبايع الشيخ على ذلك. وأن الدم بالدم والهدم بالهدم. وعلى أن لا يرغب عنه إن أظهره الله. إلا أن محمد بن سعود شرط شرطفي مبايعته للشيخ أن لا يتعرضه فيما يأخذه من أهل الدرعية مثل الذي كان... يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم. فأجابه الشيخ على ذلك رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة أكثر من ذلك. فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه...) المرجع السابق. ص ٤٢

(... وكان الشيخ رحمه الله تعالى لما هاجر إليه المهاجرون يتحمل الدين الكثير في ذمته لمؤنتهم وما يحتاجون إليه، ولحوائج الناس وجوائز الوفود إليه من أهل البلدان والعربان. ذكر لي أنه حين فتح الرياض وفي ذمته أربعون ألف محمدية، فقضاها من غنايمها. وكان لا يمسك على درهم ولا دينار وما أتى إليه من الأخماس، والزكاة يفرقه في أوانه وكان يعطي العطاء الجزيل بحيث أنه يهب خمس الغنيمة العظيمة لأثنين أو ثلاثة، فكانت الأخماس والزكاة وما يجبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها، كلها تدفع إليه، يضعها حيث يشاء، ولا يأخذ عبدالعزيز ولا غيره من ذلك شيئا إلا عن أمره، ولا يركب جيش ولا يصدر رأي من محمد، وعبدالعزيز إلا عن قوله ورأيه...). المرجع السابق. ص ٤٦

المرحلة الثانية: سلطة توسعية خارجة على الدولة العثمانية من ١٧٦٥ إلى ١٨١٨. بدأت هذه المرحلة بتولي عبدالعزيز ابن محمد ابن سعود للسلطة بعد أبيه، وانتهت باستسلام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود لإبراهيم باشا سنة ١٨١٨.

وتميزت هذه المرحلة عن المرحلة الأولى، بثلاثة أمور:

١ ـ توسع كبير جدا لمسرح العمليات الحربية للسلطة الوهابية، في الجزيرة العربية وخارجها.

٢ ـ نزع عبدالعزيز محمد ابن سعود، سلطات محمد ابن عبدالوهاب المتعلقة بالشؤون العامة، أو تخلي محمد ابن عبدالوهاب طواعية، عن تلك السلطات لعبدالعزيز.

٣ ـ علاقة غامضة ولكنّها مؤكدة، بين عبدالعزيز وابنه سعود، وحفيده عبدالله، مع بريطانيا. يقول ابن بشر عن تقلص سلطات محمد ابن عبدالوهاب، في زمن عبدالعزيز محمد ابن سعود ما يلي:

(فلما فتح الله الرياض عليهم، واتسعت لهم الناحية، وأمنت السبل، وانقاد كل صعب من باد وحاضر، جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها بالكلية ولزم العبادة، وتعليم العلم) ص ٤٦

ويخبر ابن بشر عن التوسع في هذه المرحلة على النحو الآتي:

في نجد: (... بدأ الإمام عبدالعزيز بن محمد أولى جولاته مع أمير الرياض دهام بن دواس، وظل يشدد عليه الحملات حتى تمكن من دخول الرياض سنة ١٧٧٣م ـ١١٨٧ هو بذلك سقطت أقوى حصون مقاومة الوهابيين في نجد بعد قتال دام نحوا من ثلاثين عاما. وبخضوع الرياض انتهى تردد مدن نجد بين السعوديين وأعدائهم، فانظم الوشم وسدير نهائيا إلى السعوديين سنة ١٧٧٧ ـ ١١٩٠، ثم خضع القصيم سنة ١٧٧٩ ـ ١١٩٢. وفي سنة ١٧٨٥ـ١١٩٩ استسلمت الدلم بعد صراع طويل... وفي سنة ١٧٨٧ ـ١٢٠٣ أذعن للحكم السعودي جبل شمر على أثر فشل غزوة شيخ المنتفق ثويني بن عبدالله . وهكذا دانت نجد كلها بعد قتال اثنين وأربعين عاما للحركة الوهابية ..) إمارات الساحل ص ١٢٨.

في الأحساء: (... ولكن أهل الأحساء لم يقبلوا الإذعان للحكم السعودي، وأعادوا الاضطراب، فأتاهم سعود سنة ١٧٩٦، وانتقم منهم وأزال حكم بني خالد نهائيا من الأحساء بعد أن دام فيها أكثر من مائة وثلاثين عاما) المرجع السابق. ص ١٢٩ ـ ١٣٠

في الحجاز: قال ابن بشر وهو يذكر أحداث سنة ١٢١٧ هـ في الجزء الأول من كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد (... ودخل سعود مكة واستولى عليها، وأعطى أهلها الأمان...) ولكن محقق الكتاب يصحح المعلومة فيقول بالهامش (... وما ذكره عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه الرسالة أن دخول الأمير سعود ابن عبدالعزيز مكة كان في ثامن شهر محرم سنة (١٢١٨ هـ) هو الحقيقة والصواب لأنه كان مع الأمير سعود في هذه الغزوة) عنوان المجد. ج ١ ص ٢٦٢

في عمان: (... ثم بعد هذه الوقعة أرسل ابن قيس إلى سعود وسلطان ابن صقر وطلب المبايعة على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وبايع على ذلك وبذل مالا كثيرا وشوكة من الحرب وأرسل ابن أخيه سعيد بن سلطان إلى سعود وبذل مالا كثيرا. وبايع على السمع والطاعة. وصار جميع عمان تحت ولاية سعود) وكان هذا في سنة ١٢٢٣. ج ١ ص ٢٩٨.

وفي السنة اللاحقة قام الأسطول البريطاني بتدمير رأس الخيمة في عمان (... وفيها أقبل مراكب الانقريز) هكذا يكتب ابن بشر الانقريز والمقصود الانجليز، ويقول مسكة والمقصود مسقط. (... وفيها أقبل مراكب الانقريز النصارى مستنجدهم سعيد ابن سلطان صاحب مسكة المعروفة في عمان بعد نقضه العهد وقصدوا أهل بلد رأس الخيمة المعروفة في عمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر بن راشد بن مطر أمير القواسم، وبندروا فيها وحربوا أهلها فلم يحصلوا على طايل. فرفعوا على البلد بلورا وجعلوه في عين الشمس، وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها، وكان أكثر بيوتها صرايف وعسبان النخيل، فدخلوا

البلد واستباحوها ونهبوا ما فيها وأشعلوا فيها النيران ودمروها...) ج١ص٣٠٥ مع الإشارة أن القواسم هم أتباع الدرعية في سواحل عمان.

في عسير واليمن: يذكر ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٥ ما يأتي (... وفيها في آخر شعبان سار عثمان بن عبدالرحمن المضايفي بأهل الحجاز وغيرهم. وقصد أرض تهامة واليمن... ثم سار بعده طامي بن شعيب أمير عسير وألمع وغيرهم بعسكره، وتوجهوا إلى البندر المعروف باللحية. فحاصروها وأخذوها عنوة، وأخذوا غالب ما فيها من الأموال من الذهب والفضة والقماش واللؤلؤ والحرير وأنواع الأموال... وقتل من أهلها خلق كثير، قيل إن الذي هلك منهم ألف بين القتيل والهلاك، ودمروا البلد وأشعلوا فيها النيران. وفيها سار طامي المذكور بعسكر كثير من رعاياه من عسير. والحجاز وبيشه ونواحيها وقحطان وغيرهم من البوادي إلى تهامة، وهم نحو عشرون ألف مقاتل، وتوجهوا إلى بندر الحديدة... الخ) عنوان المجد. ج١ ص ٣١٢

في العراق وبلاد الشام: (... وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم بجيش من أهل القصيم وغيرهم. وقصدوا أرض الشام. وأغاروا على عربان الشرارات فانهزموا فقتل منهم نحو مائة وعشرون رجلا. وأخذوا جميع محلتهم وأمتاعهم وأزوادهم وأخذوا من الإبل خمسة آلاف بعير وأغنام كثيرة) وكان هذا في سنة ١٢١٢ هـ. وفي سنة ١٢١٦ سار سعود بجيوشه وقصدوا كربلاء (... وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين. وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون، وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين. وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفراش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك..) ج ١ ص ٢٥٧ . (وفي سنة ١٢٢٥ سار سعود وقصد نقرة الشام المعروفة، لأنه بلغه الخبر أن بوادي الشام

وعربانه من عنزة وبني صخر وغيرهم فيها. فلما وصل تلك الناحية لم يجد فيها أحدا منهم، وإذا قد سبقه النذير إليهم فاجتمعوا على دويخي بن سمير رئيس ولد علي من عنزة. وهو من وراء الجبل المعروف بطويل الثلج قرب نابلس نازلين عين القهوة من جبال حوران. ولما بلغ ابن سمير ومن معه إقبال سعود إليهم انهزم بمن معه من البوادي ونزلوا الغور من حوران... الخ) ج١ ص٣١٠

إنَّ سر هذه القوة العجيبة التي امتلكتها السلطة الوهابية، التي مكنتها من التوسع الكبير داخل جزيرة العرب، وما وراءها من بلاد العراق والشام، هو العلاقة مع بريطانيا، وسنتحدث عن ذلك في القسم الثالث من هذا الفصل،

ولكننا نكتفي الآن بلفت انتباه القارئ، إلى أن السلطة الوهابية في هذه المرحلة، لم تعد سلطة محلية، فهذا التوسع الكبير في أراضي الدولة العثمانية، والاستيلاء على الحجاز والأماكن المقدسة فيه، كان يعني عملياً أن السلطة الوهابية أصبحت ـ بعد موت محمد ابن سعود ـ تسعى للولاية العامة على المسلمين عامة، وبذلك يتبين أن استخدام لقب "الإمام" من قبل الوهابيين لوصف حكامهم، هو استخدام حقيقي وليس استخداماً مجازياً، كما يزعمون ويروِّجون. لقد سعوا ـ آنذاك ـ لانتزاع الخلافة من العثمانيين، ولكنَّهم فشلوا، وسنرى فيما بعد كيف أن هذا الاختلاف بين رؤية محمد ابن سعود للسلطة الوهابية التي أرادها سلطة محلية، ورؤية ابنه عبدالعزيز، الذي أرادها ولاية عامة على المسلمين، مازالت تثير صراعاً دامياً حتى اليوم، بين أحفاد محمد ابن سعود، حول هوية السلطة الوهابية.

وعن نهاية هذه المرحلة، يخبر ابن بشر بإسهاب ضمن حوادث سنة ١٢٣٣، عن تفاصيل الحملة المصرية التي قادها إبراهيم باشا، ونكتفي من كل ذلك باستسلام عبدالله سعود عبدالعزيز محمد ابن سعود لإبراهيم باشا، لأن هذه هي النهاية الرسمية للمرحلة الثانية من المراحل التي مرت بها السلطة الوهابية.

(ثم تفرق عن عبدالله أكثر من كان عنده، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا

فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للروم) يصف ابن بشر المصريين بأنهم روم، لأنهم أتباع الترك وهو يرى أن الترك من الروم (وفدى بها عن النساء والولدان والأموال، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة، فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء... ولما كان بعد المصالحة بيومين أمر الباشا عبدالله سعود أن يتجهز للمسير إلى السلطان. ثم أمر على رشوان آغا ومن معه من العساكر، وعلى الدويدار ومن معه من العساكر أن يتجهزوا للمسير مع عبدالله. فرحل معهم عبدالله من الدرعية وليس معه من قومه إلا ثلاثة رجال أو أربعة، فساروا به بتلك العساكر وقصدوا مصر ثم ساروا به من مصر إلى الروم وقتل هناك رحمه الله وعفا عنه). عنوان المجد ج١ ص ٤١٦، ٤٢١

المرحلة الثالثة: سلطة محلية غير مستقرة. ١٨٢٠ إلى ١٨٨٩

بدأت هذه المرحلة بعد أشهر قليلة من قضاء الحملة المصرية على السلطة الوهابية، التي كانت قائمة في الدرعية حتى العام ١٨١٨، وتنقسم هذه المرحلة إلى طور أول شهد عودة السلطة الوهابية، في ظل الحكم المصري المباشر لوسط الجزيرة العربية، وطور ثاني حدث فيه تنازع على السلطة بين الوهابيين، وهي الأحداث التي يسميها الوهابيون في مراجعهم "الحرب الأهلية" التي أدت في نهاية الأمر لزوال السلطة الوهابية، وذلك في العام ١٨٨٩ عندما بسطت إمارة جبل شمر سلطتها، على الأراضي التي كانت تتبع للسلطة الوهابية.

الطور الأول: سلطة محلية تابعة للدولة العثمانية ١٨٢٠إلى ١٨٦٧.

في هذا الطور نجد أن السلطة الوهابية ولفترة طويلة من الزمن، لم تكن تنتقل من الحاكم إلى أخيه أو ابنه، وإنما كانت تنتقل بين أبناء العمومة من أحفاد محمد بن سعود، وأحفاد أخيه ثنيان، لاعتبارات متعددة. فأول حكام هذا الطور هو مشاري ابن سعود، حفيد محمد ابن سعود من ابنه عبدالعزيز، ثمَّ تولى السلطة بعد مشاري، تركي ابن عبدالله ابن محمد ابن سعود، وهو حفيد محمد ابن سعود من

ابنه عبدالله، ثمَّ انتقلت السلطة من تركي إلى ابنه فيصل، وبعد أن اعتقل المصريون فيصل، انتقلت السلطة إلى عبدالله بن ثنيان وهو حفيد ثنيان أخو محمد ابن سعود، وليس من أحفاد محمد ابن سعود نفسه. ثم عاد فيصل للسلطة، وانتقلت السلطة بعد موته إلى ابنه عبدالله، الذي بدأ تقاتل الوهابيين بعهده، ولا شك أن حالة الاضطراب هذه بطريقة انتقال السلطة التي سادت من بداية هذه المرحلة، هي التي تسببت في نهاية المطاف بتقاتل الوهابيين بعد فيصل ابن تركي.

يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٣٤ عن بداية هذا الطور ما يلي:(ثم إن الباشا) يقصد إبراهيم باشا (أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد المصالحة، وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائهم أن يرحلوا من الدرعية إلى مصر، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم، وسار معهم كثير من العساكر، ولم يبقى منهم إلا من اختفى أو هرب). وبعد أن رحل إبراهيم باشا وجيشه عائداً إلى مصر، أبقى قوة من الجيش في نجد لحكمه حكماً مباشراً، وفرض وإظهار سيادة الدولة العثمانية، التي تبين أن الوهابيين لا يفهمون معناها، ولا يفهمون أن هذه البلاد جزء من الدولة العثمانية، إلا برؤية القوات المسلحة التابعة للدولة العثمانية.

ولكن الوهابيين لم يتم تهجيرهم وترحيلهم جميعاً، لأن بعضاً منهم اختبأ أو هرب كما يقول ابن بشر، ولما رحل إبراهيم باشا وعاد الهدوء إلى نجد والجزيرة العربية، عاد أولئك الهاربين وظهر الذين كانوا يختبئون ليعملوا على ممارسة السطو المسلح مجدداً، ويذكر ابن بشر ذلك على النحو الآتي:

(وفي آخر هذه السنة) يقصد سنة ١٣٣٤ (رحل محمد مشاري معمر من بلد العيينة ونزل الدرعية، وكان لما هدم الباشا الدرعية رحل منها ونزل العيينة، فلما رحل الباشا عن نجد وسار بآل سعود إلى مصر، وذهبت أموالهم ورجالهم، طمع في ملك نجد، وكان خاله عبدالعزيز بن محمد وعبدالله بن محمد آل سعود ... وعنده من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يعد. فلما نزل بلد الدرعية سعى في

عمارتها، وأظهر إعادة الدعوة، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة..). ويقول في حوادث سنة ١٢٣٥ (...ثم إنه تمكن أمره في البلدان، وصار له فيها دعاة، ثم قدم إليه في الدرعية تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد، وصارا عنده وساعداه... وفي عاشر جمادي الآخرة قدم مشاري بن سعود الوشم. ثم سار منه إلى الدرعية ومعه عدة رجال من أهل القصيم وأهل الزلفي وأهل ثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام. وقدم الدرعية ونزل في بيت من بيوت إخوانه. فانزعج ابن معمر وهم بالامتناع والمحاربة، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح وبايع لمشاري بن سعود واستقام الأمر له...). ويخبرنا ابن بشر بعد أن عدد من توافدوا على الدرعية من آل سعود وغيرهم، بأول ما قام به مشاري قائلا (وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود أمر على أهل البلدان الذين بايعوه بالغزو..) إلاَّ أنَّ الأمر لم يطل على هذا الحال، فقد ظهر بين أحفاد محمد ابن سعود، تيار سياسي جديد أزاح أنصار السطو المسلح من السلطة، وبدأت تظهر ممارسات سياسية غير مألوفة في السلطة الوهابية.

نحن الآن نتحدث عن ما يسمونه "الدولة السعودية الثانية"، وقد سبق أن ذكرنا أن الوهابيين لم يكن لهم دولة قبل سنة ١٩٢٦، وهي السنة التي أعلن فيها إنشاء مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها. ولذلك من المهم أن ننتبه إلى أنَّ أهمَّ معالم الفكر السياسي الجديد الذي ظهر في نجد، مع تركي ابن عبدالله بن محمد ابن سعود وابنه فيصل، كان فهمهم لهذه المسألة وتعاملهم مع جيرانهم من ولاة العراق ومصر وأشراف الحجاز، كواقع سياسي قائم لا قبل لهم بتغييره، ولم يكونوا يسعون لذلك. ويخبر ابن بشر عن ذلك فيما كتبه عن حوادث سنوات عدة:

(..وأتى إليه) يتحدث عن تركي بن عبدالله (مكاتبات من علي باشا بغداد) هكذا فقط ولم يبين ابن بشر أي شيء عن مضمون أو أسباب هذه المكاتبات التي ورد ذكرها ضمن حوادث سنة ١٢٤٧. (... وفي هذه السنة) يقصد سنة

1263 (كان ظهور الشريف محمد بن عون إلى نجد، وذلك أن الإمام فيصل متع الله به كثير الحلم والعطاء والتودد إلى الناس لاسيما الأشراف، وكان عند الشريف في مكة أناس من رؤساء أهل القصيم، وكانت فيهم عداوة لهؤلاء الطائفة، فزينوا له أنه إن سار إلى نجد فلا يقاومه فيها أحد، ولا يثبت فيصل في مكانه، فطمع الشريف في ذلك...الخ). ومما جاء ذكره مع حوادث سنة ١٢٦٧ قوله (... رجعنا إلى ذكر تمام قصة عبدالعزيز أمير بريدة، ثم إنه كما ذكرنا كان عند شريف مكة وأقام عنده عدة أشهر يتودد إليه... فرجع إلى النزعة بعد الفزعة وطلب من الشريف الشفاعة عند فيصل وانه يرجع إلى بلده ويجتمع بماله وولده. وكان الإمام كما تقدم قد تجهز إلى قطر، فصارت رسل الشريف تتردد بينه وبينه وهو في قطر، فأرسل الإمام إلى أخيه جلوي أن لا يركب من القصيم حتى يقدم عليه عبدالعزيز، فما زال الشريف يتودد إلى فيصل ويشفع لعبدالعزيز أن يرده أميراً في بلاده ولا عليه بأس، ولا له أمر ولا نهي على أحد من الناس، فسمح له بذلك ... الخ).

كذلك فقد ظهر في عهد تركي ابن عبدالله، الخطاب السياسي الموجه للشعب لأول مرة في أدبيات الوهابيين، ومع أنَّ الخطاب الذي أورده ابن بشر مع حوادث سنة ١٢٤٩ يغلب عليه النصح والوعظ والإرشاد الديني، إلا أنه يتضمن أوامر إدارية لأمراء البلدان تتعلق بمراقبة الأسواق وضبط الموازين، وهو خطاب طويل نقتبس منه ما يبين للقارئ، أن هذا لم يكن خطبة دينية أو موعظة فحسب، بل كان خطاباً سياسياً بالمعنى الحقيقي:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من تركي بن عبدالله إلى من يراه من المسلمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، موجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن أحوالكم والنصيحة لكم، والشفقة عليكم والمعذرة من الله إذ ولاني أمركم) توضح هذه العبارة الأخيرة (ولاني أمركم) أنه لا يتحدث إلى عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما توحي عبارة (إلى من يراه من

المسلمين) وتوضح عبارة (ولاني أمركم) أنه يتحدث لشعبه الذين ولاه الله أمرهم. (... وكذلك المكاييل والموازيين وأنا ملزم كل أمير يحضر مكاييل بلده كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد، وكذلك تفعلون بالموازين، وتفقدوا الناس في كل شهر، ولا يحل بخس المكيال والميزان، ولو كانت المعاملة مع ذمي كما في الحديث الشريف "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"...) وبعد أن يورد ابن بشر الخطاب كامل، يعلق عليه ويذكر ما يلي:

(... وهذه وما في معناها صفة مراسلاته ونصائحه لرعيته التي يبعث بها في كل سنة إلى كل ناحية، وهذه عادته وعادة ابنه فيصل، يرسلون النصائح للرعايا في كل سنة لكل بلد ورقة، ولو رسمت نصائحهم ومراسلاتهم المتضمنة لذلك، وشدة تعاهدهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىالله دائما لا يفترون، لبلغت كتابا... الخ). ومما ظهر في عهده مما هو دال على فكر سياسي جديد، بروتوكول للتشريفات والعرض العسكري يكاد أن يكون كاملا، في سياق حديث ابن بشر عن سيرة تركي عبدالله في الحروب فقال:

(أما سيرته في مغازيه فإنه إذا أراد الغزو كتب لأمراء البلدان ورؤساء العربان وواعدهم يوما معلوما في شهر معلوم، ثم يخرج رحايل زهابه وزهبته، ومدافعه إن كانت، وآلات ضيفه وعليق خيله قبله بنحو خمسة عشر يوما، ثم بعد ذلك يظهر الراية فتركز قريبا من باب قصره قدر يومين أو ثلاث ثم إنه يختار من الأيام يوم الخميس أو يوم الاثنين يركب فيه إذا علم أنهم قد تهيأوا، فإذا ركب من قصره وقف له الفرسان على خيلهم من بنيه وعشيرته وخيالته، وتشد النجايب العمانيات بآلاتهن وراءه، وتقف له الرجال والأطفال والأرامل والمساكين فيدعون له ويودعونه، ويبذل لهم العطاء... الخ). عنوان المجد. ج٢. ص١١١

وظهرت في عهده محاسبة أمراء البلدان وقادة الحرب، ويقول ابن بشر في ذلك: (... أخبرني من حضر ذلك الجمع انه قال: (اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا

أمراء المسلمين، إياكم وظلم الرعايا، والأخذ منهم غير الحق، فإذا ورد عليكم أمري بالمغزى حملتموهم زيادة لكم إياكم وذلك، فلأنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب لغزوهم إلا من أجل الرفق بهم، وإني ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذي قبل، والله تعالى وتبارك يقول: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين". وإذا ورد عليكم أمري فرحتم بذلك لتأكلوا في ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقط عليه، فأعلموا أني لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا كثيرا ولا قليل، فمن حدث منه ظلم أو تعدي على رعيته بغير حق فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه بأهله". ثم تكلم رحمه الله للرعايا فقال لهم أيما أمير ظلمكم فأخبروني. فقام أمير بريده عبدالعزيز ابن محمد بن عبدالله بن حسن فقال: يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعمم به، فإن كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله، فقال: إنما القول فيك وأمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام) عنوان المجد. ج٢. ص ٨٩

ومن حوادث سنة ١٢٥٦ يقول ابن بشر (فلما كان آخر رمضان أرسل خالد إلى أهل البلدان بالمغزا) هنا هو يتحدث عن خالد سعود الذي تولى السلطة بعد ترحيل فيصل تركي إلى مصر (وأمر على البلدان يقدمون إليه، واستلحق أحمد السديري وأمراء سدير، فلما قدموا عليه في الرياض أنزلهم في بيوت، وأمر على الغزو ينزلون خارج البلد، ثم دعا أهل سدير فدخلوا عليه، فلما جلسوا عنده قال: إني ما أحضرتكم إلا أني أريد أن أزيل عنكم المظالم، وأنه بلغني عن أحمد السديري أنه ظلمكم وأخذ كثيرا من أموالكم، وهذه من خالد والله أعلم غيرة مما رأى من إكرام خرشد لأحمد وحظه عنده، فتكلم أناس من سدير في السديري وقدحوا فيه، وتكلم آخرون بضد ذلك، ثم قام خالد من المجلس، وأمر على بلال الحرق مملوك عبدالعزيز بن سعود أن يركب ويقصد بلدان سدير ومنيخ، وأمره أن يدخل كل بلد ويكتب كل ما أخذه أحمد منهم، فقدم بلال بلدان سدير في ذي القعدة ودخل كل بلد وكتب ما أخرجوه في مغازيهم وما

ينوبهم على يد أحمد وابنه محمد، فلما قدم بلال الرياض، ورأى ما مع بلال من التزويرات عزل أحمد عن سدير، وعزل أمراء سدير الذين كان اتهمهم أنهم من أعوانه... الخ) المرجع السابق. ص١٨٥

ويلاحظ هنا أنَّ ابن بشر يدافع عن أحمد السديري، فيقول إنَّ خالد ربما فعل ذلك غيرة من أحمد السديري، هكذا يقول ابن بشر دون أن يقدِّم بيّنةً على ذلك، بل إنَّ الوقائع التي يذكره ابن بشر تؤكد أن خالد، بذل جهده للتحقق من الاتهامات الموجهة لأحمد السديري، فبعث من يقابل الناس ويسمع منهم، فلم يعزل أحمد السديري إلا بعد أن استكمل إجراءات المحاسبة الصحيحة والعادلة. إلاَّ أننا لن نتوقف طويلاً عند رأي ابن بشر حول سبب عزل أحمد السديري، لأن ما يهمنا هو توضيح أن فكراً سياسياً جديداً، ظهر في السلطة الوهابية بعهد تركي بن عبدالله وابنه فيصل، ومن مظاهر هذا الفكر السياسي الجديد، محاسبة ومعاقبة أمراء البلدان وقادة الجيش، ومن مظاهر الفكر السياسي الجديد، اتِّخاذ تركيٍ عبدالله ابن سعود آل سعود، الرياض عاصمة للسلطة الوهابية سنة ١٢٤٠/ ١٨٢٥، بدلا من الدرعية.

ومما تميزت به هذه المرحلة، وهذا الطور، انتقال الحق بتوارث السلطة من أحفاد عبدالعزيز محمد ابن سعود، إلى أحفاد عبدالله محمد ابن سعود، وكان أول من تولى السلطة من أحفاد عبدالله محمد ابن سعود، هو تركي ابن عبدالله محمد ابن سعود.

الطور الثاني: تقاتل الوهابيين على السلطة ١٨٦٧ إلى ١٨٨٩

بدأ هذا الطور سنة ١٨٦٧ بموت فيصل ابن تركي ابن عبدالله ابن محمد ابن سعود، وتولي ابنه عبدالله السلطة، وانتهى سنة ١٨٨٩ بهروب الحاكم الوهابي آنذاك، عبدالرحمن ابن فيصل آل سعود إلى الكويت، وتبعية الرياض وما حولها من بلاد إلى جبل شمر. ونظراً لأن كتاب عنوان المجد لابن بشر، لا يشمل هذه

الأحداث وما بعدها، لأنه منتهي قبل موت فيصل تركي، فسوف نعتمد على مصدر آخر هو كتاب "تاريخ ملوك آل سعود" الذي ألفه، ونشره في العام ١٩٦٢، أحد أحفاد ثنيان ابن سعود ابن محمد آل سعود، وهو سعود ابن هذلول ابن ناصر ابن فيصل ابن ناصر ابن عبدالله ابن ثنيان ابن سعود ابن محمد آلسعود.

يقول سعود ابن هذلول، إن فيصل ابن تركي كان له أربعة أبناء، هم عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن، وبعد موت فيصل تولى السلطة ابنه عبدالله، وحدث نزاع بينه وبين أخوه سعود، دون أن يبين سبب هذا الخلاف، ونتيجة لهذا الخلاف، خرج سعود من الرياض، ودخل في قتال مع أخوه عبدالله، هكذا بدأ التقاتل بين أبناء وأحفاد فيصل، وما يهمنا من ذلك، هو أن القتال بينهم استمر على جولات ومعارك عديدة، ولم ينتهي إلا بزوال السلطة الوهابية في العام ١٨٨٩، عندما هرب عبدالرحمن بأهله إلى الكويت، وتبعت أراضي السلطة الوهابية إلى إمارة جبل شمر، نتيجة لذلك.

والأمر الآخر الذي نريد أن نلقي عليه الضوء، هو أن الأراضي التي كانت تابعة للسلطة الوهابية آنذاك، كانت تقتصر على الرياض وما حولها. وعن هذا يقول سعود ابن هذلول ما يأتي:

(وبعد ثلاثة أيام من رجوعهم تكاملت على ابن رشيد جنوده فخرج من حائل وقصد الرياض... وعند وصوله إلى ضواحي الرياض وجد البلاد محصنة وأهلها قائمين للدفاع عنها فحاصرها أربعين يوماً... وشدد الحصار عليها وأهلها يدافعون عنها أشد الدفاع ثابتين لمقاومته وأخيراً تفاوضوا بعقد صلح، فخرج على ابن رشيد من البلد وفد من قبل الإمام... وبعد المفاوضة تم بينهم الصلح على أن تكون إمارة الرياض وتوابعها من بلدان العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب من الخرج والأفلاج والحوطة والحريق تابعة للإمام عبدالرحمن...) تاريخ ملوك آل سعود ص ٥٠

إن هذه الوقائع التي يذكرها سعود ابن هذلول، هي التي تبين بوضوح حالة عدم الاستقرار الزماني والمكاني للسلطة الوهابية منذ نشأتها، فمرَّةً تظهر للوجود وتشغل العالم بحروبها وأطماعها، ثم تزول من الوجود ومرَّةً تتوسع الأراضيٍ الخاضعة لها، حتى تصل أطراف بغداد ودمشق شمالاً، وصنعاء ومسقط جنوبا، ومرة أخرى تنكمش وتتقلّص سيطرتها على الأرض، حتى تصبح سلطة فاشلة عاجزة عن حماية نفسها وعاصمتها، مرة يحاصر إبراهيم باشا الدرعية ويأسر أئمة الوهابيين، ويرسلهم إلى القاهرة وإسطنبول، ومرة أخرى يفر إمام الوهابيين عبدالرحمن ابن فيصل بأهله إلى الكويت، ويترك عاصمته الرياض،لابن رشيد حاكم إمارة جبل شمر، فهذه سلطة غير مستقرة زمانياً ومكانياً، وهو الحال الذي دام لأكثر من قرنين من الزمان، من ١٧٦٥ إلى ١٩٢٦، ومع أن السلطة كانت تنتقل من الأب إلى أكبر أبنائه قبل الحملة المصرية، إلاَّ أنَّ حالة عدم الاستقرار في السلطة الوهابية لم تَزُلْ، إلا بظهور الدولة الوهابية سنة ١٩٢٦،ثمَّ عادت من جديد بعد موت عبدالعزيز ابن عبدالرحمن سنة ١٩٥٣، كما سنبين ذلك لاحقا.

المرحلة الرابعة: سلطة محلية انتقالية. ١٩٠٢/١٩٢٦

بدأت هذه المرحلة بعودة عبدالعزيز عبدالرحمن فيصل آل سعود، في سنة ١٩٠٢ من الكويت إلى الرياض، بهدف إعادة إحياء السلطة الوهابية، وقد تم له ذلك، عندما نجح بالتسلل إلى قصر حاكم الرياض الذي كان معيناً من قبل حاكم جبل شمر، فقتله وأعلن إعادة حكم أسلافه، وهكذا تكون قد بدأت مرحلة أخرى، من مراحل تطور الوهابية السياسية، وأنا أصف هذه المرحلة بأنها كانت مرحلة انتقالية، لأنَّها كانت كذلك على جميع المستويات المحلية والإقليمية والدولية، فعلى المستوى المحلي، كان الوهابيون قد اكتشفوا . بعد تقاتلهم الذي أنهى سلطتهم، أنَّهم أضعف وأقل شأناً من أن يطمحوا لمواجهة خصومهم الأقوياء، والتغلب عليهم، فعاد عبدالعزيز إلى الرياض وهو يأمل فقط، بأن يحكم الرياض وما حولها.

وإقليمياً كانت إمارة جبل شمر في حائل، قد أصبحت قوة ضاربة في وسط الجزيرة العربية، وهي التي كانت قد أزالت حكم الوهابيين من الرياض، قبل أعوام قليلة من عودة عبدالعزيز إلى الرياض.

ودولياً، كانت الدولة العثمانية والقوى الأوربيّة منخرطة في صراع معقد، مشحون بالأطماع والمصالح المتناقضة، لدرجة أنَّ الجميع كانوا مدركين، أن الأفق بات ضيقاً أمام الحلول السياسية والدبلوماسية، لتسوية الخلافات والتوفيق بين المصالح المتناقضة، وكان الجميع يستعدون لحرب عالمية، باتت وشيكةً، تنقسم هذه المرحلة التي بدأت باستعادة عبدالعزيز لإمارة الرياض إلى ثلاثة أطوار، وذلك على النحو الآتي:

الطور الأول**:** سلطة محلية تابعة للدولة العثمانية ١٩٠٢/١٩١٤.

بعد أن استردَّ عبدالعزيز إمارة الرياض، بدأت الخلافات تتجدد بينه وبين جاره الشمالي القوي، وكانت القصيم التي تمثل خطوط التماس بينهما، هي موضع الاشتباك الكبير الأول بينهما. أراد عبدالعزيز أن ينتزع القصيم من إمارة جبل شمر، وكان آل رشيد له بالمرصاد، فوقعت بينهما مواجهة عسكرية تدخلت فيها القوات التركية، للفصل بين الطرفين.

ما يهمنا من أمر هذه المواجهة في القصيم، بين عبدالعزيز وإمارة حائل، هو أنها توضح ما نقصده بالقول: إنَّ السُلطةَ التي أنشأها عبدالعزيز في الرياض، في هذه المرحلة، وهذا الطور تحديداً، كانت سلطة محلية تابعة للدولة العثمانية، فهنا نرى ولاية البصرة تتدخل بين الطرفين، وتجري مفاوضات معهما، وتنتهي لاقتراح جعل القصيم منطقة محايدة بين الطرفين، ووضع قوات تركية في القصيم، للفصل بين إمارة الرياض، وإمارة جبل شمر.

ليس هذا فحسب، بل إنَّ المراجع والمصادر المختلفة، تؤكد أن ولاية البصرة اقترحت على عبدالعزيز تعيينه متصرفاً في الرياض والأحساء، ولا نجد من ينكر

هذه الوقائع التاريخية حتى في المراجع الوهابية الرسمية، إلاَّ أنَّ المراجع الوهابية تقول، إنَّ هذا العرض لم يطبق، لأنَّ حاكم حائل رفضه، وأصر على أن القصيم تابعة له.

(كانت حالة نجد حين قيام هذه النهضة، تختلف كثيراً عنها حين وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية، أو حين نهوض تركي عبدالله لإحياء الدولة، فقد كانت في المرة الأولى خاضعة لعدد من الأمراء والشيوخ، يحكمها كل منهم لحسابه وعلى طريقته. وكانت في المرة الثانية خاضعة للحكم العسكري المصري. أما في هذه المرة فهي خاضعة لشيخ واحد هو محمد بن الرشيد شيخ شمر، باستثناء منطقة الحسا الشرقية، فقد كانت بيد الترك يديرونها مباشرة ولحسابهم) تاريخ الدولة السعودية لسعيد أمين. ج٢. ص ٣١.

(كاتب ابن الرشيد حلفاءه الأتراك، بعد الهزيمة التي لحقت به وبعد ما تبين عجزه عن اقتحام الرياض وإخضاعها، مستنجداً بهم وطالباً قوات كبيرة لمشاركته في القتال وقال لهم إن ترك ابن سعود وشأنه يؤلف خطراً على مراكزهم في داخل الجزيرة، فرأى ولاة الأمور الترك في البصرة، وكانوا يشرفون على شؤون نجد الإدارية والعسكرية، انه صار عليهم إن يتدخلوا ويقفوا في سبيل النهضة السعودية الجديدة وكتبوا بذلك إلى الأستانة يطلبون موافقتها فقالت لهم بعد أخذ ورد طويلين إن عليهم أن يدعو الفريقين إلى مؤتمر مشترك يضم مندوبيهم ومندوب الحكومة فيعالج المشكلة ويسوي الخلاف ويعيد المياه إلى مجاريها. وتم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر في البصرة. ومثل السعودية في هذا الاجتماع أو المؤتمر الإمام عبدالرحمن الفيصل وجاء مندوب من آل رشيد. ومثل تركيا فخري باشا والي البصرة. واجتمع المؤتمر في الزبير بجوار البصرة. وتقدم المندوب التركي بالمقترحات الآتية لتكون قاعدة للبحث وهي:

١ ـ تكون مقاطعة القصيم، منطقة حياد بين السعودية وآل رشيد.

٢ ـ تقيم الدولة العثمانية حامية فيها لصيانة الأمن والنظام ومنع التصادم.

٣ ـ تعين الدولة عبدالعزيز بن سعود قائمقام . حاكم . على نجد). المرجع السابق ص ٣٧

ويبين أمين بعد ذلك ما انتهى إليه الاجتماع فيقول (وقال المندوب السعودي انه مع رغبته في الاتفاق والتعاون مع الدولة إلا انه غير مفوض بالتوقيع وان عليه أن يرجع إلى حكومته لأخذ رأيها. وطلب تأجيل الاجتماع فأجل... وأعلنت حكومة الأستانة، بعد فشل المؤتمر، عزمها على تنفيذ المقترحات التي تقدمت بها لأنها في رأيها أفضل وسيلة لإعادة السلام إلى نجد، ومضت فأعدت حملتين عسكريتين مشت الأولى من البصرة وكانت بقيادة المشير أحمد فيضي باشا قائد العراق العسكري، ومشت الأخرى من المدينة المنورة وكانت بقيادة اللواء صدقي باشا... ودارت مباحثات للتوفيق بين الرياض واحمد فيضي باشا، القائد العامٍ للحملة، فتم الاتفاق على عقد اجتماع أو مؤتمر في عنيزة لحل المشاكل سلماً. ومثل الإمام عبدالرحمن الرياض في المؤتمر، وأثار الترك مشروعهم القديم وأعلنوا تمسكهم به، واظهر السعوديون بعض التساهل بانتظار ظروف أوفق، فتقدمت المباحثات وتم الاتفاق مبدئيا على الشروط الآتية:

١ ـ تكون القصيم منطقة حياد تفصل بين الرياض وحائل.

٢ ـ يكون للدولة قاعدتان عسكريتان في القصيم للمحافظة على الأمن في : بريدة وعنيزة.

٣ ـ تعين الدولة عبدالعزيز ابن سعود حاكماً على المقاطعة.

وقبل أن يوقع الاتفاق النهائي تلقى المشير احمد فيضي باشا أمرا بتعيينه والياً على اليمن وقائداً عاماً للحملة التي قررت الحكومة العثمانية إرسالها إلى ذلك القطر لإخماد ثورته، وفك الحصار عن عاصمته . صنعاء . فغادر القصيم وحل محله في القيادة صدقي باشا. ووقع إبان انعقاد المؤتمر خلافا بين الترك وبين ابن رشيد. لقد أراد هذا من الاستنجاد بهم، ودعوتهم للتدخل، أن يكونوا عوناً له في محاربة ابن سعود والقضاء على القوة العسكرية التي أنشأها، وأن يطلقوا يده في

حكم نجد... وأبى المشير احمد فيضي باشا أن يأخذ برأيه وقال إن أوامر الأستانة صريحة ولايمكن الخروج عن دائرتها. وحاول ابن رشيد أن يقنع صدقي باشا، بوجهة نظره حينما انتقلت القيادة إليه. فأجابه بأنه لا سبيل إلى مخالفة تعليمات الحكومة فانسحب من المؤتمر محتجاً وناقماً، فكان ذلك من أسباب فشله وحبوطه) المرجع السابق ص ٣٨ وما بعدها.

هكذا يقول أمين سعيد ويكرر القول بأنَّ الاجتماع فشل، ليصرف نظر القارئ عن النتيجة الحقيقية لهذه الاجتماعات، ولكن لا بأس، فهكذا يكتب الوهابيون تاريخهم، والحقيقة التي يعرفها أمين ويلمح لها، هي أن عبدالعزيز تمَّ تعيينه قائمقام، لأن عبدالرحمن حضر الاجتماع الأول، ولم يرفض المقترح التركي، وإنَّما طلب التأجيل فقط لأنَّه غير مفوض بالتوقيع على الاتفاق، ثم حضر الاجتماع الثاني وهو مفوض بالتوقيع هذه المرة، ولكن ابن رشيد انسحب من الاجتماع. وهذا يكفي أنَّ المندوب الوهابي ذهب إلى الاجتماع، وهو مفوض بقبول تعيين عبدالعزيز قائم مقام في نجد، فمجرد حضور مندوب عبدالعزيز في هذه الاجتماعات، وقبوله بمخرجاتها، يؤكد ما نتحدث عنه الآن، من أن السلطة التي أنشأها عبدالعزيز بعد استعادته للرياض، كانت سلطة محلية تابعة للدولة العثمانية.

ويروي سعود ابن هذلول، وقائع أكثر دلالة على أن عبدالعزيز كان موظفاً رسمياً في الدولة العثمانية، ومن ذلك قوله إنَّ ولاية البصرة طلبت منه نشر قوات تابعة له في الأحساء، وقوله إنَّ عبدالعزيز أمر قواته في الأحساء، أن لا يأخذوا السلاح من الجنود الأتراك المنسحبين من أمامهم. (عندما رجع عبدالعزيز من غزوة أبي دخن إلى الرياض أقام بها عدة شهور ثم غادرها قاصدا القصيم في بريدة فقدمت إليه الوفود من العراق أو على الأصح من حكومة الأتراك، لأن الحرب العظمى كانت قائمة على قدم وساق، وقد اندلعت نيرانها في أوربا ووصل لهيبها إلى الشرق الأوسط. وكان أمراء العرب كلهم فيها على الحياد ما عدا الشريف حسين. جاء هذا الوفد إلى بريده لمقابلة ابن سعود يطلب منه المساعدة وتقدم له

الحكومة التركية كل ما يطلب وما يحتاج إليه من مال وسلاح وذخيرة وعتاد فلم يلبي له طلبا، وقد كتب للدولة كتابا ردا على كتابتها يقول فيه أنه عربي ولا يحارب العرب من أجل الدولة التركية وأنه ومحمد بن إدريس الذي يحكم مقاطعة تهامة وحليف ايطاليا على وئام، ثم إن بلاده بعيدة عنه ولا يتمكن من محاربة أهلها.عادت الحكومة التركية فطلبت من عبدالعزيز أن يخص الأحساء بجنود من عنده لحماية تلك النواحي ومن فيها من الأتراك فرفض ذلك أيضا، ثم كتب له سليمان شفيق باشا... يسأله عن أمراء العرب وعن شقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة التركية... وهذه خلاصة ما جاء في كتابه إلى الوالي سليمان باشا شفيق وكان حينذاك واليا على البصرة: إنكم لم تحسنوا إلى العرب ولا عاملتموهم على الأقل بالعدل... فهاكم رأيي... إنكم مسؤولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم بأن تحكموا فما تمكنتم حتى من ذلك. فقد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته وقد فاتكم أيضا أن صاحب السيادة لا تستقيم أموره إلا بالعدل والإحسان، وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون بما خسروا إذا سلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا أربكم منهم فلم توفقوا إلى شيء من هذا ولا ذاك لم تنفعوا العرب ولم نفعتم أنفسكم فعلى كل حال أنتم الآن بحاجة إلى راحة البال لتتمكنوا من النظر في أموركم الجوهرية، أما ما يختص منها بالعرب فإليكم رأيي فيه ولكم أن تؤولوه على ما تشاءون. إني أرى أن تدعوا أمراء العرب صغيرهم وكبيرهم إلى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة فيه ولا نفوذ للحكومة العثمانية لتكون لهم الحرية في المذاكرة والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف، ثم تقرر أحد أمرين، إما أن تكون البلاد العربية كتلة واحدة يرأسها حاكم واحد، وإما أن تقسموها ولايات وتجددوا حدود حدودها وتقيموا على رأس كل ولاية رجلا كفؤاً من كل الوجوه. وتربطوا بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلالا إدارياً وتكونوا أنتم المشرفين عليها، وإذا تم ذلك فعلى كل عربي أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملاءه

ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم) تاريخ ملوك آل سعود ص ٩٧.

ثم يخبر سعود ابن هذلول بما حدث في الأحساء بعد ذلك بعدة أشهر، ولكن القصة التي يرويها سعود تبدو كمسرحية أكثر من كونها حرب حقيقية، وذلك لأن سعود لا يريد الإخبار بالقصة الحقيقية الكاملة، وهي أن تركيا عينت عبدالعزيز والياً على نجد وقائمقام على الأحساء، وهذا ما تؤكده مصادر مختلفة، وطلبت منه إرسال قوات من طرفه لاستلام الأحساء، كما ذكر سعود ابن هذلول قبل قليل. إلا أن عبدالعزيز لم يكن يستطيع إعلان ذلك، لأنه كان يتظاهر أمام العرب ومليشيات الإخوان بالعداء لتركيا، فأعد مسرحية طرد الأتراك من الأحساء على النحو الذي يذكره سعود ابن هذلول، وهو الذي رافق عبدالعزيز وحارب معه منذ دخوله الرياض سنة ١٩٠٢ إلى أن مات عبدالعزيز.

(وعند الظهر جاء جنود بن سعود بضابط السير فأرسله عبدالعزيز إلى المتصرف داخل القصر يقول لهم إنه يجب عليهم أن يسلموا إذا كانوا يبغون العافية ونحن نرحلهم إلى بلادهم، أما إذا رفضوا التسليم فليستعدوا للقتال فسنهجم عليهم في مثل وقت هجومنا عليهم الليلة البارحة، فقبل المتصرف وقائد الحامية الأمان، ثم سلموا وعددهم ألف ومائتان جندي، وأمر عبدالعزيز أن لا يؤخذ منهم سلاحهم قائلا: لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه أما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون. ثم أمر عبدالعزيز بترحيلهم وجميع عوائلهم وأمتعتهم على الجمال إلى ميناء العقير يرافقهم أحد رجاله ...) المرجع السابق ص ١٠١

ومن المهم هنا أن نلفت انتباه القارئ إلى أن عبدالعزيز، حمل لقب سلطان نجد وملحقاتها بعد تسلمه الأحساء من الأتراك، ونحن نعرف أن مثل هذا اللقب غريب عن ثقافة عبدالعزيز وفكره الإداري البدائي، فهو يعتقد أن كل أرض يحكمها تصبح له، وجزء من أملاكه، ولا يعترف بلقب يعطيه صفتين، حاكم نجد، وحاكم ملحقاتها وما كان ليقبل بهذا اللقب، لو أن الأمر بيده، لأنه يفترض أن

كل أرض يحتلها تصبح جزء من نجد، والصحيح هو أن تركيا كانت قد عينت عبدالعزيز والياً على نجد، وصار يحمل لقب سلطان نجد، وكانت الأحساء تابعة لولاية البصرة. ثم بعد أن بدأت الحرب العالمية الأولى، احتلت بريطانيا البصرة، فأصبحت الأحساء معزولة عن أراضي الدولة العثمانية، إلا من جهة الغرب حيث أراضي نجد. ولأن البصرة لم تعد تتبع لأي من الولاة العثمانيين، فقد قررت الدولة العثمانية إلحاق أراضي الأحساء بأراضي نجد مؤقتاً، وعينت عبدالعزيز قائمقام في الأحساء، لحين انتهاء الحرب واتِّخاذ قرار نهائي بشأنها، وهكذا صار عبدالعزيز يشغل منصب والي نجد، ومنصب القائمقام في الأحساء، وصار لقبه سلطان نجد وملحقاتها، وهذا يشبه في الوقت الحالي، تعيين وزير داخلية وتكليفه بمهام وزير الخارجية، فيصير لقبه وزير الداخلية ووزير الخارجية المكلف، وهذا بحد ذاته بينه كافية لإثبات، أن الأحساء لم تدخل ضمن أراضي نجد التي كان يحكمها عبدالعزيز، بعد تسلمه الأحساء من الأتراك.

الطور الثاني**:** سلطة محلية تحت الوصاية البريطانية. ١٩١٥/١٩٢٦

بدأ هذا الطور بتوقيع معاهدة العقير بين عبدالعزيز وبريطانيا ١٩١٥، والتي وضعت الأراضي التابعة لعبدالعزيز تحت الوصاية البريطانية، وكان توقيع هذه المعاهدة قد تم بعد انسحاب القوات التركية من الأحساء، وتبعية بعض سواحل ومدن الخليج العربية لنجد، ويستمر هذا الطور حتى إعلان تأسيس مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في العام ١٩٢٦، وإلغاء هذه المعاهدة، واعتراف بريطانيا باستقلال مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها سنة ١٩٢٧.

هكذا تكون بلادنا قد خضعت فعلياً وقانونياً للوصاية البريطانية، إلاَّ أنَّ من الغريب حقاً، أنَّ الباحث لا يجد مرجعاً واحداً، يسمى العلاقة التي أنشأتها معاهدة العقير بين بريطانيا وعبدالعزيز، بأنها علاقة وصاية، فجميع المراجع تصف هذه المعاهدة بأنها معاهدة "حماية"، وهذا خطأ كبير. لأن البنود ثالثاً ورابعاً فرضت وصايةً تامةً لبريطانيا على العلاقات الخارجية لعبدالعزيز، ومنعته من التصرف

بالأراضي التابعة له بأي شكل من الأشكال، دون موافقة بريطانيا، وهذه وصاية، وليست حماية، وهذا هو نص البند الثالث، ونص البند الرابع:

ثالثاً: يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول في مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية أمة أجنبية أو دولة، وعلاوة على ذلك بأن يبلغ حالاً إلى معتمدي السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أي دولة أخرى في أن تتدخل في الأقطار المذكورة سابقاً.

رابعاً: يتعهد ابن سعود بألا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها، ولا يتنازل عنها بطريقة ما، ولا يمنح امتياز ضمن هذه الأقطار لدولة أجنبية بدون رضا الحكومة البريطانية، وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه الخاصة) من كتاب تاريخ الدولة السعودية ج٢ ص ٧٦.

لقد كان عبدالعزيز هو المبادر للاتصال بالبريطانيين، وطلب توقيع معاهدة بين الطرفين، وكان يسعى بذلك وراء اعتراف بريطاني باستقلال المناطق الخاضعة له، والاعتراف به حاكماً مستقلاً لهذه المناطق، وأن تحمي بريطانيا أراضيه من أي اعتداء خارجي، سواء جاء ذلك الاعتداء من البر أو البحر، فقدمت له بريطانيا هذه المعاهدة، التي تعترف فيها بعبدالعزيز حاكماً مستقلاً للأقطار المذكورة في المعاهدة، ولكنّها لم تعترف باستقلال تلك الأقطار، وعلى العكس من ذلك، فإن المعاهدة وضعت عبدالعزيز نفسه، والأقطار التي يحكمها، تحت الوصاية البريطانية، فلم تمنعه المعاهدة من إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول والأمم الأخرى فقط، بل منعته حتى من "المراسلة" والاتصال بدول وأمم أجنبية، كذلك فإن البند الرابع منع عبدالعزيز من التصرف بجميع الموارد الطبيعية للأقطار التي يحكمها، بما في ذلك الأراضي وما فيها من ثروات ظاهرة وباطنه، لتوضيح الأمور للقارئ، يجب ذكر أن عبدالعزيز كان يريد ويعتقد، أن هذه المعاهدة سرية. وقد التزمت بريطانيا لأكثر من عشرين عاماً، بعدم نشر تلك المعاهدة أو الحديث

عنها علناً، ثم حدث خلاف بين عبدالعزيز وبريطانيا في العام ١٩٣٤، حول حدود السعودية مع الإمارات العربية المتحدة، لأن بريطانيا كانت حتى ذلك الوقت، الممثل الرسمي لحكومات الإمارات. وفي ضل هذا الخلاف، استشهدت بريطانيا باتفاقية بريطانية عثمانية، تم توقيعها سنة ١٩١٤ بين بريطانيا وتركيا لترسيم الحدود في تلك المناطق. فاستشهد عبدالعزيز بمعاهدة العقير، التي تعترف فيها بريطانيا كما يقول بأنَّ الأقطار الموضحة في تلك المعاهدة، أراضي مستقلة عن الدولة العثمانية، وهكذا يكون الخلاف السعودي البريطاني سنة ١٩٣٤ حول واحة البريمي، قد كشف اختلاف وجهات النظر القانونية، بين بريطانيا وعبدالعزيز حول استقلال الأراضي التي كان يحكمها عبدالعزيز في العام ١٩١٥ وما بعده.

إن ما يهمنا الآن من شأن معاهدة العقير، هو أن بريطانيا اعترفت بعبدالعزيز حاكماً مستقلاً، بموجب هذه المعاهدة، ولكنها لم تعترف باستقلاله التام، بل اعترفت باستقلاله تحت وصايتها. ولم تعترف باستقلال الأقطار التابعة له عن الدولة العثمانية، لأن بريطانيا لا تملك تفويضاً من الدولة العثمانية، لمنح الاستقلال للولايات والحكام التابعين للدولة العثمانية، فكان يجب على عبدالعزيز أن يطلب الاعتراف باستقلاله واستقلال الأراضي التي كان يحكمها، من الدولة العثمانية، أو يعلن رسمياً انفصاله عنها، فتُبنَى معاهدة العقير بين بريطانيا وعبدالعزيز، على أساس إعلان الاستقلال أو الانفصال، أما الاعتراف البريطاني "سراً" باستقلال الأراضي التي يحكمها عبدالعزيز عن الدولة العثمانية، كما يقول عبدالعزيز، فلا معنى له، وليس فيه حجة قانونية على أي شيء، وحتى لو سلمنا جدلاً بأن كلام عبدالعزيز صحيح، وأن بريطانيا اعترفت باستقلاله واستقلال الأراضي التي كان يحكمها عن الدولة العثمانية، فإن معاهدة العقير ذاتها، وضعت عبدالعزيز والأراضي التي كان يحكمها، تحت الوصاية البريطانية، ولا معنى بعد ذلك للكلام عن استقلال الأراضي التي كان يحكمها عبدالعزيز عن الدولة العثمانية، لأن تلك الأراضي أصبحت تحت الوصاية البريطانية.

انتهت المرحلة الرابعة سنة ١٩٢٦ بإعلان قيام مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، ونظراً لأهمية معاهدة العقير في التاريخ السياسي لبلادنا، فسيجد القارئ نصها الكامل في ملحق هذا الفصل.

المرحلة الخامسة: الدولة الوطنية المستقلة. من ١٩٢٦ إلى اليوم

بدأت هذه المرحلة بإعلان قيام مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في سنة ١٩٢٦، ومازالت مستمرة حتى اليوم، وتنقسم هذه المرحلة إلى طور أول كانت الدولة فيه، دولة فيدرالية. والطور الثاني الذي تحولت فيه الدولة سنة ١٩٣٢ إلىٍ دولة مركزية، ذات نظام حكم ملكي مطلق، وهذا الطور هو الذي مازال مستمراً حتى الآن.

الطور الأول: الدولة الفيدرالية. من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٢.

تم الإعلان عن إنشاء مملكة الحجاز ونجد في يوم ٨/١/ ١٩٢٦، فصار اسم الدولة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها. ويوضح هذا الاسم أن الدولة كانت دولة فيدرالية تتكون من الحجاز، ونجد، والأحساء. ثم انضمت الإمارة الإدريسية بعسير للدولة الفيدرالية في أكتوبر ١٩٢٦، كإمارة تتمتع بالحكم الذاتي. ثم جاء توقيع معاهدة جدة بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، وبريطانيا في ١٩٢٧/٥/٢٠، وهي المعاهدة التي اعترفت فيها بريطانيا، بإلغاء معاهدة العقير. وعلى هذا الأساس فإن يوم ١٩٢٧/٥/٢٠ الذي وقعت فيه معاهدة جدة، هو يوم الاستقلال الرسمي للدولة الوهابية الراهنة. ونظرا لأهمية هذه المعاهدة للتاريخ السياسي في بلادنا، فسيجد القارئ صورة عنها في ملحق هذا الفصل.

الطور الثاني: الدولة المركزية في عهد عبدالعزيز. من ١٩٣٢ إلى ١٩٥٣.

بدأ هذا الطور بإعلان إلغاء الفيدرالية، وتحول البلاد إلى دولة مركزية، ذاتٍ نظام حكم ملكي مطلق كان ذلك في ١٩٣٢/٩/٢٣. وأصبح عبدالعزيز ملكاً، وابنه سعود ولياً للعهد، وتم تغيير العلم، حيث كان له وجه يحمل عبارة لا إله إلا الله

محمد رسول الله، ووجه آخر يحمل صورة سيف، فتم جعل العلم الجديد بوجه واحد، وجعل السيف تحت العبارة المكتوبة على العلم.

في العام ١٩٣٩، وإعلان الدولة الوهابية في ١٩٤٥/٣/١، الحرب على دول المحور إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، والاشتراك في تأسيس الأمم المتحدة والانضمام إليهاد، والاشتراك بتأسيس جامعة الدول العربية، والتوقيع على ميثاقها في ١٩٤٥/٣/٢٢، التوقيع ٦/١٨/ ١٩٥١على اتفاقية مطار الظهران، وهي اتِّفاقيةٌ تتعلق بإنشاء بعثة عسكرية أمريكية في الظهران المواجهة للسعودية مع بريطانيا بشأن واحة البريمي بداية من سنة ١٩٣٤، فهذا الخلاف الذي يبدو هامشياً في سياق بحثنا المتعلق بمراحل تطور الوهابية السياسية، استمرَّ لمدة طويلة وتسبب بنشر بريطانيا !لاتفاقيات ومعاهدات سرية كانت بين عبدالعزيز وبريطانيا، وعبدالعزيز والدولة العثمانية، فتعتبر وثائق تلك المواجهة، مهمة للغاية في سبيل فهم علاقات عبدالعزيز السياسية، وفي بدايات القرن العشرين انتهى هذا الطور بوفاة عبدالعزيز في يوم ١١/٩/ ١٩٥٣، فبدأ بذلك الطور الثالث.

الطور الثالث**:** الدولة المركزية في عهد أبناء عبدالعزيز من ١٩٥٣ إلى اليوم.

بعد موت عبدالعزيز، وانتقال السلطة إلى أبناءه، أصبح ولي عهده، أكبر أبناءه الأحياء سعود ملكاً، وأصبح أخو الملك سعود غير الشقيق فيصل، ولياً للعهد. كذلك تم بعد موت عبدالعزيز إقرار الأنظمة الخاصة بمجلس الوزراء، وتم تشكيل مجلس الوزراء، وعقد أول جلسة له برئاسة الملك. وفي تلك الأثناء، بدأت عائلة عبدالعزيز كبيرة العدد، تشهد صراعات متعددة المستويات والأسباب. فلم يقبل فيصل بأن يكون ولياً للعهد فقط، وأخذ يطالب بأن يصبح ولي العهد رئيساً لمجلس الوزراء بدلاً من الملك، أما إخوة الملك الأصغر سناً، الذين لم يتم تعيينهم في أية مناصب حكومية، فشكلوا فريق ثالث يطالب بملكية دستورية، للحد من تَفرُّد الملك وولي العهد بالسلطة.

ثم تبين فيما بعد، أنّ الخلاف بين سعود وفيصل، لم يكن تنافساً على المناصب ومغانم السلطة فحسب، وإنَّما كان وجهاً جديداً للصراع بين الوهابيين، حول تعريف السلطة والدولة، والمواطنة أو الرعية، والعلاقات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية، مع الشعوب والدول والأمم الأخرى، وبعبارة أخرى كان الصراع بين سعود وفيصل أحد آثار ونتائج تناقضات عبدالعزيز نفسه، في علاقته مع نفسه، ومع جيشه "جيش الإخوان"، ومع القوى الإقليمية والدولية المتعددة، وهكذا افترق أبناء عبدالعزيز بفكرهم السياسي إلى فريقين، فريق يسير على منهج سعود، وفريق آخر يسير على هدي فيصل، وليس غريباً أن يكون أحد الفريقين، هو الامتداد الطبيعي للوهابية المحلية (الوطنية) التي أنشأها محمد ابن سعود، واقتدى بهديها تركي عبدالله وابنه فيصل، وأن يكون الفريق الثاني، هو الوريث المتعصب للوهابية الإمامية، التي أنشأها عبدالعزيز محمد ابن سعود، وسار على منهجه وتبع خطاه من بعده، ابنه سعود وحفيده عبدالله، الذين سخروا البلاد والعباد لتحقيق حلمهم بزعامة العالم الإسلامي.

ولأن هذا الصراع بين الفريقين، هو أبرز ملامح الوهابية السياسية بعد موت عبدالعزيز، ولأنه صراع قديم متجدد ومستمر، فقد تم تخصيص الفصل الثالث كاملا للحديث عنه بتوسع.

القسم الثالث

العلاقة بين تطور الوهابية، وتطوُّر الصراع الاستعماري على الشرق. من ١٧٤٤ إلى ١٩٥٦

أولاً: السياسة التوسعية وإستراتيجية السطو المسلح.

يتبين من استعراض مراحل تطور الصراع الاستعماري، التي تزامنت مع مراحل تطور الوهابية السياسية في بلادنا، أنَّ الوهابية السياسية ظهرت في وسط جزيرة العرب، عندما كان الصراع الاستعماري محتدماً بين بريطانيا وفرنسا، وكانت بريطانيا مهتمة في المقام الأول بتأمين موطئ قدم ثابت لها على السواحل العربية والفارسية، وطرق التجارة البرية بين الخليج العربي وخليج عمان وبحر العرب، والبحر الأبيض المتوسط، فكانت منشغلة بذلك عن الاهتمام بما يجري في الصحراء العربية،كذلك فإن بريطانيا كانت مهتمة جداً بتوطيد علاقاتها مع الدولة العثمانية، لضمان سلامة تجارتها التي تمرُّ عبر الأراضي والبحار العثمانية، لأنَّ الدولة العثمانية كانت قادرة على إعلان بريطانيا دولة معادية، مع ما يترتب على ذلك من منعها من استخدام الأراضي والموانئ والبحار العثمانية.

أمَّا الخطر الحقيقي الذي كانت تخشاه بريطانيا في جزيرة العرب، فقد كان غارات القبائل البدوية على قوافل التجارة البرية، التي تنقل البضائع المختلفة من العراق إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وإمكانية امتلاك العرب قوة بحرية تهدد سفن التجارة البريطانية، وبالتالي فإن ظهور دعوة دينية في وسط جزيرة العرب ـ وفي ذلك الوقت تحديداً ـ تقول للناس حُرِّمَتْ عليكم دماء وأموال " النصارى البريطانيين" لأنَّهم أهل كتاب، وأُحِلَتْ لكم دماء وأموال " المسلمين من غير الوهابيين" لأنهم مشركين، يمثل قرينة دالة بظرف الزمان وظرف المكان وجوهر الدعوة، على أن محمد ابن عبدالوهاب تتلمذ في العراق على يد أحد شيوخ المخابرات البريطانية، ومنهم تلقى تعاليم "الدين" الوهابي، الذي لا

يمتُّ بصلة لأي دين سماوي، وبينة كافية على أن دعوة التجديد الديني الوهابية، كانت دعوة تهدف لتأمين التجارة البريطانية في البر والبحر.

وعلى العكس من صاحب الدعوة تماماً، يظهر أن محمد ابن سعود كان يريد من حمايته لابن عبدالوهاب وتحالفه معه، أمر من اثنين أو كلاهما، الأجر والمثوبة من الله، إذا كان يعتقد أن دعوة ابن عبدالوهاب دعوة تجديد ديني حقيقية، وتنشيط الحياة الاقتصادية في قريته النائية في الصحراء، من خلال توافد أنصار ابن عبدالوهاب ومريديه إلى الدرعية وتجمعهم فيها، ويستدل على ذلك من كون محمد ابن سعود، حكم الدرعية بعد تحالفه مع ابن عبدالوهاب لأكثر من ثلاثين عاماً، لم يرسل خلالها أي غزو للبلاد الأخرى خارج نجد، ويدل عليه أيضاً ما يقوله ابن بشر من أن ابن عبدالوهاب، كان يقول عن عبدالعزيز محمد ابن سعود " هذا هو الإمام "، ومعنى ذلك أن ابن عبدالوهاب لم يكن راضياً عن سياسة محمد ابن سعود الدفاعية، ولم يكن يعده " إماماً ". وبناء على ذلك، فإن من الأرجح والأقرب للصواب أن محمد ابن سعود كان يعد نفسه حاكماً محلياً " لنجد وعربانها " فقط، كما سبق له وأن اتَّفق مع ابن عبدالوهاب، ولم يكن طامعاً بغنائم ومغانم حروب متواصلة لا تنتهي، ثم تبدَّل الحال بموت محمد ابن سعود، وتولي ابنه عبدالعزيز شؤون الحكم، هنا نرى سياسة توسعية متهورة، ويمكننا القول أنَّه إن كانت بريطانيا هي من خلق معتقدات هذه الدعوة، لتسليط القبائل العربية على بعضها، ولتحمي قوافل تجارتها، فإن عبدالعزيز هذا وابنه سعود وحفيده عبدالله، قد حققوا لبريطانيا ما أرادت، فلم تمضي ثلاثين عاماً على موت محمد ابن سعود، إلاَّ وكانت غارات الوهابيين وغزواتهم قد بلغت عُمَانْ وصنعاء جنوبا وبغداد ودمشق شمالاً، وعندما نقرأ ما كتبه ابن بشر عن حروب السنوات الثلاثين اللاحقة لموت محمد ابن سعود، نلاحظ أنها لم تكن في البداية حروب حقيقة دائماً، وإنما هي في الغالب الأعم غارات مفاجئة للسطو المسلح والسلب والنهب، والهروب بما تمَّ سلبه، ولم يكونوا يبسطوا سلطتهم على الأراضي التي يقومون بالغارات عليها دائماً، فمع أنَّ غارات الوهابيين كانت قد امتدَّت إلى

البصرة ودمشق ومسقط وصنعاء، إلا أنهم لم يستقروا في أي منها، ولم يقيموا لهم في أي منها سلطة تابعة لهم، ومن جهة أخرى نجد فيما ذكره ابن بشر من وقائع ما يسميه "غزوات"، دليلاً واضحاً لا يقبل الشك، أن عبدالعزيز محمد ابن سعود، كان قائداً عسكرياً جباناً وفاشلاً، وهو أقرب ما يكون لزعيم عصابة عديم الخبرة في القتال.

لهذه الأسباب مجتمعةً، يجد الباحث نفسه مضطراً للتساؤل عن سر هذه الجرأة الكبيرة التي دفعته لتبني سياسةٍ توسُّعيَّةٍ لا تتناسب مع مؤهلاته وقدراته الفردية، وسنتوقف الآن للحظة، لنبين للقارئ ما الذي نستند إليه للقول بأن السياسة التوسعية، حمل تَكَفَّل عبدالعزيز محمد ابن سعود وابنه وحفيده بحمله، وهم ليسوا أهلاً لهُ ثمَّ نعود بعد ذلك لمواصلة حديثنا عن السياسة التوسعية وإستراتيجية السطو المسلح.

في كتاب ابن بشر توجد تفاصيل جيدة عن وقائع حربية كثيرة، تصلح كمادة للدراسة والتحليل، وهذه أمثلة توضح ما الذي كان يفعله عبدالعزيز محمد ابن سعود في بداية أمره.

(... وفيها جرت وقعت البطين) يقول ابن بشر وفيها وهو يقصد في سنة ١١٦١ (وهي وقعة عظيمة بين المسلمين وأهل ثرمدا . وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملاء، وعبدالعزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما، والأمير على الجميع عثمان. فساروا إلى ثرمدا ونزلوا بها ليلاً ورتبوا كميناً، فلما أصبحوا خرج إليهم أهل البلد فناشبوهم القتال، فلما التحم القتال خرج عليهم الكمين، وولوا أهل البلد منهزمين، وقتل منهم نحو سبعين رجلا من أشرافهم، وقصدوا قصراً خارج البلد يقال أنه قصر الحريص وتحصنوا فيه، وخلت البلد من أهلها فأشار عبدالعزيزٍ على عثمان بدخول البلد، فأبى عثمان ذلك، وحصل من عبدالعزيز كلاماعلى عثمان، وأكثر عليه الملام، وهم عبدالعزيز بدخولها بمن كان معه. وكان مع عثمان أكثر الغزو فارتحل عثمان راجعاً إلى بلده، وبقي

عبدالعزيز مكانه متحيراً يريد الدخول، ثم إنه ارتحل ولحقه، ولم يلحقه إلا آخر النهار. فصارت الأحوال بينهما متغايرة، والقلوب متنافرة، فجمع الغنيمة عبدالعزيز، وقصد بها الدرعية عند أبيه وعند الشيخ) يقول عند أبيه وعند الشيخ، يقصد محمد ابن سعود ومحمد ابن عبدالوهاب. من كتاب عنوان المجد. ج١. ص ٥٨

في هذه الحالة، نرى أن عبدالعزيز يثير الشقاق في صفوف المحاربين بمعارضته لقرارات أمير الحرب، وهذا خطأ وخطر كبير، لأنه لم يُشِر على الأمير بدخول البلد فقط، وإنما هو يصر على رأيه، بل وينفصل عن القائد ويهم بدخول البلد بمن معه من الرجال فقط، وهذا تمرد وشق للصف يفهم مدى خطورته من عنده أدنى خبرة في القيادة الحربية، وفي مثال آخر نجد أن عبدالعزيز كان هو القائد، فأهلك جنوده بسوء تخطيطه وسوء إدارته للمعركة:

(...ثم دخلت السنة الحادية والسبعون بعد المائة والألف. وفيها وقعة البطيحا في ثرمدا وهي نخل معروف فيها ، وذلك أن عبدالعزيز سار بجنوده، وقصد ثرمدا فأناخ بالليل قريبا من البلد. فرتب له كمينا في موضع معروف قريبا من البلد، يسمى وادي الجمل، ونقبوا نقبا على ذلك الجدار بالبطيحا، ودخل فيه بعض المقاتلة، فأحس بهم رجال من حرس أهل ثرمدا، فأخبر إبراهيم بن سليمان رئيس البلد، فجمع مقاتلته في تلك الليلة وجعلهم فريقين، فرقة رصدوا خارج النقب، فمن خرج منه قتلوه، وفرقة عدو) يقول فرقة عدو ويقصد ركضوا وهجموا (على من في النخيل والجأوهم إلى ذلك النقب، فقتل من المسلمين في تلك الوقعة نحو ثلاثين رجلا، منهم عيسى ابن ذهلان ومحمد بن عبدالرحمن ومفرح بن جلال. وقتل من أهل ثرمدا ثمانية رجال منهم عبدالمحسن بن الأمير إبراهيم ابن سليمان وبشر بن بلاع).

لم يخبرنا ابن بشر كم كان عدد رجال عبدالعزيز وهل بقي منهم أحد، أم أنهم كانوا ثلاثين وقتلوا جميعا، ولكن حسبنا معرفة أن عبدالعزيز أراد أن ينصب كمينا بين أشجار النخيل، فأدخل رجاله بينها وأوقعهم في كمين مضاد ناجح،

قضى على رجاله أو كثير منهم، أما خطة عبدالعزيز التي لم يشرحها لنا ابن بشر، فهي واضحة لا تحتاج للشرح، فقد أرسل قسم من رجاله ليختبئوا بين أشجار النخيل ويتقاتلوا مع المدافعين، ويقتلوا منهم من يقدروا عليه ثم ينسحبوا، وكان عبدالعزيز يتوقع من المدافعين أن يلاحقوا رجاله المنسحبين، ليظهر فجأة هو ومن معه فيهاجموا المدافعين ويقضوا عليهم. بعبارة أخرى هو استخدم جنوده كطعم، يستدرج بهم المدافعين إلى الكمين الذي أعده لهم. إلا أن المدافعين أفشلوا خطته، بأن قطعوا طريق الانسحاب على الرجال الذين أدخلهم عبدالعزيز بين أشجار النخيل.

ومرة ثالثة نجد أنه ينسحب من ساحة المعركة مع بعض رجاله، ظنًّا منه أن المعركة قد انتهت، وأنهم فشلوا بتحقيق هدفهم، فيلحق به من يخبره بعكس ما كان يعتقد:

(... وفي هذه السنة) يقصد سنة ١١٦٨ (فتحت بلد حريملاء عنوة، وذلك أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سار إليها ومعه ثمانمائة ومن الخيل عشرون فرساً، فلما قرب منها أناخ في شرقي البلد بالليل وكمن في موضعين، فصار عبدالعزيز ومن معه في الشعيب المسمى بشعيب عويجا، والكمين الثاني جعله عبدالعزيز مع مبارك بن عدوان، ومعه مائتا رجل في الموضع المسمى بالجزيع، فلما أصبح الصباح وفرغ من صلاته داعي الفلاح، شنت عليهم الغارة فخرجت عليهم افزاع البلد. فانهزمت الغارة، ورمت شيئا مما فوق الركاب ليجروهم ويلحقونهم، فناشبوهم القتال، ثم خرج عليهم الكمين الأول فثبتوا لهم، ثم خرج عليهم الكمين الثاني فولوا منهزمين إلى البلد، وكان الكمين قد حال بينهم وبين البلد، فتفرقوا في الشعاب والجبال إلا من لم يخرج من البلد، فقتل منهم نحو مائة رجل، وانصرف عبدالعزيز قافلا يريد وطنه، فعزم محمد بن عبدالله أمير ضرما ومعه جماعته بجيشهم، قيل انه ثلاثة عشر مطية، ودخلوا البلاد، وقصدوا المجلس المسمى في وسطها الحويش، فأناخوا فيه ونادوا بالأمان في وسط البلد، وبعثوا

إلى عبدالعزيز من يبشره باستيلائهم على البلد، فرجع عبدالعزيز واستولى على جميع البلد، ونادى بالأمان لجميع أهلها من قد كان أحدث حدثا من قبيلة آل راشد وغيرهم، وصارت البلد بيت مال، واستعمل فيها أمير مبارك بن عدوان... الخ) عنوان المجد. ج١. ص ٧٠

ومرة يغير على أعراب بشعيب ضيق، ويفشل بالانسحاب منه فيخسر كثير من جنوده:(... وفيها) يقصد سنة ١١٩٠ (سار عبدالعزيز بجنود المسلمين وقصد عربان آل مرة وهم في أرض الخرج، وكانوا قد اجتمعوا في أرض الخرج وتأهبوا للحرب والقتال فقاربهم عبدالعزيز ليلا، وشن عليهم الغارة وقت الصباح، فأخذ الإبل من مواضعها فتفازعت تلك العربان واختلط الفرسان، وحصل قتال شديد، وكان غارة المسلمين عليهم في شعيب ضيق، فأمسكوا عليهم الأعراب مضيق الشعيب، ولم يكن للمسلمين مصدر غيره، فحصل عليهم هزيمة وجدوا في ساقتهم، وألجأتهم الأعراب إلى عقبة وعرة، تسمى مخيريق الصفا، ووقع فيها كثير من الركاب والرجال، وقتل من المسلمين في تلك الهزيمة نحو خمسون رجلا... الخ) المرجع السابق. ص ١٣٠

فلاشك أننا نتحدث عن رجل ليس له علاقة بالحرب من قريب أو من بعيد، وبالتدقيق في تفاصيل ما يسميه ابن بشر "غزوات"، نجد أن عبدالعزيز كان يعتمد إستراتيجية السطو المسلح، التي لا علاقة لها بأية إستراتيجية حربية معروفة، فهو لم يكن يهاجم عدواً واحداً بصفة مستمرة، لنفترض أنه كان يخوض حرب عصابات مع عدو محدد، ولم يكن يهدف لإلحاق أكبر قد من الخسائر بالعدو، بأقل قدر من الخسائر في صفوف جنوده، وإنَّما كان يشنُّ في معظم الأحوال، غارات بهدف السلب والنهب، ومحاولة الإفلات من المدافعين بأقل قدر من الأضرار.

ولا يختلف الأمر عند الحديث عن ابنه سعود، الذي تبدو صورته في كتاب ابن بشر كذئب متعطش للدماء، يهيم في الصحارى بحثا عن الطرائد والفرائس دون

خطة أو إستراتيجية حربية محددة. ويبدو ذلك على أفضل صورة، فيما قاله ابن بشر عن غارة قام بها سعود ورجاله على الأحساء، على النحو الآتي:

(... ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف. وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة من جميع نواحي نجد وعربانها وقصد ناحية الشمال يريد عربان بني خالد. وهم على الجهرا الماء المعروف. فلما قرب منهم وجد آثار الجيوش والخيل غازية وعادية من تلك العربان المقصودة... فلما وجد آثارهم عادين نزل بالمسلمين ليختبر أمر هؤلاء الجنود. فأخبره صليبي من هتيم أن هذا براك بن عبدالمحسن وجنوده من بني خالد، فأرسل سعود إلى رؤساء المسلمين واستشارهم في النفير أو الحضير) يقول في النفير أو الحضير، يقصد هل نهاجم جيش براك هنا في الصحراء أو نذهب إلى الأحساء ونهاجم بيوتهم (فقال له رؤساء العربان انهض وشن الغارة على أهليهم وخذ أموالهم ومواشيهم ومحلهم فليس دونها صادر ولاراد. فتكلم حجيلان بن حمد فقال: كل على ما يريد يشير... انهض بالمسلمين في ساقة هذه الشوكة فإن أظفرك الله بهم لم يقم لبني خالد بعدها قائمة، حتى الحساء بيدك، وأعطاك الله من الأموال ما هو خير مما في محلتهم . وهؤلاء الجنود رؤساء بني خالد ورجالهم وشوكتهم...).

إن القارئ الذي ليس له خبرة في القيادة الحربية، يكفيه أن ينظر إلى جواب حجيلان ويفهمه، ليدرك مدى غباء سعود وعدم أهليته للقيادة لكونه يطرح سؤالاً كهذا ، فقد جمع له القدر زعماء أعداءه ووضعهم أمامه، وظهورهم إليه دون أن ينتبهوا له أو يفطنوا لوجوده، فيسأل جنوده هل نهاجمهم أو نتركهم ونذهب لمهاجمة مساكنهم، ونجمع الغنائم السهلة، فيرد عليه حجيلانٍ موضحاً أن القضاء على زعماء بني خالد، يعني القضاء على أشد أعداءهم بأساً، ويعني في الوقت نفسه الاستيلاء على الأحساء كله كغنيمة وجائزة كبرى، وليس فقط الغنائم التي يمكن الحصول عليها من مهاجمة البيوت والمزارع والمراعي، هذا عدا عن كون الهدف العسكري الذي جاءوا من أجله، هو كسر شوكة أعداء الدعوة،

وليس السطو المسلح والسلب والنهب، وكسر شوكة أعداء الدعوة لا يتحقق بترك المقاتلين ومهاجمة المساكن طلبا للغنائم.

وكهذا نجد أن هؤلاء لم يكونوا أهلاً للقيادة السياسية والعسكرية، ولم تكن السياسة التوسعية التي تبنوها، طموح سياسي مشروع مبني على قدرات ومواهب، وضرورات فرضت عليهم تلك السياسة، وإنما كانوا أدوات استخدمتهم بريطانيا، لتفكيك قوى المجتمع المحلي، التي يمكن أن تشكل تهديداً لتجارتها وموانئها، على ساحل الخليج العربي وفي جنوب العراق، فانحصر نشاطهم بادئ الأمر في هذه الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية من جزيرة العرب، لما يقارب الثلاثين عام، دون أن يكِلّوا أو يمِلّوا أو يَرتَووا من دماء الأبرياء، حتى صدرت لهم التوجيهات البريطانية، بنقل نشاطهم إلى غرب وجنوب غرب وشمال غرب جزيرة العرب وبلاد الشام، وهو ما يكشف عن الوجه السافر القبيح للوهابية السياسية وسياسة الحرب بالوكالة، التي كانت تنفذها بريطانيا لحماية تجارتها من غارات البدو المحليين، ولأسباب تتعلق بالصراع الاستعماري مع فرنسا.

ثانياً: إستراتيجية الحرب بالوكالة.

يقول ابن بشر في سرده لحوادث سنة ١٢١٢ (وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم بجيش من أهل القصيم وغيرهم، وقصدوا أرض الشام، وأغاروا على عربان الشرارات فانهزموا فقتل منهم نحو مائة وعشرون رجلاً. وأخذوا جميع محلتهم وأمتاعهم وأزوادهم، وأخذوا من الإبل خمسة آلاف بعير وأغنام كثيرة...) وقبل أي تعليق على هذه الواقعة، يجب أن نلفت انتباه القارئ أن حجيلان هذا، هو ذاته حجيلان الذي كان يتكلم إلى سعود في غزوهم للأحساء، ويقول له إن كسر شوكة أعداء الدعوة أهم من الغنائم، فهذه غنيمة كبيرة عاد بها من بلاد الشام، ولكننا نعرف سلفاً أن هذا الرجل، ليس ممن يسعون وراء الغنائم مهما تعاظمت.

الملاحظة الثانية هي أن الأردن والتي هي أقرب بلاد الشام إلى القصيم، تبعد عن القصيم ما لا يقل عن ١٥٠٠ كيلومتر. ومعنى ذلك أن هذا القائد الحربي المتمرس في الحروب، لم يلقي برجاله في عمق أراضي العدو، وهو يعرف أن هذا النوع من العمليات (العمليات في عمق أراضي العدو) عمليات خطرة جداً، ومن المحتمل أن لا يعود منها سالماً هو رجاله جميعاً، لو لم تكن هذه العملية على قدر كبير من الأهمية.

ومن المهم أيضاً ملاحظة أن حجيلان، لم يخرج بهذه العملية عن مسرح عمليات الوهابيين على سواحل الخليج العربي وجنوب العراق فقط، بل خرج من جزيرة العرب كلها، وهذه الملاحظات الثلاث تكفي لنفهم أن هذه الواقعة، ليست من عمليات الوهابيين المنبثقة من سياستهم التوسعية، وإستراتيجية السطو المسلح التي يعتمدونها محلياً. ولا يمكن أن يكون لها تفسير صحيح إلا في إطار واسع، يشمل الأحداث التي كانت تجري آنذاك في بلا الشام خاصة، والبلاد العربية بوجه عام. وهو ما نجد مساعدة قيمة لمعرفته وفهمه، من كتاب تاريخ مصر الحديث، الذي صدر بمصر عن وزارة المعارف العمومية في عهد الملك فؤاد الأول.

يقدم محمد عبدالرحيم مصطفى بك في هذا الكتاب، شرحاً عن الحملة الفرنسية على مصر، ومما جاء فيه أن نابليون بونابارت نزل بجيشه في مصر، فقام الأسطول البريطاني بتدمير الأسطول الفرنسي، بعد أن نجح الفرنسيين بالقضاء على حكم المماليك، وهكذا أصبح الفرنسيين محبوسين في مصر، ثمَّ إنَّ الدولة العثمانية قررت وبالتحالف مع بريطانيا، إرسال جيشان لطرد الفرنسيين من مصر، أحدهما ينزل إلى مصر من البحر والآخر يدخلها من بلاد الشام، ويقول عما حدث بعد ذلك ما يأتي:

(... اتصل خبر هذه الخطة بنابليون، فصمم على اتخاذ خطة الهجوم، لمداهمة أعدائه قبل أن يتموا استعداداتهم...) وبعد أن يذكر مصطفى بك مبررات الحملة الفرنسية على سوريا من وجهة نظر نابليون، يمضي بالحديث عن الحملة

فيقول:

(... أسرع نابليون في إعداد الحملة، فاختار لها خيرة جنوده وضباطه، وجهزها بما تحتاج إليه من معدات، ثم أعلن أنه ذاهب إلى سوريا للقضاء على البقية الباقية من المماليك في تلك الديار. وفي أوائل فبراير عام ١٧٩٩، تحرك الجيش الفرنسي، وهو مكون من نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل، يقصد بلاد الشام عن طريق الصحراء. أما الدولة) يقصد الدولة العثمانية (فإنها كانت كلفت"أحمد باشا الجزار"والى عكا، إعداد جيش كبير في سوريا، لغزو مصر من جهة الشرق، ولكنه لم يظهر اهتماماً بالأمر. وجد نابليون في المسير، حتى وصل إلى العريش وحاصرها، فسقطت أمام حملاته بسهولة، ثم تقدمت القوة الفرنسية، واحتلت الموانئ الشامية التي في طريقها، حتى وصلت إلى "يافا" واستولت عليها بعد حصار شديد . وبالرغم من انتشار الطاعون بين رجاله، تمكن نابليون من الوصول إلى "عكا"ومحاصرتها، في ١٩ مارس عام ١٧٩٩، ذلك الحصار الذي دام نحواً من شهرين. وقد فرح أهالي سوريا ولبنان بقدوم الفرنسيين وانتصاراتهم، وكان في عزمهم أن ينظموا إليهم علانية بعد سقوط عكا، ولكن حملات الفرنسيين المتكررة على المدينة، كانت بلا جدوى، لأنها كانت متينة التحصين، في حين كان نابليون يحاصرها وقوة مدفعيته ضعيفة، لأن جزءاً كبيراً من مدافع الحصار وقع في أيدي رجال الأسطول الانجليزي وهي في طريقها بحراً من مصر إلى الشام، فاستعملوها في الدفاع عن المدينة. هذا إلى أن طريق الاتصال كان مفتوحاً أمامها من جهة البحر، بفضل سفينتين انجليزيتين حربيتين، بقيادة السير سدني سميث. وقد استبسل الجزار ورجاله في الدفاع عن المدينة، في حين أن الطاعون كان يفتك برجال نابليون. وقد نشطت الدولة لإنقاذ المدينة، فأرسلت جيشا ليهاجم الفرنسيين من جهة البر، فيحصرهم بين نارين، ولكن نابليون أسرع فقابل هذا الجيش، وهزمه في موقعة "تل طابور"جنوبي عكا، في ١٦ أبريل سنة ١٧٩٩. وقد أعاد هذا النصر روح النشاط في الجيش الفرنسي، وعاوده الأمل بعد طول الملل، فانتهز نابليون هذه الفرصة، للقيام بالهجوم الأخير على عكا. فلما

أيقن الفشل قرر انسحاب قواته، في مايو سنة ١٧٩٩، والعودة بها إلى مصر...) تاريخ مصر الحديث ٩٢، ٩٣، ٩٤.

وهكذا يتبين أن نابليون احتلَّ مصر، ولكن البريطانيين دمروا معظم أسطوله البحري، ومن المفهوم بهذه الحالة أنَّهُ سيعتمد على الإبل في تنقلات جيشه بداخل مصر وفي بلاد الشام، لأن الإبل كانت هي وسيلة النقل البري الوحيدة في ذاك الزمان، وعندما يقوم الوهابيون بعملية غزو لبلاد الشام، ويسلبوا أبناء بلاد الشام خمسة آلاف جمل ويسوقونها معهم إلى جزيرة العرب، فإن هذه العملية لا تكون عملية سطو مسلح، وهي بالتأكيد ليست عملية لنشر الدعوة وكسر شوكة أعداء الدعوة، بل كانت عملية إسناد حربي للأسطول البحري البريطاني الذي يحارب نابليون، لحرمانه من وسيلة النقل الرئيسية، وهكذا نرى الوجه الحقيقي، الكالح والقبيح للوهابيين.

ثم إنهم عادوا بعد ذلك لإكمال ما كانوا يقومون به على سواحل الخليج وفي جنوب العراق، من تخريب وتدمير وتفكيك للمجتمع، فقد اطمأنَّت بريطانيا بعد أن رحل الفرنسيون عن مصر، إلا أن الفرنسيين لم يكونوا قد قبلوا بالهزيمة، وإنما تحولوا هم أيضا بدورهم لاعتماد إستراتيجية الحرب بالوكالة، لتحقيق الأهداف التي كان نابليون يسعى لتحقيقها بنفسه، فمدوا يدهم بالمساعدة إلى محمد علي باشا، الذي أصبح واليا على مصر، لإكمال ما بدؤوهم من قضاء على المماليك، وساعدوه في إنشاء جيش حديث واقتصاد قوي، قادر على تمويل حروب كبيرة.

استغرقت كل تلك الأعمال سنوات عديدة، أصبحت بعدها مصر قوة عسكرية يحسب لها حساب، فأدركت بريطانيا بعد ما يقارب ثلاث سنوات من رحيل الفرنسيين عن مصر، أن فرنسا تستعد لتوجيه ضربة قوية بأيدي المصريين.

لم تكن بريطانيا تعرف أي البلاد ستكون هدف محمد علي في الحملة التي

سيقوم بها. ولذلك دفعت وكلاؤها الوهابيين لاحتلال سواحل البحر الأحمر في جزيرة العرب، لإعاقة أية محاولة من الفرنسيين والمصريين للقيام بعمليات إنزال بحري في الساحل الغربي لجزيرة العرب، فاحتلوا مكة المكرمة في سنة ١٢١٧ ـ ١٨٠٣، واحتلوا الحديدة باليمن والمدينة المنورة سنة ١٢٢٠ ـ ١٨٠٦، إلاَّ أنَّهم لم يكتفوا بذلك، فقام سعود بعملية سطو مسلح على بلاد الشام في العام ١٢٢٥ ـ ١٨١١، كتلك التي كانوا يقومون بها في نجد وشرق الجزيرة العربية وجنوب العراق، وعاث سعود ومن معه فيها فساداً، وما كان يدري أنَّهُ كان يفتح بذلك الصفحة الأخيرة من صفحات تاريخ أسود كتبه أبوه، وأن نهاية ابنه ووريثه عبدالله، ستكون العبارة الأخيرة في تلك الصفحة.

يقول ابن بشر وهو يروي أحداث سنة ١٢٢٥ (وفيها سار سعود بالجنود... استنفر النواحي من جميع الحاضر والبادي من وادي الدواسر إلىمكة والمدينة، إلى جبل طي والجوف وما بين ذلك، خرج من الدرعية لثلاث خلون من ربيع الثاني وقصد نقرة الشام المعروفة، لأنه بلغه الخبر أن بوادي الشام وعربانه من عنزة وبني صخر وغيرهم فيها) أقول هذه بلادهم وهم فيها لأنها بلادهم، فهل هذا مبرر لغزوهم؟ (فلما وصل تلك الناحية لم يجد فيها أحدا منهم، وإذا قد سبقه النذير إليهم فاجتمعوا على دويخي بن سمير رئيس ولد علي من عنزة، وهو من وراء الجبل المعروف بطويل الثلج قرب نابلس نازلين عين القهوة من جبال حوران، ولما بلغ ابن سمير ومن معه إقبال سعود انهزم بمن معه من البوادي ونزلوا الغور من حوران، فسار سعود في تلك الناحية، وأقبل وأدبر واجتاز بالقرى التي حول المزيريب وبصرى، فنهبت الجموع ما وجدوا فيها من المتاع والطعام، وأشعلوا فيها النيران. وكان أهلها قد هربوا عنها لما سمعوا بمسيره. ثم نزل عين البجة. وروى منها المسلمون وشربت خيلهم وجيوشهم. ثم أقبل على قصر المزيريب. فظهر عليهم منهم خيل فحصل طراد. فانهزمت الخيل إلى القصر واحتصروا فيه. فأراد المسلمون الحشدة على القصر، ولا أحب سعود ذلك مضنة بالمسلمين لأجل إحصانه ثم رحل ونزل بصرى وبات فيها. ثم رجع قافلا إلى وطنه ومعه غنائم

كثيرة من الخيل والمتاع والأثاث والطعام. وقتل من أهل الشام عدة قتلى...).

ثم يقول في أحداث سنة ١٢٢٦ (وفي هذه السنة أجمع أمراء الروم على المسير إلى الحجاز وأعدوا جميع آلات الحرب من السفن والمدافع والقنابر والبنادق وجميع آلاتها وما يحتاجون إليه من الأموال والذخاير من طعام وغيره، فاجتمع العساكر من إسطنبول ونواحيها وما دونها إلى الشام ومصر والرئيس المقوم بهذا الأمر من جهة الروم صاحب مصر محمد علي فسير العساكر المذكورة برا وبحرا، فسير عساكر في السفن واستولى على بندر الينبع...) نقول هكذا بدأت الأعمال الحربية من مصر على الوهابيين في العام ١٨١٠ وانتهت بزوال سلطتهم في سنة ١٨١٨، فيكون الوهابيين قد خسروا في ثمان سنوات ما بنوه في أربع وسبعين عاماً، لأنهم كانوا عصابة سطو مسلح، ولم يفكروا أبداً ببناء دولة حديثة، كما فعل محمد علي باشا في مصر، واكتفوا بالسطو المسلح والسلب والنهب، والعمل كوكيل محلي يضمن لبريطانيا سلامة قوافلها التجارية،وإبعاد الفرنسيين عن جزيرة العرب.

ثالثاً: إصلاح سياسي وانقسام الوهابيين وتقاتلهم.

يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٣٤ (ثم إن الباشا) يقصد إبراهيم باشا (أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد المصالحة، وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائهم أن يرحلوا من الدرعية إلى مصر، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم، وسار معهم كثير من العساكر، ولم يبقى منهم إلا من اختفى أو هرب). وبعد أن رحل إبراهيم باشا وجيشه عائداً إلى مصر، أبقى قوة من الجيش في نجد لحكمه حكماً مباشراً، وفرض وإظهار سيادة الدولة العثمانية، التي تبين أن الوهابيين لا يفهمون معناها، ولا يفهمون أن هذه البلاد جزء من الدولة العثمانية، إلا من خلال رؤية القوات المسلحة التابعة للدولة العثمانية.

ولكن الوهابيين لم يتم تهجيرهم وترحيلهم جميعاً، لأن بعضاً منهم اختبأ أو هرب، كما يقول ابن بشر، ولما رحل إبراهيم باشا وعاد الهدوء إلى نجد والجزيرة العربية، عاد أولئك الهاربين وظهر الذين كانوا يختبئون، ليعملوا على ممارسة السطو المسلح مجدداً، ويذكر ابن بشر ذلك على النحو الآتي:

(وفي آخر هذه السنة) يقصد سنة ١٢٣٤ (رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلد العيينة ونزل الدرعية، وكان لما هدم الباشا الدرعية رحل منها ونزل العيينة، فلما رحل الباشا عن نجد وسار بآل سعود إلى مصر، وذهبت أموالهم ورجالهم، طمع في ملك نجد، وكان خاله عبدالعزيز بن محمد وعبدالله بن محمد آل سعود... وعنده من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يعد. فلما نزل بلد الدرعية سعى في عمارتها، وأظهر إعادة الدعوة، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة..). ويقول في حوادث سنة ١٢٣٥ (... ثم إنه تمكن أمره في البلدان، وصار له فيها دعاة، ثم قدم إليه في الدرعية تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد، وصارا عنده وساعداه... وفي عاشر جمادي الآخرة قدم مشاري بن سعود الوشم. ثم سار منه إلى الدرعية ومعه عدة رجال من أهل القصيم وأهل الزلفي وأهل ثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام. وقدم الدرعية ونزل في بيت من بيوت إخوانه. فانزعج ابن معمر وهم بالامتناع والمحاربة، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح وبايع لمشاري بن سعود واستقام الأمر له...). وبعد أن عدد ابن بشر من توافدوا على الدرعية من آل سعود وغيرهم، يخبر القارئ بأول ما قام به مشاري قائلاً (وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود أمر على أهل البلدان الذين بايعوه بالغزو..). إلاّ أنَّ الأمر لم يطل على هذا الحال، فقد ظهر بين أحفاد محمد ابن سعود،تيار سياسي جديد، أزاح أنصار السطو المسلح من السلطة، وبدأت تظهر ممارسات سياسية غير مألوفة في السلطة الوهابية.

نحن الآن نتحدث عن ما يسمونه "الدولة السعودية الثانية"وقد سبق أن ذكرنا أن

الوهابيين لم يكن لهم دولة قبل سنة ١٩٢٦، وهي السنة التي أعلن فيها عن إنشاء المملكة الحجازية النجدية، بعد أن انحسرت سيادة السلطنة العثمانية عن البلاد العربيةسنة ١٩٢٣، وباعتراف رسمي منها. ولذلك من المهم أن ننتبه إلى أن أهم معالم الفكر السياسي الجديد، الذي ظهر في نجد مع تركي عبدالله محمد ابن سعود وابنه فيصل وحفيديه عبدالله وسعود، كان فهمهم لهذه المسألة وتعاملهم مع جيرانهم من ولاة العراق ومصر وأشراف الحجاز، كواقع سياسي قائم لا قبل لهم بتغييره، ولا يسعون لذلك. ويخبر ابن بشر عن ذلك، فيما كتبه عن حوادث سنوات عدة:

(... وأتى إليه) يتحدث عن تركي بن عبدالله (مكاتبات من علي باشا بغداد) هكذا فقط ولم يبين ابن بشر أي شيء عن مضمون أو أسباب هذه المكاتبات، التي ورد ذكرها ضمن حوادث سنة ١٢٤٧.

(... وفي هذه السنة) يقصد سنة ١٢٦٣ (كان ظهور الشريف محمد بن عون إلى نجد، وذلك أن الإمام فيصل متع الله به كثير الحلم والعطاء والتودد إلى الناس لاسيما الأشراف، وكان عند الشريف في مكة أناس من رؤساء أهل القصيم، وكانت فيهم عداوة لهؤلاء الطائفة، فزينوا له أنه إن سار إلى نجد فلا يقاومه فيها أحد، ولا يثبت فيصل في مكانه، فطمع الشريف في ذلك...الخ).

ومما جاء ذكره مع حوادث سنة ١٢٦٧ قوله (... رجعنا إلى ذكر تمام قصة عبدالعزيز أمير بريدة، ثم إنه كما ذكرنا كان عند شريف مكة وأقام عنده عدة أشهر يتودد إليه... فرجع إلى النزعة بعد الفزعة وطلب من الشريف الشفاعة عند فيصل وانه يرجع إلى بلده ويجتمع بماله وولده. وكان الإمام كما تقدم قد تجهز إلى قطر، فصارت رسل الشريف تتردد بينه وبينه وهو في قطر، فأرسل الإمام إلى أخيه جلوي أن لا يركب من القصيم حتىيقدم عليه عبدالعزيز، فما زال الشريف يتودد إلى فيصل ويشفع لعبدالعزيز أن يرده أميرا في بلاده ولا عليه بأس، ولا له أمر ولا نهي على أحد من الناس، فسمح له بذلك ... الخ).

كذلك فقد ظهر في عهد تركي عبدالله، الخطاب السياسي الموجه للشعب، لأول مرة في أدبيات الوهابيين، ومع أن الخطاب الذي أورده ابنبشر مع حوادث سنة ١٢٤٩، يغلب عليه النصح والوعظ والإرشاد الديني، إلا أنه يتضمن أوامر إدارية لأمراء البلدان تتعلق بمراقبة الأسواق وضبط الموازين، وهو خطاب طويل نقتبس منه ما يبين للقارئ، أن هذا لم يكن خطبة دينية أو موعظة فحسب، بل كان خطاباً سياسياً بالمعنى الحقيقي:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من تركي بن عبدالله إلى من يراه من المسلمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: موجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن أحوالكم والنصيحة لكم، والشفقة عليكم والمعذرة من الله إذ ولاني أمركم) توضح هذه العبارة الأخيرة (ولاني أمركم) أنه لا يتحدث إلى عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما توحي عبارة (إلى من يراه من المسلمين) وتوضح عبارة (ولاني أمركم) أنه يتحدث لشعبه الذين ولاه الله أمرهم (... وكذلك المكاييل والموازيين وأنا ملزم كل أمير يُحضِر مكاييل بلده كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد، وكذلك تفعلون بالموازين، وتفقدوا الناس في كل شهر، ولا يحل بخس المكيال والميزان، ولو كانت المعاملة مع ذمي كما في الحديث الشريف "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"...) وبعد أن يورد ابنبشر الخطاب كامل، يعلق عليه ويذكر ما يلي:

(... وهذه وما في معناها صفة مراسلاته ونصائحه لرعيته التي يبعث بها في كل سنة إلى كل ناحية، وهذه عادته وعادة ابنه فيصل يرسلون النصائح للرعايا في كل سنة لكل بلد ورقة، ولو رسمت نصائحهم ومراسلاتهم المتضمنة لذلك، وشدة تعاهدهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىالله دائما لا يفترون، لبلغت كتابا... الخ). ومما ظهر في عهده مما هو دال على فكر سياسي جديد، بروتوكول للتشريفات والعرض العسكري يكاد أن يكون كاملاً، في سياق

حديث ابن بشر عن سيرة تركي بن عبدالله في الحروب فقال:

(أما سيرته في مغازيه فإنه إذا أراد الغزو كتب لأمراء البلدان ورؤساء العربان وواعدهم يوماً معلوماً في شهر معلوم، ثم يخرج رحايل زهابه وزهبته، ومدافعه إن كانت، وآلات ضيفه وعليق خيله قبله بنحو خمسة عشر يوما، ثم بعد ذلك يظهر الراية فتركز قريبا من باب قصره قدر يومين أو ثلاث ثم إنه يختار من الأيام يوم الخميس أو يوم الاثنين يركب فيه إذا علم أنهم قد تهيئوا، فإذا ركب من قصره وقف له الفرسان على خيلهم من بنيه وعشيرته وخيالته، وتشد النجايب العمانيات بآلاتهن وراءه، وتقف له الرجال والأطفال والأرامل والمساكين فيدعون له ويودعونه، ويبذل لهم العطاء...الخ).

وظهرت في عهده محاسبة أمراء البلدان وقادة الحرب، ويقول ابن بشر في ذلك (... أخبرني من حضر ذلك الجمع انه قال: (اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا أمراء المسلمين، إياكم وظلم الرعايا، والأخذ منهم غير الحق، فإذا ورد عليكم أمري بالمغزى حملتموهم زيادة لكم إياكم وذلك، فلأنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب لغزوهم إلا من أجل الرفق بهم، وإني ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذي قبل، والله تعالى وتبارك يقول: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين". وإذا ورد عليكم أمري فرحتم بذلك لتأكلوا في ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقط عليه، فاعلموا إنيلا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا كثيرا ولا قليلا، فمن حدث منه ظلم أو تعدي على رعيته بغير حق فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه بأهله". ثم تكلم رحمه الله للرعايا فقال لهم أيما أمير ظلمكم فأخبروني. فقام أمير بريدة عبدالعزيز ابن محمد بن عبدالله بن حسن فقال: يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعمم به، فإن كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله، فقال: إنما القول فيك وأمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام). ويقول ابن بشر إن هذا الجمع كان في سنة

١٢٤٨ عند غدير وسيلان.

ومن حوادث سنة ١٢٥٦ يقول ابنبشر (فلما كان آخر رمضان أرسل خالد إلى أهل البلدان بالمغزا) هنا هو يتحدث عن خالد بن سعود الذي تولى السلطة بعد ترحيل فيصل تركي إلى مصر (وأمر على البلدان يقدمون إليه، واستلحق أحمد السديري وأمراء سدير، فلما قدموا عليه في الرياض أنزلهم في بيوت، وأمر على الغزو ينزلون خارج البلد، ثم دعا أهل سدير فدخلوا عليه، فلما جلسوا عنده قال: إني ما أحضرتكم إلا أني أريد أن أزيل عنكم المظالم، وأنه بلغني عن أحمد السديري أنه ظلمكم وأخذ كثيرا من أموالكم، وهذه من خالد والله أعلم غيرة مما رأى من إكرام خرشد لأحمد وحظه عنده، فتكلم أناس من سدير في السديري وقدحوا فيه، وتكلم آخرون بضد ذلك، ثم قام خالد من المجلس، وأمر على بلال الحرق مملوك عبدالعزيز بن سعود أن يركب ويقصد بلدان سدير ومنيخ، وأمره أن يدخل كل بلد ويكتب كل ما أخذه أحمد منهم، فقدم بلال بلدان سدير في ذي القعدة ودخل كل بلد وكتب ما أخرجوه في مغازيهم وما ينوبهم على يد أحمد وابنه محمد، فلما قدم بلال الرياض، ورأى ما مع بلال من التزويرات عزل أحمد عن سدير، وعزل أمراء سدير الذين كان اتهمهم أنهم من أعوانه... الخ). ويلاحظ هنا أن ابن بشر يدافع عن أحمد السديري فيقول إن خالد ربما فعل ذلك غيرة من أحمد السديري، هكذا يقول ابن بشردون أن يقدم بينة على ذلك، بل إن الوقائع التي يذكرها ابن بشر تؤكد أن خالد بذل جهده للتحقق من الاتِّهامات الموجهة لأحمد السديري، فبعث من يقابل الناس ويسمع منهم، فلم يعزل أحمد السديري إلا بعد أن استكمل إجراءات المحاسبة الصحيحة والعادلة، إلا أننا لن نتوقف طويلاً عند رأي ابن بشر حول سبب عزل أحمد السديري، لأن ما يهمنا هو توضيح أن فكراً سياسياً جديد ظهر في السلطة الوهابية، بعهد تركي عبدالله وابنه فيصل، ومن مظاهر هذا الفكر السياسي الجديد، محاسبة ومعاقبة أمراء البلدان وقادة الجيش.

ولكن الحال لم يستمر هكذا، فقد تنازع الوهابيون وتقاتلوا، وما انتهى تقاتلهم إلا بزوال سلطتهم، ولجوء آخر أئمة ذلك العهد، وهو عبدالرحمن الفيصل إلى الكويت، التي انطلق منها ابنه عبدالعزيز في بداية القرن العشرين إلى الرياض لإعادة السلطة الوهابية.

وهكذا يتضح بخلاف ما يدعيه الوهابيون، أن القتال الذي وقع بينهم في نهاية القرن التاسع عشر، لم يكن حرباً أهلية. ولم يكن صراعاً فيما بين أحفاد محمد ابن سعود، على أحقية أبناء فلان أو أبناء فلان بالسلطة، وإنما كان صراعاً بين جماعات السطو المسلح، التي تريد للسلطة الوهابية أن تكون وكالة حروب إقليمياً وسطو مسلح محلياً، ودعاة السلطة الرشيدة التي تعمل لإقامة العدل وإصلاح السلطة والمجتمع وحياة الناس، وهو التيار الذي ظهر بين الوهابيين بعد إنهاء القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا لسلطة الوهابيين في الدرعية، وعندما انتقل مركز الصراع الاستعماريين بريطانيا وفرنسا، من جزيرة العرب وسواحل الخليج العربي إلى مصر وبلاد الشام.

تلقى الوهابيين من دعاة السطو المسلح، الضربة المباشرة من القوات المصرية التي أنهت سلطتهم في الدرعية، ولكنهم أيضا تلقوا ضربة أخرى كبيرة، بتراجع الاهتمام البريطاني بهم وبخدماتهم، بعدما أصبحت الجزيرة العربية تحت الحكم المصري، فاطمأنت بريطانيا إلى أن جزيرة العرب وسواحل الخليج العربي باتت في أيد أمينة، ولن تستطيع فرنسا أن تحتل تلك البلاد، ولن تستطيع أن تقيم معاهدات أو تحالفات مع الحكام المحليين في جزيرة العرب وسواحل الخليج، ففشلت جماعات السطو المسلح في استعادة السلطة، ولكنهم نجحوا بإنهاء سلطة الإصلاحيين الوهابيين، فدخل حاكم جبل شمر إلى الرياض وعين أميراً تابعاً له فيها، لتطوى بذلك صفحة أخرى من صفحات تاريخ السلطة الوهابية.

رابعاً: **سلطة وهابية تحت الوصاية البريطانية.**

عندما بدأ القرن العشرين كان الصراع الاستعماريبين بريطانيا وفرنسا قد أصبح منخفض الشدة. وشيئًا فشيئاً أخذ التنافس بينهما يتحول إلى تعاون لمعالجة المشاكل المشتركة، لدرجة أنهما تمكنتا في العام ١٨٧٨ من تشكيل حكومة مصرية، فيها وزير فرنسي وآخر بريطاني، وحتى عندما قامت بريطانيا باحتلال مصر عام ١٨٨٥، وجدت فرنسا إمكانية للتفاهم معها (... واستمرت فرنسا ناقمة على إنجلترا استئثارها بمصر، وأخذت تعمل على إفساد سياستها وعرقلة أعمالها بوادي النيل، حتى سنة ١٩٠٤، ففي ٨ أبريل من تلك السنة، عقد "الاتفاق الودي" الشهير بين إنجلترا وفرنسا، وفيه تعهدت فرنسا بإطلاق يد إنجلترا في مصر، نظير تعهد إنجلترا بإطلاق يد فرنسا في مراكش) تاريخ مصر الحديث. ص ٨٨

وهكذا يتبين أن الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا، كان آنذاك قد انتهى، أو أوشك على الانتهاء، وكان الموقف الدولي في أوروبا متوتر للغاية، مع صعود دول استعمارية جديدة، تبحث لنفسها عن موطئ قدم بين الدول الاستعمارية الأخرى.

في تلك الأثناء، أي مع بداية القرن العشرين أصبحت بريطانيا مشغولة في جزيرة العرب بأمرين، الأول هو دفع ومحاصرة النفوذ الروسي والألماني الآخذ بالازدياد، في دوائر السلطة بالدولة العثمانية وعلى أراضيها، وتأليب الحكام العرب ضد الدولة العثمانية، وإمدادهم بالمال والسلاح والمستشارين، لمساعدتهم على الانفصال عن الدولة العثمانية.

الأمر الأول مذكور في مصادر متعددة، ويمكن الرجوع إليها. منها كتاب اليكسي فاسيلييف تاريخ العربية السعودية. وعن هذا يقول (.. في تلك الأثناء حدثت تغيرات جدية في الوضع الدولي. فقد نشطت بريطانيا هجومها على منافسيها الألمان والروس في حوض الخليج) ص ٢٨٠.

كذلك الحال بالنسبة لتحريض بريطانيا الحكام العرب ودفعهم للثورة على الدولة العثمانية، وإمدادهم بالمال والسلاح والمستشارين، لإنجاح مساعيهم الانفصالية، فهذا الأمر بات معلوماً وشائعاً في المرجع العربية والأجنبية وسنتوقف عند علاقة عبدالعزيز بكل من تركيا وبريطانيا، لبيان الأثر العميق الذي تركته علاقات عبدالعزيز المتشعبة مع الإخوان الوهابيين، وتركيا وبريطانيا على هوية السلطة الوهابية والدولة الوهابية، والمجتمع المحلي.

عندما نتحدث عن ذلك، فنحن نتحدث عن مسألة جوهرية بالنسبة لبحثنا هذا، لأنها مازالت تؤثر في حياتنا حتى اليوم. ولا نبالغ إن قلنا إنها هي سبب أكبر أزمات السلطة التي شهدتها الدولة السعودية، التي نشأت في القرن العشرين. ولذلك فإن علاقة عبدالعزيز بكل من تركيا وبريطانيا بالنسبة لنا، ليست مسألة علمية أو تاريخية فقط، وإنما هي سبب في انقسام حاد ودموي بين أبناء عبدالعزيز، حول تعريف الدولة التي أنشأها عبدالعزيز وورثها لهم. وسنتحدث بإسهاب عن هذا الانقسام، والصراع على السلطة في الفصل التالي.

جوهر ومضمون الخلاف بين أبناء عبدالعزيز حول علاقة عبدالعزيز بتركيا، هو أن عبدالعزيز عاد للرياض وقتل أميرها وأعلن نفسه أميراً عليها، من أجل أن يعيد بناء مملكة أسلافه كما يقول.

ومعنى ذلك أن عدوه الأكبر والأهم كان الدولة العثمانية، التي قضت على مشاريع أسلافه ودعوتهم الوهابية، ولأنها هي الدولة صاحبة السلطة والسيادة، وكان لها قوات مسلحة موجودة على الأرض في جزيرة العرب، عندما عاد للرياض مع بداية القرن الميلادي العشرين -١٩٠٢-. وفي الوقت نفسه، نرى عبدالعزيز يتصل بالدولة العثمانية ويتفاوض معها، بل إن مراجع هامة وذات مصداقية، تؤكد أن عبدالعزيز كان قائمقام في نجد، ثم والياً في نجد وقائمقام في الأحساء وما حولها، وهذا ما يفسر سبب اللقب الغريب الذي حمله عبدالعزيز بعد احتلاله للأحساء. فعبدالعزيز يعتبر كل جزيرة العرب ملك آبائه وأجداده،

ولذلك فإن أية أرض يستولي عليها، تصبح جزء من أملاكه، وهذا يدعو للتساؤل عن معنى مصطلح "ملحقاتها" الذي وصف به عبدالعزيز الأحساء، بعد استيلاءه عليه، والمنطق الوحيد الذي يفسر هذا التصرف الغريب من عبدالعزيز، هو أنه كان والياً عثمانيا على نجد، ثم كلفته الدولة العثمانية أو عينته، قائمقام في الأحساء إلى جانب كونه والياً على نجد. وفي هذه الحالة فقط، يمكن أن نفهم لماذا جعل عبدالعزيز "الأحساء" ملحقات بنجد، وليست جزء أصيل منها، باعتبار أنها جميعا ملك أبائه وأجداده.

لذلك فإن العلاقة الرسمية بين عبدالعزيز والدولة العثمانية، وقائع وحقائق واقعية، وليست تحليل أو تفسيرات واستنتاجات شخصية، فقد أنقذت الدولة العثمانية عبدالعزيز، عندما أرسلت قواتها للفصل بين مليشياته، وقوات أمير حائل في القصيم، بدلاً من أن تقضي عليه وعلى طموحه السياسي، كما فعلت مع أسلافه من قبل؛ ثُمَّ سلمت له القوات التركية الأحساء دون قتال، ولم يعود عبدالعزيز لمقاتلة أمراء آل رشيد في حائل، إلا بعد انحسار السيادة العثمانية عن البلاد العربية. ولم يقاتل أشراف مكة إلا بعد أن أعلنوا الانفصال عن الدولة العثمانية، فأين هو عداء عبدالعزيز للدولة العثمانية، وكيف كان يريد أن يقيم مشروعه السياسي؟!

هل كان يسير على نهج جده عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، الذي جعل نفسه وأبناءه وكلاء حرب لبريطانيا في جزيرة العرب؟!

أم كان يسير على نهج جده تركيٍ ابن عبدالله بن محمد ابن سعود وأبناءه، فيجعل مشروعه السياسي متصالحا مع الدولة العثمانية، ومكتفياً بالسلطة المحلية، دون منازعة الدولة العثمانية على السيادة؟!

سؤال الهوية هذا فرض نفسه على أرض الواقع، متفجراً بوجه عبدالعزيز بعد احتلاله للحجاز سنة١٩٢٦، فسلطنة نجد كانت آنذاك قاعدة حربية، وحاضنة

شعبية، لدعوة وهابية إمامية، أما الحجاز، ومكة المكرمة بوجه خاص، فقد كانت الحاضنة والقاعدة السياسية لثورة قومية، تدعو لإنشاء دولة عربية، ومن جهة ثالثة كانت بريطانيا تسعى لإنشاء إمارات متفرقة في جزيرة العرب، لإرضاء كل حلفاءها الذين قاتلوا معها ضد الدولة العثمانية، أو دولة وطنية تشمل سلطنة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز. فأعلن عبدالعزيز في عام ١٩٢٦ إنشاء دولة وطنية ذات نظام حكم فيدرالي، تحمل اسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، وصار لقبه الرسمي ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، مُلبِّياً بذلك المطلب البريطاني بإنشاء دولة وطنية، ومستجيباً لمطلب القيادات السياسية والشعبية في الحجاز، بجعل الحجاز مملكة مستقلة بإدارة شؤونها الداخلية، ولكنه تجاهل بإعلانه ذاك، مبادئ دعوته الوهابية وقاعدته الشعبية النجدية، ثمَّ توسَّع الإتحاد الفيدرالي الناشئ بعد ذلك في العام نفسه ـ ١٩٢٦ ـ بانضمام عسير رسمياً للإتحاد، بموجب معاهدة مكة، التي وقعت بين عبدالعزيز وإمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي، وقد نصت المعاهدة على أن إدارة الشؤون الداخلية لبلاد عسير من حقوق إمام عسير، وقبل أن يمضي وقت طويل، ثار الإخوان وعاد الإدريسي يطالب بالانفصال، وأعلن ابن رفادة وهو أحد زعماء القبائل في شمال الحجاز، ثورة تم إخماد نارها سريعاً. وانقلب عبدالعزيز على نظام الحكم الفيدرالي، فألغاه بعد ستة أعوام من ولادته، وألغى نظام الإدارة المحلي الذي كان قائماً في الحجاز وفي عسير، وأعلن في عام ١٩٣٢ إنشاء دولة ذات نظام حكم ملكي وراثي، وحكم فردي مطلق، وأعطي للدولة اسم المملكة العربية السعودية.

تلك الأحداث والوقائع كانت خاتمة لمسار تبعه عبدالعزيز، منذ أن تسلل إلى قصر الحكم في الرياض سنة ١٩٠٢ وقتل أميرها، ثمَّ أعلن أن الملك لله ثم له، بعد ذلك، تبعت له القرى والبلدات المجاورة للرياض، وبدأ يهاجم مدن القصيم وقراها، فحدثت نقطة تحول مهمة، فلما وصل جنود عبدالعزيز إلى القصيم وحدثت مواجهات بينهم وبين قوات أمير حائل، تدخل وآلي البصرة، لأن نجد كلها كانت

آنذاك تتبع لوالي البصرة، وننقل تفاصيل ذلك، من المجلد الثاني من كتاب تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد حيث يقول:

(... كاتب ابن الرشيد حلفاءه الترك، بعد الهزيمة التي لحقت به وبعد ما تبين عجزه عن اقتحام الرياض وإخضاعها، مستنجدا بهم وطالبا قوات كبيرة ... فرأى ولاة الأمور الترك في البصرة، وكانوا يشرفون على شؤون نجد الإدارية والعسكرية، انه صار عليهم أن يتدخلوا... وكتبوا بذلك إلى الأستانة يطلبون موافقتها فقالت لهم بعد أخذ ورد طويلين إن عليهم أن يَدْعوا الفريقين إلى مؤتمر مشترك... وتم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر في البصرة. ومثل السعودية في هذا الاجتماع أوالمؤتمر "الإمام" عبدالرحمن الفيصل وجاء مندوب من آل الرشيد. ومثل تركيا فخري باشا والي البصرة. واجتمع المؤتمر في الزبير بجوار البصرة. وتقدم المندوب التركي بالمقترحات الآتية... تكون مقاطعة القصيم، منطقة حياد بين السعودية وآل رشيد. تقيم الدولة العثمانية حامية فيها لصيانة الأمن والنظام ومنع التصادم. تعين الدولة عبدالعزيز بن سعود قائمقام (حاكم) على نجد... وقال المندوب السعودي انه مع رغبته في الاتفاق والتعاون مع الدولة إلا انه غير مفوض بالتوقيع وان عليه أن يرجع إلى حكومته لأخذ رأيها. وطلب تأجيل الاجتماع فأجل.). ص ٣٧

ثم عقد الاجتماع الثانيٍ في عنيزة، بعد أن وصلت القوات التي سترابط في القصيم (... وتم الاتفاق مبدئياعلى الشروط الآتية. تكون القصيم منطقة حياد تفصل بين الرياض وحائل. يكون للدولة قاعدتان عسكريتان في القصيم للمحافظة على الأمن في بريدة وعنيزة. تعين الدولة عبدالعزيز ابن سعود حاكما على المقاطعة.) ص ٣٩

ويقول أمين سعيد إن ابن رشيد رفض هذه الشروط وانسحب من الاجتماع، وإنَّ الاجتماع فشل لهذا السبب، ولكن هذا غير صحيح. فالاجتماع لم يفشل، لأن تركيا وضعت قواتها في القصيم، وعبدالعزيز كف عن محاولاته للتوسع شمالاً،

بل إنَّ فاسلييف يذكر في كتاب تاريخ الدولة السعودية أن عبدالعزيز صار يتقاضى ٩٠ ليرة تركية شهريا من الدولة العثمانية بعد هذا الاتفاق(.. وسرعان ما اتفق عبدالعزيز مع أمير حائل الجديد متعب على اقتسام أواسط الجزيرة... ومنح الباب العالي متعب معونة بمبلغ ٢٠٠ ليرة تركية شهرياً بالإضافة إلى الأغذية، أما عبدالعزيز فقد استلم ٩٠ ليرة تركية فقط شهرياً) ص ٢٨٦

ويقول فاسلييف قبل ذلك (... وقسمت نجد إلى وحدات إدارية تبعا للممارسات التركية المعتادة. وصارت بريدة قضاء يحكمه صالح الحسن بن مهنا. وأصبحت بريدة وعنيزة تابعتين إداريا لولاية البصرة. واعتبر جنوب نجد قضاء أيضا، بينما صار عبدالعزيز بمثابة القائمقام ومركزه في الرياض، وهو خاضع رسميا للبصرة) ص ٢٨٥

وأيا يكن من الأمرِ، فإن مما هو ثابت بالمراجع المختلفة، أن عبدالعزيز كانت له علاقة حسنة بالدولة العثمانية، ومن المحتمل أنه أصبح يحمل لقب أمير نجد ورئيس عشائرها، بعد استيلائهِ على الرياض ١٩٠٢، ثم أصبح في العام ١٩٠٤ أو قريبا من ذلك قائمقام في نجد، وعندما احتلَّ الأحساء في سنة ١٣٣٢ ـ ١٩١٤، تمت ترقيته ليصبح والياً على نجد، وقائمقام على الأحساء، ويقول أمين سعيد عن ذلك (... ودارت مفاوضات في البصرة بين واليها ومندوب سعودي، فتم الاتفاق... على أن يعين السلطان) يقصد السلطان العثماني(عبدالعزيز بن سعود والياُ على نجد ومتصرفاً للحسا ويمنحه رتبة الباشوية. وعقد اتفاق بينهما بذلك) تاريخ الدولة السعودية. المجلد الثاني. ص٥٨

ولم تتأخر بريطانيا بتوقيع معاهدة مع عبدالعزيز بعد احتلاله للأحساء، وعن هذا يقول أمين سعيد في المجلد الثاني من تاريخ الدولة السعودية (... ووصل إلى بيرين في الجزء الأخير من شهر ديسمبر ١٩١٥، السير برسي كوكس فدارت بينه وبين الإمام مباحثات حول المعاهدة انتهت يوم ٢٦ منه بالتوقيع عليها. وقد عرفت باسم معاهدة العقير...) ص ٧٥.

أما الكسي فاسلييف فيقول(.. وفي ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥، وقع بيرسي كوكس مع عبدالعزيز المعاهدة في جزيرة دارين المقابلة للقطيف. ولذا سميت المعاهدة بمعاهدة دارين أومعاهدة القطيف. وصادق على المعاهدة نائب ملك بريطانيا وحاكم الهند في تموز (يوليو) ١٩١٦.... وفيما بعد، واعتبارا من ١٩١٦، استلمت نجد، مقابل توقيع المعاهدة، معونة شهرية بمبلغ ٥ آلاف جنيه إسترليني، مع إرساليات معينة من الرشاشات والبنادق...) ص ٣٠٩ تاريخ العربية السعودية. فاسلييف.

ومع أن اسم المعاهدة يختلف في بعض المراجع عن اسمها في مراجع أخرى، إلا أن تاريخ المعاهدة وأسماء الموقعين عليها، ومضمونها واحدٌ، فاختلاف الاسم ليس هو المهم، وإنَّما المهم هو ملاحظة أن عبدالعزيز وضع البلاد التي كانت تتبع له، تحت الوصاية البريطانية بموجب تلك المعاهدة، التي توصف بأنها معاهدة حماية، بينما هي في الحقيقة معاهدة وصاية.

وفي العام ١٩١٣ أو قريب منه بدأ عبدالعزيز بإنشاء "الهجر- جمعٍ هجرة" وهي القرى التي أنشئت خصيصاً لإنشاء مجتمع وهابي منفصل كلياً أو جزئياً عن المجتمع المحلي، وينقل فاسلييف عن جريدة أم القرى أن إنشاء أول هجرة كان في العام ١٩١٣ (.. وفي آذار مارس ١٩٢٩ كتبت جريدة أم القرى لسان حال السعوديون التي تأسست بعد ضم الحجاز أن كانون الثاني يناير ١٩١٣ هو تاريخ نشوء أول هجرة) ص ٢٩٥. (.. ونشأت هجر كثيرة على أثر الأرطاوية. فقد أنشأت عتيبة هجرة في الغطغط وقد دمرت فيما بعد. وفي عام ١٩١٨ ظهر عدد كبير من هذه الهجر في أرجاء نجد كافة. ولئن كان عدد هجر الإخوان ٥٢ هجرة في الجزيرة كلها عام ١٩٢٠، فقد ازداد في عام ١٩٢٣ إلى ٧٢، وفي ١٩٢٩ بلغ ١٢٠ هجرة تقريبا. وكتبت أم القرى في عام ١٩٢٩ أن عنزة أسست ٧ هجر وشمر ١٦ وحرب ٢٢ ومطير ١٢ وعتيبة ١٥

وسبيع ٣ والسهول ٣ وقحطان ٨ والدواسر ٤ وبنو خالد ٢ والعجمان ١٤ والعوازم ٢ وبنو هاجر ٤ وآل مرة ٤ وهتيم ٣ والظفير ١). وبعد أن تخلت الدولة العثمانية عن الأراضي العربية، وفيما كانت بريطانيا تتقاسم مع فرنسا تلك الأراضي، وتقسمها إمارات وممالك، ذهب عبدالعزيز لاحتلال حائل واستبدل لقب أمير نجد ورئيس عشائرها،بلقب سلطان نجد وملحقاتها. (.. في نيسان أيار / أبريل مايو عام ١٩٢١، ألحقت فصائل بن سعود الهزيمة بقبائل شمر وأصبحت عند جدران حائل، فبدأ حصار مديد... في تلك الأثناء، وضع ونستون تشرشل في اجتماع عقد بالقاهرة بنية الشرق الأوسط لفترة ما بعد الحرب. قرر الانجليز تنصيب فيصل، ابن الشريف حسين، ملكا على العراق، وسرعان ما توج. كما قرروا إسناد إمارة شرقي الأردن لعبدالله) ويضيف بعد ذلك (قبل بدء الحملة الجديدة على حائل عقد عبدالعزيز مجلساً لأعيان وشيوخ القبائل وعلماء الدين حيث تقرر أن يخلع على الأمير لقب "سلطان نجد والأراضي الملحقة"لرفع الهيبة الدولية للبلد) ص ٣٣٢ فاسلييف. تاريخ العربية السعودية.

في جميع الأحوال يمكننا أن نلخص أزمة الحكم والهوية التي ظهرت منذ إحياء عبدالعزيز للسلطة الوهابية سنة ١٩٠٢ بالنقاط التالية:

١ ـ علاقة رسمية سرية مع الدولة العثمانية.

٢ ـ وصاية بريطانية سرية، بموجب معاهدة رسمية.

٣ـ اعتراف عبدالعزيز باستقلال مملكة الحجاز، عندما أعلن الشريف حسين الانفصال عن الدولة العثمانية سنة ١٩١٦، وقيامه بغزو مملكة الحجاز واحتلالها، وضم أراضيها لسلطنة نجد سنة ١٩٢٦.

٤ ـ إقرار الحكم الذاتي بالحجاز في العام ١٩٢٦، ثم إلغاء الحكم الذاتي سنة ١٩٣٢.

٥ ـ إقرار الحكم الذاتي في عسير سنة ١٩٢٦، ثم إلغاء الحكم الذاتي في البلاد كلها سنة ١٩٣٢.

٦ ـ تغيير اسم البلاد ولقب الحاكم ثلاث مرات، خلال تسعة أعوام فقط؛ فقد أعطى عبدالعزيز في العام ١٩٢١ للبلاد التي كان يحكمها اسم سلطنة نجد وملحقاتها، وحمل هو لقب سلطان نجد وملحقاتها؛ ثم تغير اسم البلاد في العام ١٩٢٥ ليصبح مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، وصار لقب الحاكم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها؛ ثم جرى تغيير اسم البلاد مرة أخرى في العام ١٩٣٢ ليصبح الاسم الرسمي لها هو المملكة العربية السعودية؛ وصار لقب الحاكم ملك المملكة العربية السعودية.

٧ ـ القضاء على مليشيات الإخوان، بسبب الخلاف معهم حول هوية الدولة تحديداً.

٨ ـ الاعتراف المتبادل مع الإتحاد السوفيتي سنة ١٩٢٦، وإقامة علاقة دبلوماسية بين البلدين، ثم تجميد هذه العلاقات مع الإتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي الشرقي جميعها، في العام ١٩٣٨.

٩ـ تصاعد المقاومة للاستبداد المتزايد بالسلطة، ونشوء معارضة سياسية تعمل من أجل انفصال الحجاز واستعادة استقلاله، تمثلت في رابطة الدفاع عن الحجاز، التي قيل إنّها كانت مدعومة من الملك فؤاد الأول، وحزب أحرار الحجاز الذي قيل إنه كان مدعوماً من الملك عبدالله ابن الحسين بشرق الأردن، والأدارسة في عسير الذين قيل إنّهم كانوا مدعومين من الإمام يحي في اليمن.

وهكذا تكون الوهابية السياسية قد نشأت في ظل الصراع الاستعماري منذ العام ١٧٤٤، وقدمت للمستعمرين مساعدةً ما كان لهم أن يحلموا بها، حتى وصل الأمر حد وضع جزيرة العرب تحت الوصاية في بداية القرن الماضي وبموجب معاهدة رسمية، بين بريطانيا والوهابية السياسية؛ ولم يستفد الوهابيون من علاقاتهم الدولية تلك، لتأسيس فكر سياسي يبني دولةً ويعلي مصالح الوطن، ويؤسس

لمواطنةٍ عادلةٍ ومفيدةٍ لأبناء الوطن، ولم يأتِ إنشاء الدولة الوهابية الوطنية القائمة الآن، بناء على إرادة جمعية وتطلعات شعبية نحو المستقبل، أو نتيجة خبرة سياسية من زعامات وطنية استثنائية، وجهد صادق ومخلص منهم لخدمة الوطن والشعب، وإنما جاء نتيجةً لانتهاء عصر الاستعمار القديم، ونشأة الأمم المتحدة، التي فرضت مبادئ وقواعد للعلاقات الدولية. فبقيت الوهابية السياسية عقيدة تنظر إلى الشعب كرعايا وأتباع وتنظر إلى الوطن كغنيمة، وتحكم دولةً وطنيةً بفكر سياسي متخلف، ينتمي في الظاهر للعالم المعاصر، في حين أن مضمونه وجوهره، يتمحور حول الاستبداد بالسلطة والاستئثار بالثروة؛ ونتيجة لذلك، بقيت الدولة الوهابية بلا هوية، ودخلت البلاد بعد موت عبدالعزيز، في حالة من الانقسام المتواصل والمتجذر بين الإخوة الوارثين، الذين لم يتفقوا على حد أدنى من الحقوق، التي يجب ضمانها للمواطن، حتى صار حق المواطن في الحلم بحياة أفضل جريمة؛ وصار حق المواطن بالحياة، بحاجة للدفاع عنه، بمساعدة المجتمع الدولي والمنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان.

إنَّ هذا الانقسام الذي ظهر بعد موت عبدالعزيز، ومازال مستمراً، هو أحد مظاهر أزمة الهوية، وأحد أوجهها المتعددة؛ وسوف نبين في الفصل الثالث مدى عمق هذه الأزمة، ونتائجها المدمرة للمجتمع والاقتصاد الوطني، باستعراض سريع لأعمال قام بها ملوك الوهابية الوطنية، ليرى القارئ بعد ذلك، كيف أنّ تلك الإنجازات والمكتسبات الوطنية الهامة، تم هدمها لاحقاً بشكل منهجي من قبل إخوتهم ملوك الوهابية الإمامية، في جولات متعاقبة، بسباق دائم ومتواصل، بين البناء الحثيث، والتدمير الشامل.

ملحق الفصل الثاني

<u>**أولا:**</u> مجموعة صور تثبت أن الدولة السعودية القائمة حاليا، والتي يسمونها "السعودية الثالثة" كانت قائمة كدولة مستقلة، ومارست أعمال السيادة باسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، قبل العام ١٩٣٢.

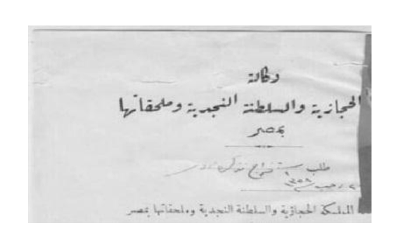


جواز سفر ويظهر فيه العلم بوجهيه



تذكرة تابعية (بطاقة الهوية حاليا)



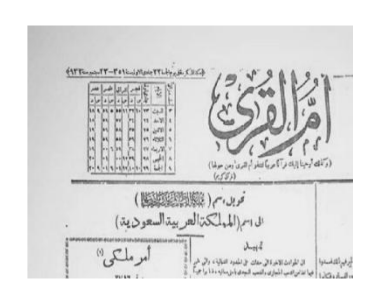


أختام رسمية

تمثيل دبلوماسي بالخارج



عملة معدنية



أم القرى

تحويل اسم (...)
الى اسم (المملكة العربية السعودية)

أمر ملكي

صحيفة رسمية

<u>ثانيا:</u> نص معاهدة العقير كما وردت في الصفحة ٧٣ من الجزء الثاني لكتاب تاريخ الدولة السعودية، تأليف أمين سعيد:

(بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الحكومة البريطانية من ناحية، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود حاكم نجد والحسا والقطيف والجبيل والمدن والمراسي التابعة لها، بالأصالة عن نفسه وورثته وخلفائه وعشائره من جهة أخرى، راغبين في توطيد الصلات الودية التي مر عليها وقت طويل ما بين الفريقين وتعزيزها لأجل توثيق مصالحهما، فقد عينت الحكومة البريطانية الليفتننت كولونيل السير برسي كوكس كه. مي . آر . كه . مي . المعتمد البريطاني في خليج فارس مفوضاً من قبلها لعقد معاهدة مع عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود .

أولاً: تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجد والحسا والقطيف وجبيلا وتوابعها والتي سيبحث فيها، وتعين اقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هي بلاد ابن سعود وآبائهمن قبل . وبهذا تعترف بأن سعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً، ورئيساً مطلقاً على قبائلها، وبأبنائه وخلفائه بالإرث من بعده، على أنيكون ترشيح خلفه من قبله ومن قبل الحاكم بعده، وألا يكون هدا المرشح مناوئاً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه، خاصة فيما يتعلق بهده المعاهدة.

ثانياً: إذاحدث اعتداء من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون إعطائها الفرصة للمخابرة مع ابن سعود

وتسوية المسألة، فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارته، إلى ذلك القدر ، وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالتين لحماية بلدانه ومصالحه.

ثالثا: يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول في مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية امة أجنبية أودولة، وعلاوة على دلك بأن يبلغ حالاً إلى معتمدي السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أيدولة أخرى في أن تتدخل في الأقطار المذكورة سابقاً.

رابعا: يتعهد ابن سعود بألا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها، ولا يتنازل عنها بطريقة ما، ولا يمنح امتيازاً ضمن هده الأقطار لدولة أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية، وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لا يكون دلك مجحفاً بمصالحه الخاصة.

خامساً: يتعهد ابن سعود بحرية المرور في أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة وان يحمي الحجاج في مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها.

سادساً: يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبل، بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية ولها صلات عهدية مع الحكومة المذكورة، وألا يتدخل في شؤونها. وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فيما بعد.

سابعاً: تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة أكثر تفصيلاً من هذه على الأمور التي لها مساس بالفريقين. كتب في ١٨ صفر عام ١٣٣٤ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩١٥).

ثالثا: نص معاهدة جدة، التي ألغت معاهدة العقير، كما وردت في الصفحة ١٩٥ من الجزء الثاني لكتاب تاريخ الدولة السعودية، تأليف أمين سعيد:

(إن جلالة ملك بريطانيا وارلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وإمبراطور الهند من جهةوجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من ناحية أخرى، رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها، قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم لدلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية السر جلبرت كليتن مندوباً مفوضاً عنه، وانتدب حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل عبدالعزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناء على ما تقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفق سمو ا

لأمير فيصل بن عبدالعزيز وحضرة السر جلبرت كليتن على المواد الآتية:

المادة الأولى: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية: يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطاني وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين أن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية أسوة بسائر الحجاج، ويعلن جلالة الملك بأن يكونوا أمينين على أموالهم وأنفسهم في أثناء إقامتهم في الحجاز.

المادة الرابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً والدين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من يندبه لدلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط ألا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني، إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها إمام المحاكم المختصة وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية النجدية.

المادة الخامسة: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكدلق يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة.

المادة السادسة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الدين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة السابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق.

المادة الثامنة: على الفريقين المتعاقدين إبرام هده المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت وتصير نافدة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من دلك التاريخ وان لم يعلن احد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر، انه يريد إبطال المعاهدة، تبقى نافدة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين الفريق الآخر إبطالها.

المادة التاسعة: تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، في دسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكماً على نجد وما كان ملحقاً بها إذا ذاك ملغاة، ابتداء من تاريخ إبرام هده المعاهدة.

المادة العاشرة: دونت هده المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية وللنصين قيمة واحدة. اما إذا وقع اختلاف في تفسير قسم منها فيرجع إلى النص الانكليزي.

المادة الحادية عشر: تعرف هده المعاهدة بمعاهدة جدة. وقعت هده المعاهدة في جدة في يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو ١٩٢٧).

الفصل الثالث

أزمة الوطن بين ملك يبني وإمام يهدم: من ١٩٥٣ إلى اليوم

القسم الأول: سعود وفيصل.

مات عبدالعزيز سنة ١٩٥٣. ولكن قبل أن يموت أخذ عهدا على أبناءه ألا يقتتلوا من بعده (كان أكثر ما يخشاه ابن سعود هو حدوث تنافس بين ولديه الأكبر سنا. فطلب منهما قبيل وفاته أن يقسما على ألا يتقاتلا. وكان يذكر ما حل بأبيه وأعمامه بعد وفاة جده فيصل، ويخاف أن يؤدي الشقاق داخل العائلة إلى تقسيم المملكة) فاسلييف. تاريخ العربية السعودية. ص٤٤٧

هذا أحد أهم المفاتيح التي يجب أن نستفيد منها، لفهم أسباب الصراع على السلطة بين الملك سعود وولي عهده فيصل؛ فقد كان عبدالعزيز يعرف أنهما سيتقاتلان بعد موته؛ فما هي الأسباب التي رآها عبدالعزيز مجتمعة، وتنذر بشر لا منجي لأبنائه منه إلا الله، ثم التزامهم بالعهد الذي أخذه عليهم؟

أم فيصل هي إحدى بنات عائلة آل الشيخ؛ وإحدى زوجاته هي بنت عائلة السديري؛ ومجموعة من إخوته المقربين منه، أخوالهم من عائلة السديري؛ ولأن هؤلاء شركاء لآل سعود بالسلطة، فإن مكانتهم في السلطة تعلو أو تدنو تبعا لمن يكون الملك؛ بعبارة أخرى، فإن آل الشيخ وآل السديري لهم مصلحة شخصية بإزاحة سعود من الملك، ليصبح فيصل ملكا، ولم يكن عبدالعزيز غافل عن ذلك؛ فقد سعى جاهدا لإشباع رغبات فيصل وآل الشيخ وآل السديري من السلطة، حتى لا يتآمروا على سعود لحرمانه من حقه الوراثي بالعرش. ومن ذلك أن عبدالعزيز عين فيصل نائبا للملك في مملكة الحجاز. ولأن الحجاز فعليا كان مستقل بإدارة شؤونه الذاتية، فإن معنى ذلك عمليا، هو أن عبدالعزيز عين فيصل ملكا متصرفا بالحجاز.

كذلك فقد سعى عبدالعزيز عند الفرنسيين لإقناعهم بجعل سوريا مملكة، وتعيين ابنه فيصل ملكا عليها، لإشباع رغبته بالسلطة ولإبعاده عن مملكة الحجاز ونجد(.. في سنة ١٩٢٨ وبعد أن انتهت الثورة السورية الكبرى، دعت

فرنسا الشعب السوري إلى انتخاب جمعية وطنية حددت مهمتها على الوجه الآتي (١) إقرار نظام الحكم (٢) وضع دستور الدولة (٣) إقرار المعاهدة التي تعقد مع فرنسا لتنظيم علاقاتها مع سوريا. وقامت في سورية ضجة سياسية كبيرة كان لها صداها في البلاد العربية المجاورة، ونشطت الدعايات وكثر عدد المرشحين للعرش السوري والطامعين فيه. فاختارت الحكومة السعودية أن تكون على مقربة من المعترك فأرسلت فدعت الأستاذ القصاب فجاء من حيفا ـ شهر مايو ـ سنة ١٩٢٨ تلبية للدعوة. فاستقبله فؤاد حمزة وكيل الخارجية السعودية وابلغه الغاية من دعوته وقال له أن الملك يريد انتدابه لعمل سياسي في سورية. فأبدى استعداده التام واستقبله الملك وقال له إن فؤاد نقل إليه ما دار بينهما: واقترح القصاب على الملك في هذه الجلسة أن يتولى مهمة تحرير سورية فينقذها ويجلس على عرشها، وينال شكرها. فاعتذر وقال إن تقاليدنا القومية والدينية تحول دون قبولي عرشا تحت حماية الأجانب. وغادر القصاب مكة إلى حيفا وما كاد يبدأ العمل حتى اجتمعت الجمعية الوطنية في دمشق واختارت النظام الجمهوري فأقفلت الباب في وجه طلاب العرش، وكان أبناء الحسين الثلاثة (علي وعبدالله وفيصل) يتنافسون عليه، ويتزاحمون لبلوغه. ويقول المسيوغابربيل بيو المندوب السامي لفرنسا في سورية ولبنان سنة ١٩٣٩ أي في السنة التي أعلنت في خريفها الحرب العظمى الثانية – يقول في مذكراته السياسية التي نشرت بعد الحرب انه حمل في زيارته لباريس (صيف سنة ١٩٣٩) مشروعا لحل القضية السورية يقضي بإنشاء عرش في دمشق للأمير فيصل بن الملك عبدالعزيز. ويقول بيو أيضا (إن مسيو دلاديه رئيس الحكومة الفرنسية استغرب المشروع حينما عرضته عليه وسألني كيف أرشح الأمير السعودي وما هو السبب فقلت له أنني اعتقد أن مشروعي ينطوي على أفضل الحلول، فهو: (١) يرضي الشعب السوري (٢) يحل المشكلة السورية وهي مشكلة مزمنة لا تزال تشغل فرنسا (٣) ينيل فرنسا صداقة الدولة السعودية. ووافق الرئيس مبدئيا على المشروع وعاد بيو إلى بيروت، وقبل أن يشرع في التنفيذ، أعلنت الحرب العظمى الثانية فانهارت فرنسا في سنتها الأولى، ثم غادرت سورية إلى الأبد). أمين سعيد. ص ٢٩٩. تاريخ الدولة السعودية.

ويمكن أن نذهب بعيداً في تحليل شخصية كل من سعود وفيصل، لفهم الأسباب الشخصية التي تسببت في حدوث الصراع على السلطة في عهد سعود؛ ومن الملفت للانتباه في هذا السياق، أن فيصل أظهر المنافسة لسعود على العرش في المجلس الذي انعقدت فيه البيعة لسعود (.. في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ ـ نوفمبر سنة ١٩٥٣ ـ انتقل إلى الدار الباقية الملك عبدالعزيز آل سعود، فاجتمع الأمراء والعلماء ورؤساء القبائل ويؤلفون أهل الحل والعقد في المملكة السعودية، ونادوا بالأمير سعود، صاحب ولاية العهد، ملكا للدولة وإماما للمسلمين. ووقف الأمير فيصل، كبير أشقائه، وخاطبه قائلا. أبونا مات، أنت أبونا، قم أطال الله عمرك، واحكم فنحن خدامك). ص ١٥ أمين سعيد الجزء الثالث من تاريخ الدولة السعودية.

الملاحظة الأولى هي أن فيصل أخو سعود وليس شقيقه، كما قال أمين سعيد؛ لأن أخوال سعود من بني خالد، وأخوال فيصل من آل الشيخ؛ أما في المضمون فإن سعود تمت مبايعته وأصبح ملكاً، فليس لأحد أن يتكلم قبله؛ وليس لأحد أن يخاطبه بلغة الأمر (قم. أنت أبونا. احكم). هذه أفعال أمر والملوك يَأمُرُونَ ولا يُؤمَرونَ، وفعل الأمر هام جداً في التحليل النفسي، لأنه يبين كيف كان فيصل ينظر لسعود، فهو هنا يضع نفسه في مرتبة الآمر على الملك؛ وهو يستخدم صيغة الجمع (أبونا) في مجلس أهل الحل والعقد وبحضورهم، فهو يظهر هنا أنه يتحدث بلسانهم. وقد أثبتت الأيام والسنوات اللاحقة، أن فيصل كان يتصرف عمليا مع الملك سعود معاملة الند الكفء، والمنافس القوي؛ وأنه كان يستقوي بأهل الحل والعقد، الذين عزلوا سعود في نهاية المطاف وعينوا فيصل ملكاً.

ومن جهة أخرى، يفسر بعض الباحثين سبب الصراع على السلطة بين سعود وفيصل، بتأثر المنطقة العربية بحالة الاستقطاب الحادة بين الشرق والغرب؛ وهذا صحيح أيضاً فقد خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الثانية، كقائدة للمعسكر الغربي، وظهر بالتزامن مع ذلك، الاتحاد السوفيتي كقائد

للمعسكر الشرقي، وسعى كل منهما للتأثير على الحكومات العربية وجذبها إلى معسكره.

إلاَّ أنَّ الاعتبارات الشخصية والاختلاف بين سعود وفيصل بالرأي والموقف من الصراع الدولي، يجب النظر إليها على أنها من مظاهر أزمة السلطة وتجلياتها، وعدم الخلط بينها وبين أسباب الصراع على السلطة.

بدأ الصراع على السلطة بعد سبعة أشهر فقط من مبايعة سعود ملكاً، وسبب ذلك أن الملك سعود احتفظ برئاسة مجلس الوزراء، فطالب (أهل الحل والعقد) بعد سبعة أشهر، بتعيين فيصل رئيسا لمجلس الوزراء (.. احتفظ الملك الجديد برئاسة الحكومة، إلى جانب توليه رئاسة الدولة، وظل على ذلك حتى شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٣ فأصدر، استجابة لدعوة الأمراء والعلماء، مرسوما يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٧٣، عهد بموجبه إلى شقيقه) الصحيح أن فيصل أخ غير شقيق لسعود (وولي عهده ووزير خارجيته الأمير فيصل بتأليف الوزارة) ص ٤٠ أمين سعيد ج٣ تاريخ الدولة السعودية.

فلم يكتفي فيصل ومعه (أهل الحل والعقد) بأن يكون فيصل وليا للعهد ووزيرا للخارجية، بل أرادوا أكثر من ذلك، وهو ما يتبين من اسماء الوزراء الذين عيَّنهم فيصل في حكومته (.. وألف سموه الوزارة على المنوال الآتي - الأمير عبدالله الفيصل وزيرا للداخلية. الأمير فهد بن سعود للدفاع والطيران. الأمير سلطان عبدالعزيز للمواصلات. الأمير فهد بن عبدالعزيز للمعارف. الشيخ محمد سرور الصبان للمالية والاقتصاد الوطني. الدكتور رشاد فرعون للصحة. الشيخ محمد عبدالله علي رضا للتجارة. الشيخ خالد السديري للزراعة. واحتفظ بوزارة الخارجية). ص ٤٠ أمين سعيد.

وهكذا يكون فيصل و (أهل الحل والعقد) قد احتفظوا لأنفسهم وأعوانهم بستة مناصب على الأقل في هذه الوزارة من أصل عشرة، هي رئاسة الوزارة ووزارة

الخارجية، الداخلية، المواصلات، المعارف، الزراعة.

وبعد أربعة سنوات، وضعت حكومة فيصل نظام جديد لمجلس الوزراء، انتزع فيه مجلس الوزراء كثيراً من سلطات الملك (.. أعدت الحكومة نظاما جديدا لمجلس الوزراء اقتضت مصلحة الدولة إعداده. وأصدره الملك بموجب المرسوم رقم ٣٨٠ تاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٧٧ (١٤ مايو سنة ١٩٥٧وهو نصه...) أمين سعيد. ص ٦٩

ومع أنَّ نظام مجلس الوزراء الذي كتبه فيصل جعل الملك محدود الصلاحيات، إلا أن فيصل لم يكتفي بذلك أيضا وتقدم باستقالته، مطالبا بتنازل الملك عن جميع سلطاته الدستورية(.. فرأى الأمير فيصل، انه لم يعد في طاقته البقاء في الحكم مع كثرة تدخل الحاشية الملكية وبسطها سيطرتها على الدولة. فأرسل استقالته إلى الملك، وذهب إلى الصيد للاستجمام والراحة (١٥ مارس ١٩٥٨) وزادت استقالته الموقف تعقيدا واضطرابا، وزادت في تدهور أسعار النقد، وزادت في انتشار الفوضى، فجاء كبار رجال البلاد وعلماؤها وقادتها إلى الأمير يرجونه أن يعود إلى تسلم الحكم كما كان، فقال انه يوافق على الرجوع ضمن هذه الشروط (١) أن يتعهد الملك بالكف عن كل تدخل في أعمال الحكومة هو وحاشيته ومن ينتمي إليه (٢) أن يجري كل شيء بواسطة الحكومة وعن طريقها، فهي وحدها المسؤولة وصاحبة الشأن (٣) أن يتنازل الملك عن سلطاته الدستورية بموجب مرسوم يصدره منعا لكل تدخل. واستجاب الملك لهذه المطالب، واصدر المرسوم رقم ٤٢ بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٥٨، وهو:...) أمين سعيد. ص ٢٣٩

هكذا يكون الملك سعود قد قبل استقالة فيصل وشكل هو الوزارة برئاسته، وبعد عدة أشهر، قبل فيصل وساطة (أهل الحل والعقد) ومطالبتهم له بالعودة للوزارة، حسب رواية أمين سعيد، فعاد إلى الوزارة نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وبعد ذلك، أصيب الملك بمرض تطلب سفره إلى الخارج، فأناب فيصل كولي للعهد بإدارة شؤون الدولة كنائب للملك، وأوكل إليه بصفته نائب لرئيس مجلس

الوزراء سلطات رئيس الوزراء بالنيابة، وعندما عاد الملك سعود من الخارج، رفض فيصل أن يعيد للملك سلطاته، وجمع (أهل الحل والعقد) فأصدر العلماء فتوى بعدم رد سلطات الملك إليه، على أن يبقى ملكاً بدون سلطات أو مهام، بحجة أنه مريض، فعاد سعود للخارج لإكمال علاجه، وأصدر فيصل جملة مراسيم ملكية من بينها إلغاء الديوان الملكي، وبعد أن تحسَّنت حالة سعود الصحية وحصل على تقرير طبي بذلك، عاد وطالب باستعادة سلطاته، فرفض فيصل إعادة سلطات الملك إليه، وجمع (أهل الحل والعقد) مرة أخرى، فأصدروا فتوى جديدة بنقل سلطات الملك إلى فيصل نهائيا، على أن يبقى ملكاً بلا سلطات، ولما اعترض سعود على ذلك، جمع فيصل (أهل الحل والعقد) وأصدروا فتوى بعزل سعود، وبايعوا فيصل ملكا.

هذا ملخص للأحداث والوقائع كما يرويها أمين سعيد، في حين أن فاسلييف وغيره، يذكرون تفاصيل مختلفة قليلا، فاسلييف يذكر أن فيصل أمر الحرس الوطني بمحاصرة قصر الملك، فاضطر الحرس الملكي للاستسلام، لأن فيصل كان قد أضعف الحرس الملكي. إلا أن هذه التفاصيل لا تهمنا كثيرا حاليا، وما يهمنا هو ملاحظة أن سعود لم يكن يواجه فيصل فقط. بل كان في مواجهة مع طابور من العلماء يقوده آل الشيخ، وطابور من الأمراء يقوده فهد وسلطان (أخوالهم آل السديري). هذه حقيقة متفق عليها. بل إن أمين سعيد يورد أسماء العشرات من العلماء والأمراء الذين كان فيصل يستخدمهم ـ أو كانوا يستخدمونه ـ في المواجهة مع سعود.

يردد أمين سعيد في كل صفحة من صفحات كتابه تقريبا، دعاية فيصل و (أهل الحل والعقد) المضللة، التي تقول إنَّ سبب نقمتهم على سعود ومحاربتهم له، هو مرضه وتبذيره لأموال الدولة، أما الحقيقة فقد نثر أمين سعيد بعض أجزاؤها في صفحات كتابه ككلمات متقاطعة. وسنجمعها ونجمعـ من مصادر أخرى ـ الأجزاء التي لم يرد أمين أن يذكرها، وسنعتمد على القاعدة التي تقول، بضدها

تعرف الأشياء، في الكشف عن حقيقة ما كان يفعله فيصل، وسبب ما كان يفعله؛ وهذا يعني أننا سنقدم عرضاً لبعض السياسات التي كان يعتمدها سعود، والسياسات المضادة التي نفذها فيصل عندما كان رئيسا للوزارة، ثم نائبا للملك ورئيسا للوزارة؛ وملكا بعد ذلك.

١ ـ بتكليف من والده، بدأ سعود عندما كان ولياً للعهد بوضع أسس وقواعد إنشاء مجلس للوزراء، ليحل محل مجلس الوكلاء، ولأنّ عبدالعزيز مات قبل أن تستكمل أعمال تأسيس مجلس الوزراء، فلم تنعقد أول جلسه للمجلس إلا بعد مضي أربعة أشهر تقريبا، من موت عبدالعزيز. فشكّلَ الملكُ سعود أوّل وزارة برئاسته هو، وبدأ فيصل أو (أهل الحل والعقد) يطالبون بإعطاء رئاسة مجلس الوزراء لولي العهد فيصل، ونظراً لأنَّ بناء مؤسسات الدولة والقوانين المنظمة لممارسة السلطة، لم تكن قد استكملت واستقرت حتى ذلك الوقت، فيمكن القول إن مطالبة فيصل و(أهل الحل والعقد) بالفصل بين الديوان الملكي (رئاسة الدولة) ورئاسة مجلس الوزراء، مطلب لا يعاب من يتقدم به ولا يلام عليه؛ فهذا حوار سياسي ودستوري يخدم مصلحة الدولة والمجتمع. ولكن فيصل و(أهل الحل والعقد) لم يكونوا راغبين بحوار ونقاش هادئ؛ حول الممارسات السياسية والإدارية الأفضل، وإنّما كانوا يعملون على تخريب عملية بناء مؤسسات الدولة، ومنع سعود من إنجاحها؛ والأدلة على ذلك متعددة؛ ومن ذلك أن هؤلاء قالوا انَّهُ لا يجوز أن يجمع سعود بين رئاسة الدولة ورئاسة الوزراء، وطالبوا بإعطاء رئاسة الوزراء لفيصل، ثم أجازوا لفيصل أن يجمع فيما بعد، بين النيابة عن الملك وولاية العهد ورئاسة مجلس الوزراء.

الحقيقة هي أن فيصل وأهل الحل والعقد، كفونا مشقة تحليل أقوالهم وأفعالهم لفهم ما كانوا يفكرون به؛ ويكفي فقط أن نتوقف عند إلغاء فيصل للديوان الملكي؛ فلا يوجد دولة في العالم ليس فيها رئاسة للدولة؛ فقد يكون اسم رئاسة الدولة الديوان الملكي أو رئاسة الجمهورية، فالاسماء تتحدد تبعا لنظام

الحكم، ولكن هدم مؤسسة رئاسة الدولة وإلغاؤها، لمجرد أن ولي العهد الذي هو رئيس مجلس الوزراء، يريد أيضا أن يمارس سلطات رئيس الدولة، فهذا أمر لا يدل مطلقا على شهوة سلطة أو طمع بالمناصب، هذا اسمه هدم لمؤسسات الدولة، وليس له اسم آخر.

٢ ـ من المعلوم أن رئاسة الدولة (الديوان الملكي) مؤسسة تتبع لها مديريات ومؤسسات متعددة، كالحرس الملكي والتشريفات الملكية والحرس الخاص للملك، وغير ذلك من مؤسسات وإدارات رسمية تعمل على أداء مهام ووظائف، تؤديها أيا يكن شخص رئيس الدولة، وكان يمكن إبقاء هذه المؤسسات، لتقوم بمهامها وتؤدي وظائفها بعد إلغاء الديوان الملكي، ولكن فيصل ـ كما يقول فاسلييف ـ قام بإلغاء المؤسسات التابعة للديوان الملكي أيضا، ووزع القوى المسلحة التي كانت تتبع للديوان الملكي، بين وزارة الدفاع والداخلية (.. اثر ذلك عزل فيصل كل أبناء سعود من المناصب الحكومية الهامة، وعين محلهم إخوته الثلاثة خالد وفهد وسلطان، وعمه الأمير مساعد بن عبدالرحمن الذي كان من خلصائه. وبعد ذلك ابعد ولي العهد عن العاصمة جزءا كبيرا من الحرس الملكي الذي كان مؤلفا من ثلاث كتائب مزودة بالدبابات والمدافع المضادة للجو وتدرب غالبية ضباطه في الولايات المتحدة. وكان جنود الحرس الملكي يتقاضون رواتب عالية ويحصلون على دور وقطع أراضي وسلفة بناء. ونقل فيصل كتيبتين من الحرس الملكي ـ كتيبة مشاة وكتيبة مدرعات ـ إلى الحدود السعودية اليمنية في الجنوب، ودمجهما في الجيش النظامي). فاسلييف ص٤٩٨ . وعن ذلك يقول أمين سعيد (.. وأعد مجلس الوزراء أربعة مراسيم لتصحيح الأوضاع، طبقا للتبدل الجديد وهي (١) مرسوم سحب الحرس الملكي من القصر والحاقة بوزارة الدفاع (٢) مرسوم سحب (الخوية) الذين يؤلفون حرسا غير نظامي وإلحاقهم بوزارة الداخلية (٣) مرسوم بإلغاء الديوان الملكي الذي أنشأه الملك سعود سنة ١٩٦١وإبداله بمكتب خاص (٤) مرسوم بتخفيض النفقات الملكية إلى الحد الذي يحتاجه الملك وعائلته وقد خفضت بموجب هذا المرسوم من ١٧٠ مليون ريال إلى

٢٤ مليون ريال كل سنة. ووقع فيصل هذه المراسيم بوصفه نائب الملك) أمين ٣٦٠ .

٣ـ عمل سعود على الأخذ بمطالب بعض المعارضين وبعض الأمراء الإصلاحيين، وتحقيق المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار، من خلال المجالس البلدية والمجالس المحلية التي أمر بإنشائها. وهذه المجالس هي التي ورد ذكرها في كلمة سعود بافتتاح أول جلسة لمجلس الوزراء (١٠ـ وبالنظر لرغبتنا في تعاون شعبنا فيما يتعلق بنا من مصلحة، أمرنا أن يكون في كل بلدة من بلداننا، مجلس إداري يكون برئاسة أمير البلدة وقاضيها مع رؤساء الدوائر ووجهاء البلدة، لبحث الأمور التي تتعلق بمصلحة البلدة نفسها ضمن نظام مخصص لذلك، كما أمرنا بتصميم تأسيس مجالس بلدية للنهوض بكل بلدة بما يصلح شأنها ويقوم عمرانها..) ومع أن إصلاحات سعود كانت محدودة جدا مقارنة بمطالب المعارضة، ومع أن مجالس المناطق يرأسها أمير المنطقة، وأعضاؤها يتم تعيينهم وليس انتخابهم، ومع أن المجالس البلدية لا تتمتع بسلطات كبيرة، إلا أن مثل هذه الإصلاحات البسيطة وغيرها من إصلاحات، تعارضت مع توجهات فيصل وشركاؤه ورؤيتهم للدولة، كما يقول فاسلييف (... ركزت مجموعة فيصل هجومها على طلال متحاشية المساس بالملك. واخذ الذين يناصرون فيصل سراً أو علانية يوحون للملك بان التجديدات سوف تودي به إلى الهلاك وحذروه من الوزراء الجدد. وفي الوقت نفسه عمل أنصار فيصل على عرقلة إجراءات ـ الأمراء الأحرارـ. وكان الأمراء المحافظون من آل سعود وكبار الموظفين يتحالفون في نشاطهم مع الأوساط الدينية التي خشيت من أن تؤدي الإصلاحات إلى الانتقاص من دور علماء الدين في البلد. بدأ الهجوم رجال الدين وعلى رأسهم مفتي الديار السعودية، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ورئيس جماعة الأمر بالمعروف، الشيخ عمر بن حسن؛ فقد وجه المفتي رسالة إلى الملك يذكر فيها بحقه في الاطلاع على كل قوانين الحكومة وايعازاتها قبل تطبيقها للبت فيما إذا كانت مطابقة لأحكام الشرع... وسرعان ما طالبت جماعة الأمر بالمعروف بغلق استديوهات التصوير في الرياض،

واقترح الملك على الحكومة الخضوع لهذا المطلب. وكان تنفيذ هذا الإيعاز يعني الانهيار التام لهيبة الحكومة، لذا أقدمت على حل وسط بأن أمرت برفع اليافطات عن الاستوديوهات وإزالة واجهاتها الزجاجية..) ص ٤٨٧.

وما يجب أن نراه هنا هو أن فيصل كان يعمل على تمكين علماء الوهابية وتقوية سلطاتهم ونفوذهم في مؤسسات الدولة، حتى وصل بهم الأمر أن يطالبوا بأن تكون لهم رقابة سابقة على أعمال وقرارات الحكومة، أليست هذه سلطة فوق الدولة؟ أليس هذا هدم لمؤسسة مجلس الوزراء؟ ألا يعني ذلك أن فيصل جعل مجلس الوزراء مؤسسة صورية، يتورى وراءها من يحكم البلد فعليا؟

٤ ـ اهتم الملك سعود بشكل شخصي ومكثف من أجل استثمار إيرادات الدولة، التي تعاظمت مع ازدياد عوائد إنتاج وتصدير النفط، للنهوض سريعا بالاقتصاد الوطني، والارتقاء بالمستويات التعليمية والصحية والمعيشية لكافة فئات الشعب، وهذه الحقيقة لا يكاد يخلو مرجع من الشواهد عليها. أما فيصل فكانت له سياسات اقتصادية ومالية واجتماعية، مناقضة تماما لسياسات سعود الاقتصادية والمالية والاجتماعية. وسنكتفي هنا فقط بانتقاء عدة نماذج مما هو مذكور في المصادر المختلفة، التي تبين مدى التعارض والتناقض بين سعود الذي أعطى للناس كلما استطاع أن يعطيه لهم، وفيصل الذي أخذ من الناس كل ما استطاع أن يأخذه منهم.

يورد أمين سعيد في كتابه عن عهد الملك سعود، نص الكلمة التي ألقاها سعود في افتتاح أول جلسة لمجلس الوزراء، وهي كلمة طويلة نكتفي منها بعدة فقرات:

(٥ـ لقد وجهنا عناية خاصة لما فيه خير شعبنا، بمحاربة الجوع والفقر والمرض...) ص ٢١. أما د.حصة الزهراني فقد أفردت من كتابها عن التعليم في عهد الملك سعود، فصلاً كاملاً لشرح التطورات الاقتصادية في عهد الملك سعود

وأثرها في تنشيط الحركة التعليمية، ومما ذكرت فيه (... من هذه الأعمال التي قامت بها وزارة الزراعة: شجعت المزارعين فمنحتهم القروض، وطلبت من الشركات بيع المكائن الزراعية بالتقسيط وتوفير قطع الغيار لها. ونتيجة للزيارات التي يقوم بها جلالة الملك سعود وتفقد لمدن المملكة كان يأمر بتركيب مضخات آلية على الآبار القديمة والاستفادة منها، كما فعل عندما توجه إلى تيماء سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣ م، حيث أمر بتركيب أربع مضخات آلية تعمل بالديزيل عند بئر هداج...) وتضيف بعد ذلك (.. ولقد طلبت الحكومة من الشركات المستوردة إتباع نظام بيع مضخات المياه للمزارعين بالتقسيط على ضمان وزارة الزراعية، وقد حمل في نهاية سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٥ م خبرا مفرحا للمزارعين الذين استفادوا من نظام شراء الآلات بالتقسيط ويبلغ عددهم حوالي ٦٠٠ مزارع فقد أصدر الملك سعود أمره بإعفائهم من بقية الأقساط التي عليهم للشركات الزراعية...) وتقول في موضع آخر من هذا الفصل(... كذلك تبرعه لأهالي بريدة بإجراء ـ العين السعودية ـ وهي بئر ارتوازية غزيرة الماء في مدينة بريدة وتكفل جلالة الملك بإكمال حفر هذه البئر، وأن يوصل الماء عن طريق الأنابيب إلى داخل البلدة، واعتماد جلالته وعلى نفقته الخاصة إنشاء خزان للماء في جبل أبي قبيس في مكة، كل ذلك من أجل أن يعم الخير لشعبه والرفاهية للجميع) وتضيف لذلك(.. وأخيرا نذكر أن حكومة جلالة الملك سعود عمدت إلى تطوير الإنتاج الزراعي ودعمه من خلال دعم أسعار بعض المنتجات الزراعية...). وتكتب الزهراني عن الرسوم الجمركية فتقول (... وفي عهد جلالة الملك سعود ومن ضمن سياسته الحكيمة تجاه شعبه عمل جلالته على توفير مواد الغذاء والكساء بإصدار مرسوم ملكي كريم يقضي بإعفاء أكثر هذه المواد من الرسوم الجمركية المقررة عليها، كما يقضي المرسوم بتخفيض الرسوم تخفيضا كبيرا مع زيادة فئات الرسوم المقررة على الكماليات، وبذلك أصبحت المواد الغذائية الضرورية معفاة من الرسوم الجمركية...) وتكتب عن تشجيع الصناعة الوطنية (... إعفاء كل المستوردات اللازمة للمؤسسات الصناعية من الرسوم الجمركية كالآلات والأدوات والأجهزة وقطع الغيار والخامات الأولية

وأدوات التعبئة، وتقدم الدولة كذلك قطع الأراضي اللازمة لبناء المصانع ومساكن العمال والموظفين، وتحديد قيمة المستوردات الأجنبية إلى المملكة من السلع ورفع الرسوم الجمركية عليها، وتقديم المساعدات المالية للمؤسسات الصناعية، يضاف إلى ذلك إعفاء المنتجات المحلية المعدة للتصدير من رسوم التصدير وجميع الضرائب) وعن الوضع المالي تقول (... إزاء ذلك كله أصبح الوضع المالي للدولة جيدا، واستطاعت أن تنفذ العديد من المشروعات، وتقوم بتوزيع مبلغ مائتي مليون ريال... خمسة وخمسون مليونا باسم المشروعات المتنوعة كالآتي (١) ٢٥ مليونا لإعاشة البادية الذين أصيبوا بالقحط في الشمال وللمشروعات التي أنشئت في المنطقة، وقد قامت وزارة المالية بتأمين الغذاء والكساء وأرسلت لهم الأرزاق والكساء اللازم لهم، كذلك شكلت لجنة لدراسة المشروعات التي تلزم لمنطقة الشمال..) وفي مجال الرعاية الاجتماعية (... تم إنشاء هذا الصندوق في عام ١٣٧٤/١٩٥٥م وأحال الملك سعود إلى الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمر رئاسة هذا الصندوق لكونه مساعد أمير منطقة الرياض في ذلك الوقت الأمير نايف بن عبدالعزيز. والهدف من هذا الصندوق عند إنشائه: ــ مواساة منكوبي الحوادث من حرق وهدم أو موت عائل الأسرة ومساعدتهم. ــ مساعدة الأفراد الذين تقعدهم الشيخوخة أو المرض من أجل الحصول على الرزق.ــ إنشاء مستشفيات أو مدارس للفقراء إذا فاض مال الصندوق... ثم أخذت بقية المناطق تتسابق في إنشاء صندوق البر الخاص بها بعد أن يساهم جلالة الملك فيه ثم يقتدي به الأغنياء وأفراد الشعب من القادرين في تقديم التبرعات لتلك الصناديق في مكة والمدينة، وينبع ورابغ، والوجه... الخ).

ولا بد أن نتوقف عند حجم إيرادات الدولة في عهد الملك سعود، حيث تذكر الزهراني ما يلي (.. ووفقا لقرار مجلس الوزراء وما أصدرته وزارة المالية بأن إيرادات الدولة خلال العام (١٣٨١هـ ١٣٨٢) تقدر بـ(٢,١٦٦,٠٠٠,٠٠٠) ألفين ومائة وستة وستون مليون ريال عربي). أقول لابد أن نتوقف عند هذا الرقم، لننتقل منه إلى ميزانية فيصل، وسياساته المالية. ولن نجد مرشدا أفضل من محمد حرب الذي

ألف كتابا دعائيا لفيصل اسمه (الملك فيصل). وعن السياسات المالية لفيصل، يقول حرب (.. وفي رجب ١٣٧٧هـ /فبراير ١٩٥٨م، عاد الأمير فيصل من أمريكا... وما إن تسلم الأمير فيصل شؤون الدولة، واطلع على حقائق الوضع المالي فيها، حتى فوجئ بإفلاس الخزينة، وعجزها عن دفع رواتب الموظفين. فبادر فورا إلى تنظيم الشؤون الداخلية واتخذ جملة من التدابير لإنقاذ مالية البلاد، وإعادة الريال السعودي إلى وضعه السابق. وتمكن بذلك من إنقاذ البلاد من أعظم كارثة مالية مرت بها المملكة في تاريخها... وبعد حصول الانقلاب الجمهوري في اليمن، عام ١٩٦١م، ومرض الملك سعود، استدعي الأمير فيصل من نيويورك التي كان قد قصدها لحضور اجتماع الأمم المتحدة، ومؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد هناك، وسلمه الملك رئاسة الحكومة، وأطلق يده في اختيار الوزراء، ووضع بيده كل السلطات، ثم غادر إلى الخارج للاستشفاء والنقاهة. بدأ الأمير فيصل مرحلة جديدة في قيادة الدولة، فألف حكومة جديدة... ثم قام بحملة إصلاح في دوائر الدولة وأجهزتها، طالت كل الموظفين العاجزين عن القيام بمهامهم...)ص ٤٦.

ويعود محمد حرب للحديث مجددا عن هذه الوقائع، عند حديثه عن ما يسميه إنجازات فيصل فيقول (... وفي هذه الظروف بالذات تسلم الفيصل رئاسة مجلس الوزراء، وصعق عندما علم أن خزينة الدولة لا تملك سوى ٣١٧ ريالا، فبادر فورا إلى اتخاذ سلسلة إجراءات استثنائية لإنقاذ الموقف قبل استفحاله، وانهيار كل شيء. فلجأ أولا إلى المصارف السعودية للحصول على قروض، تمكن بواسطتها من تسديد رواتب الموظفين. وفرض على شركات البترول تسديد حصة الدولة من عائدات النفط، وتأجيل استيفاء ما يترتب لها من ديون على خزينة الدولة) وهكذا يتبين أن الدولة لم تكن مفلسة فقط، بحسب ما قاله فيصل، بل كانت مدينة أيضا للشركات النفطية. ويبين محمد حرب إجراءات فيصل لمعالجة الكارثة (ثم طلب إعادة دراسة الموازنة من جديد، معتمدا سياسة تقشف قاسية في الإنفاق.... وتمكن الملك فيصل من حل قضية البنوك التي تطرح إشكالية

الربا المحرم شرعا، بعد التشاور مع العلماء، باعتبار أن المصارف مؤسسات لابد منها لسير الاقتصاد الحديث والتجارة الداخلية والخارجية، وأن الفائدة المصرفية ضرورية لدفع رواتب الموظفين في هذه المؤسسات، والنفقات المصرفية الأخرى الضرورية للاقتصاد الوطني). ويستطرد محمد حرب بالحديث عن انجازات فيصل العظيمة فيقول (ووعى الملك فيصل أن على الدولة أن لا تعتمد في دخلها على البترول وحده، فهذا المورد، مهما بلغ حجمه، لا يكفي وحده لتطوير البلاد تطورا كاملا، فضلا عن ـ أن من الأفضل أن نهيئ أنفسنا قبل كل شيء، لنكون قادرين على أن نقوم بمهامنا ومشاريعنا بذاتنا دون الاعتماد على الأجنبي). ويشرح فاسلييف هذه السياسة بصورة أوضح (عند حلول عام ١٩٦٠ كان احتياطي الذهب والعملة الصعبة قد ازداد عدة أضعاف. وبفضل تحسن ميزان المدفوعات تمكنت الحكومة أن تلغي في مطلع عام ١٩٦٠ أهم التقييد المفروضة على الاستيراد وتحويل العملة وتصدير الرساميل إلى الخارج. غير أن سياسة التقشف آدت إلى فتور النشاط التجاري وتعطيل الأعمال العامة وازدياد حاد في البطالة. وتكبدت البرجوازية الصغيرة والمتوسطة والمقاولون الخسائر). ص ٤٨٢. ويظهر من خلال فهم هذه النصوص مجتمعة، أن خزينة الدولة كانت عامرة بأموال طائلة، وكان الملك سعود ينفق بسخاء على التنمية، ثم تعرضت الخزينة لانخفاض حاد بالإيرادات في منتصف الخمسينات، نتيجة لتوقف تصدير النفط للدول الأوربية بسبب العدوان الثلاثي على مصر، و لأسباب أخرى. ونتيجة لذلك فقد طبق فيصل سياسة تقشفية حادة، فتعرض الناس لمعاناة قاسية من ارتفاع الأسعار وازدياد البطالة، ومني التجار بالخسائر وتعطلت مشاريع التنمية، إلا أن هذه السياسة التقشفية المتطرفة لفيصل، نجحت في تحقيق استقرار مالي قوي، وأعادت الازدهار لخزينة الدولة. فما الذي فعله فيصل بالأموال الطائلة التي تراكمت في خزينة الدولة بعد ذلك؟

يقول فاسلييف (.. توصل فيصل والمقربون إليه، بأنفسهم أو بنصح من الخبراء الأمريكان، إلى استنتاج حول ضرورة تدخل الحكومة بنشاط اكبر في الحياة

الاقتصادية. والمقصود بذلك تأسيس قطاع عام في الاقتصاد. صدر في ٢٢ تشرين الثاني ـ نوفمبرـ ١٩٦٢، مرسوم يقضي بتأسيس الهيئة العامة للبترول والموارد المعدنية ـ بترومين ـ لدى وزارة الصناعة البترولية والتعدينية، برئاسة الوزير. وأوكلت إلى الهيئة أعمال استخراج ونقل وتسويق النفط وسائر الموارد المعدنية. ولهذا الغرض ترتب تأسيس شركات أو قيام الهيئة نفسها باستثمار رأسمال في الشركات القائمة بالفعل. كما كلفت بترومين بمهمة تطوير الصناعة البتروكيمياوية بالاستفادة من الغاز الطبيعي).ص ٤٩٧.

وهذا يعني عمليا أن فيصل اتَّبعَ سياسة تهدف لاستخدام أموال خزينة الدولة لتنمية موارد الدولة، من خلال منافسة القطاع الخاص على المشروعات ذات العائد الاقتصادي المضمون. أما عوائد هذه الاستثمارات والإيرادات الأخرى لخزينة الدولة، فقد رأى لها فيصل وجه إنفاق آخر، بعيدا عن المزارعين وحفر الآبار ومساعدة أبناء البادية المتضررين من الجفاف، وتنمية المناطق المهمشه؛ ويبين فاسلييف ذلك، بشكل واضح ومباشر (... في ١٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٦٢، توفي إمام اليمن احمد فتولى الحكم ابنه وولي عهده الأمير محمد البدر، وفي ٢٦ من الشهر نفسه قامت الثورة في اليمن. فقد استغلت مجموعة من الضباط المناوئين للحكم الملكي برئاسة عبدالله السلال فرصة تغير الإمامة فأطاحت بالبدر واستولت على السلطة...التجأ الإمام البدر إلى السعودية، وتجمع في المناطق المتاخمة لليمن كبار أنصار النظام الملكي والإقطاعيون وشيوخ القبائل اليمنيون. وزودت الحكومة السعودية الملكيين بالمال والسلاح، وأغدقت الأموال على القبائل المناوئة للجمهورية وساندت التحركات المعادية للجمهورية داخل اليمن) ص ٤٩١.

وهكذا يكون فيصل قد ضاعف احتياطي الدولة من الذهب والعملات بسياساته الاقتصادية والمالية والاجتماعية القاسية والمؤلمة داخلياً، واستثمر جزء منها لزيادة موارد الدولة ودخلها، ليوظف إيرادات الدولة في سياسته الخارجية؛ وهي سياسة

مناقضة تماما لسياسة سعود الخارجية.

التزم سعود بسياسة عدم الانحياز، وسعى لحل الخلافات مع الدول العربية خاصة ودول العالم أجمع بالحوار والتفاوض، وطبق ذلك عملياً بإبلاغ الحكومة الأمريكية أن الحكومة السعودية لا ترغب بتجديد اتفاقية قاعدة الظهران؛ وقام بزيارات شخصية متعددة لأمريكا ومصر والأردن والعراق والعديد من الدول الأوروبية، وعندما سلب فيصل سلطات الملك وشكل الحكومة، جدد اتفاقية قاعدة الظهران مع الحكومة الأمريكية، وشنَّ هجوماً إعلامياً على مصر مُتَّهماً قادتها بأنهم يسعون لإسقاط الأنظمة الملكية العربية، ثمَّ سخر موارد الدولة لمحاربة الحكومة اليمنية التي تشكلت.

عندما وقع الانقلاب في اليمن، لم يكن أمام النظام الملكي خيار آخر غير تسليم السلطة والقبول بالواقع الجديد، لأن القوات المسلحة اليمنية هي من نفذ الانقلاب، وهي قادرة على منع الحكم السابق من العودة للسلطة؛ ولكن فيصل كان له رأي آخر، فتدخل في الشأن اليمني الداخلي، وحرض قادة النظام السابق وأتباعه على الثورة المضادة، ففتحَ لهم الحدود وأمدَّهم بالمال والسلاح ووعدهم بالنصر، ولكنه تخلى عنهم في نهاية المطاف، بعد أن حقق هدفه، دون أن يحقق لهم ما وعدهم به من نصر وعودة للسلطة، وهذه هي الوقائع كما ذكرها أمين سعيد:

١ ـ يوم ٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٦٢ إعلان الثورة في اليمن.

٢ ـ يوم ٢٩ ـ ٩ مصر تعترف بالحكومة الجديدة.

٣ ـ يوم ١ ـ ١٠ الحكومة اليمنية تحذر السعودية من دعم الثورة المضادة.

٤ ـ يوم ٢ ـ ١٠ الحكومة السعودية ترسل طائرة محملة بالسلاح إلى نجران، فذهب بها الطاقم إلى القاهرة وطلبوا اللجوء.

٥ ـ يوم ٢ ـ ١٠ الحكومة اليمنية تطلب من الوزير السعودي المفوض في اليمن المغادرة وعدم العودة حتى تغير الحكومة السعودية موقفها.

٦ ـ يوم ٣ ـ ١٠ السلال يطلب دعم عسكري مصري.

٧ ـ يوم ٤ ـ ١٠ الحكومة السعودية تطلب من الحكومة المصرية تسليمها الطائرة وطاقمها + الحكومة اليمنية تقدم شكوى لمجلس الأمن والأمم المتحدة والجامعة العربية ضد السعودية لإرسالها السلاح إلى الثورة المضادة.

٨ ـ يوم ٥ ـ ١٠ مصر تعلن قرار بتقديم المساعدة لليمن.

٩ ـ يوم ١٠ ـ ١٠ توقيع ميثاق دفاع مشترك بين مصر واليمن.

١٠ ـ يوم ٧ ـ١١ – السعودية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر.

١١ ـ يوم ١٧ ـ ١٢ أمريكا تعترف بالحكومة اليمنية الجديدة.

١٢ ـ يوم ٤ـ١ـ١٩٦٣ فيصل يعلن التعبئة العامة.

١٣ ـ يوم ٦ ـ ١ ـ مجلس الدفاع الأعلى برئاسة فيصل يعلن فتح مركز تطوع لتدريب المتطوعين على استخدام السلاح.

١٤ـ يوم ٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٣ عودة العلاقات الدبلوماسية بين السعودية ومصر.

وينتهي أمين سعيد من الكتابة عن حرب اليمن عند سنة ١٩٦٤، وسننتقل إلى فاسلييف لنرى بعض ما كتب عن هذه الحرب، ونهايتها. (عندما بدأت أحداث اليمن طلبت الرياض المساعدة من واشنطن. وأشار الرئيس الأمريكي جون كندي في رسالة موجهة إلى رئيس الوزراء فيصل اثر تسلمه السلطة، إلى أن بإمكان السعودية الاعتماد على الولايات المتحدة في مجال صيانة أمن المملكة وسلامة أراضيها. وفي ١٦ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٦٢، قامت مقاتلات

أمريكية بطلعات استعراضية فوق الرياض وجدة والظهران) ثم (في الأول من كانون الثاني – يناير – ١٩٦٣، أعلن رئيس الوزراء فيصل التعبئة العامة. وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة السعودية المساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مطلع كانون الثاني – يناير – ١٩٦٣ أعلنت الولايات المتحدة عن إرسال عدد من طائراتها وسفنها الحربية إلى السعودية). وعن نهاية الحرب، يقول فاسلييف (وفي ٣١ آب – أغسطس – ١٩٦٧، وأثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، وقع الرئيس عبدالناصر والملك فيصل اتفاقية حول التسوية السلمية في اليمن. ونصت الاتفاقية على أن تسحب مصر كل قواتها من اليمن خلال ثلاثة أشهر، وتعهدت السعودية بوقف المساعدات للملكيين). ثم يضيف (في ٢٣ تموز – يوليو ١٩٧٠، اعترفت السعودية رسميا بالجمهورية العربية اليمنية...ونص بلاغ سعودي يمني مشترك صدر في ١٨ آذار على أن الحدود بين البلدين – ثابتة ونهائية - على الرغم من أن معاهدة الطائف المعقودة في ٢٠ آذار/مارس ١٩٣٤ بين الملك ابن سعود والإمام يحيى قد ذكرت أن اليمن وافق على وضع عسير ونجران وجيزان –تحت إشراف- السعودية. كانت فترة المعاهدة ٢٠ سنة، وفي عام ١٩٥٣ وافق الإمام احمد على تمديد مفعولها لعشرين سنة أخرى. وهكذا فعندما دنا عام ١٩٧٣ موعد انتهاء مفعول المعاهدة، حصلت السعودية على تنازل هام جدا من الجمهورية العربية اليمنية، بحملها على الاعتراف بأن عسير ونجران وجيزان قد أصبحت من أراضي السعودية بشكل نهائي) ص ٥١٤

هكذا يتبين من كل ذلك أن الصراع على السلطة في عهد سعود، ولم يكن لأسباب شخصية، ولم يكن انعكاساً لتوتُّرِ الموقف الدولي بسبب حالة الاستقطاب بين الشرق والغرب، وأن الهدف الحقيقي لفيصل من دعم الملكيين في اليمن، كان إعادة النظام الملكي لليمن، من أجل أن ينتزع منه عسير ونجران وجيزان. فلما تنازل النظام الجديد في اليمن عن تلك المناطق للسعودية، تخلى فيصل عن دعم الملكيين واعترف بالنظام الجمهوري. وهذا يعني أن فيصل الذي عمل على هدم مؤسسات الدولة، عمل أيضا على تمكين الوهابية الإمامية، التي

نشأت على مفهوم الحرب والغنائم، وكان يخوض الصراع مع أبناء عبدالعزيز وغيرهم، ممن يريدون أن تكون المملكة التي ورثوها عن أبيهم دولة مستقلة، تحكمها المؤسسات والقانون؛ فوضع فيصل البلاد تحت الحماية الأمريكية، وراح يخوض الحروب سعيا وراء الغنائم. وسنرى فيما بعد كيف أن هذه السياسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والخارجية، التي كان فيصل يتبناها، قد شكلت نهجاً سار عليه من بعده، شركاءه الذين ساندوه في وجه سعود وأنصار دولة والمؤسسات والقانون.

القسم الثاني: خالد ، فهد، عبدالله

بعد مقتل فيصل، انتقلت السلطة إلى خالد في ٢٥-٣-١٩٧٥ ودام عهده إلى ١٨-٦ -١٩٨٢. هذه السنوات السبع شهدت اضطرابات سياسية عاصفة، محليا وعالمياً ففيها وقعت الثورة المسلحة التي عرفت بأحداث الحرم المكي الشريف؛ وفيها وقعت الحرب بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي؛ واحتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان؛ ونجحت الثورة الإيرانية التي أسقطت النظام الإمبراطوري؛ وفيها وقعت الحرب اللبنانية، وغزت القوات الإسرائيلية لبنان وحاصرت بيروت؛ وفيها دخلت القوات السورية إلى لبنان. وفيها بدأت الحرب العراقية الإيرانية؛ وفيها حدثت توترات سياسية شديدة بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والأردن، وكادت أن تشعل حروبا على الحدود السورية الشمالية والجنوبية؛ ومع كل ذلك، لم يقل خالد إن خزينة الدولة فارغة، ولم يتبنى سياسة تقشفية قاسية.

على العكس من ذلك، فقد أنفق خالد رحمه الله في الداخل والخارج، إنفاق من لا يخشى الفقر. ضاعف الرواتب والأجور؛ وتوسع في التوظيف وزاد البدلات والعلاوات وأجور العمل الإضافي؛ وضاعف الإجازة الأسبوعية، فجعلها الخميس والجمعة بدلا من يوم الجمعة فقط، وضاعف أطوال الطرق وأعداد المدارس والمستشفيات؛ وضاعف حجم شبكات الهاتف والمياه والطاقة الاستيعابية للموانئ والمطارات، وقدرات توليد الكهرباء، فلم يترك شيئاً على حاله؛ وبين يداي دراسة جامعية أعدتها الطالبة نوال محمد عبدالغني خياط، لنيل درجة الماجستير بعنوان ـ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود / دراسة تاريخية وحضارية ــ وهي تطمح أن توثق انجازات الملك خالد خلال سنوات حكمه، فبلغ عدد صفحات الدراسة ٩٠٠ صفحة بحجم ورق الطباعة A4. فهذه بحق انجازات ضخمة بحجمها وأعدادها، فلا يمكن تلخيصها أو اختصارها؛ وفيما يلي بعض الأرقام والمقارنات ذات الدلالة على حجم الانجازات العظيمة التي تحققت في عهد خالد، والتي أوردتها نوال الخياط في خاتمة بحثها الجيد:

(... صندوق التنمية الصناعية السعودية الذي ارتفعت فيه قيمة القروض الصناعية من -١٥٠- مليون ريال عام ٩٥/٩٤هـ - ٧٥/٧٤ إلى -١٤١٦- مليون ريال عام ١٤٠٢/١٤٠١هـ ١٩٨١- ١٩٨٢م).

(... صندوق التنمية العقارية عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م وذلك لمواكبة النهضة الشاملة، وتبين خلال دراستنا أنه أصبح له – بسبب شروطه الميسرة- دور كبير في اتساع رقعة نشاطه لمعظم المدن والقرى والهجر بالمملكة، وليس أدل على عظم إنجازاته من ارتفاع قيمة القروض بالمليون من -٧٨٢٧- عام ٩٦/٩٥هـ - ٧٦/٧٥م ما قيمته -١٢٦٩٤عام٩٦/٩٧هـ - ٧٦/٧٧م).

(... وبنك التسليف السعودي بغرض - الزواج وترميم المنازل وتشجيع أصحاب الحرف ومساعدة خريجي المراكز المهنية -، وشهد عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م ارتفاعا لخدماته منقطع النظير حيث بلغت إسهاماته -٣,٥٣١,٠٠٠- مليون ريال مقارنة بعام ٣٩٤هـ/١٩٧٤م حيث كان -١٦٧,٠٠٠- مليون ريال..).

وتقول عن وزارة الأشغال العامة والإسكان (.. فقد بلغ مجموع إنفاق الوزارة عام ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م - ١٦٨ - مليون ريال قفز إلى - ٧٦٦٤ - مليون ريال عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

(.. وتعطينا ميزانية التعليم فكرة واضحة عن مدى تطور التعليم، فقد بلغت عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م-٣,٧٦٠,٢٩٣- مليون ريال، وارتفعت عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م -٢٥٬٨٢٣,٢٨٧- مليون ريال

(..أما قطاع الشؤون الاجتماعية الذي يشمل الأيتام والأحداث والمسنين والمعوقين، فقد زاد المبلغ المدفوع للمستفيدين من معاشات الضمان الاجتماعي بمعدل نمو سنوي متوسط مقداره ٣٩,٦%فارتفع من -٤٢- مليون عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م إلى -١,٥- بليون ريال، وارتفع متوسط المبلغ المدفوع للأسرة الواحدة من -٦٥٢- ريال إلى ٥آلاف ريال، وشملت خدمات معاشات الضمان الاجتماعي حوالي -٢٠٠- ألف

مواطن، ارتفع إلى -٩٠٩- ألف مواطن في عام ١٣٠٢هـ/١٩٨٢م).

في تلك الأثناء، كانت الوهابية الإمامية أضعف بكثير مما كانت عليه في عهد فيصل، ولكن فهد الذي ورث قيادة الوهابية الإمامية، صار وليا للعهد وسار على منهج فيصل، بمعارضة سياسات الملك، وما كانت تمر سنة إلا ويترك فهد البلد، ويذهب لقضاء إجازة خاصة في أحد قصوره بالمغرب أو أسبانيا، ولأنه كان يقضي عدة أشهر في الخارج دون سبب معلوم، تسربت معلومات عن معارضته لسياسات الملك خالد الداخلية والخارجية، ولما مات خالد، تأكد أن تلك التسريبات كانت صحيحة، وأن فهد ليس أكثر من صورة كربونية لفيصل.

لأول مرة في تاريخ الدولة السعودية، تم في عهد فهد إلغاء ميزانية الدولة، وبدأ الملك الغاضب بتنفيذ أكبر عملية سطو مسلح شهدتها البلاد، فسلب الناس كل ما أعطاه لهم خالد، فضاعف رسوم الخدمات الحكومية لأكثر من عشرة أضعاف، وضاعف الرسوم الجمركية، ومنع التوظيف والعمل الإضافي، كما منع الترقيات وألغى العلاوات والبدلات، وعطل صناديق التنمية العقارية والزراعية والصناعية، وألغى المشاريع المعتمدة، وأوقف صرف المستحقات المالية للتجار وللمقاولين والمزارعين، وفعل ما هو أكثر من ذلك، وفي أوج سياسة السطو المسلح هذه، أذاع التلفزيون الرسمي أمر ملكي يمنح فيه فهد لابنه المراهق عبدالعزيز - كان عمره آنذاك ١٦ عاما - مبلغ ٢٠٠ مليون ريال لتكوين نفسه، وعينه وزيرا بمجلس الوزراء.

وبعد أن خنق فهد الخلق وشل الاقتصاد في الداخل، أخذ يمول شراء أحدث الأسلحة الأمريكية والأوروبية، وأجرى نهراً من الأسلحة إلى العراق، حتى صار مألوفاً رؤية الشاحنة تتجه إلى العراق وهي تحمل دبابات ومدرعات حديثة، لم تستخدم من قبل، ورفع إنتاج النفط إلى مستويات جعلت سعر برميل النفط ينحدر إلى ما دون ١٠ دولارات، وامتدّت مساعداته العسكرية لتشمل دعم الحرب الانفصالية في اليمن، والحرب في أفغانستان، وقدّم من خلال شركات رفيق

الحريري دعم مالي هائل لإعادة إعمار بيروت، لإدخال عائلة الحريري في الساحة السياسية اللبنانية، ومنافسة سوريا في لبنان، ومد جسر يربط مملكة البحرين بالساحل الغربي للخليج. وأنشأ قاعدة عسكرية ضخمة قرب الحدود مع الكويت، وعندما أوقف صدام حسين حربه مع إيران واحتلَّ الكويت، طلب فهد قوات أمريكية لحماية المملكة وتحرير الكويت.

استمر حكم فهد ٢٠ عاما، وكان من نتائج سياساته الداخلية والخارجية، أن شهدت البلاد موجة مظاهرات سببت القلق والإزعاج للنظام، ولكنها لم تشكل تهديداً حقيقياً للنظام الملكي، وكان لحرب تحرير الكويت أثر سيء على صحته، فخسر أكثر من نصف وزنه وأصيب بجلطات متكررة، فاضطر لاحقاً لتقديم تنازلات محدودة للمجتمع، واضطرَّ في سنوات حكمه الأخيرة لتفويض سلطاته لولي العهد، نتيجة لإعاقة شديدة تعرض لها وأقعدته على كرسي متحرك، وتمثلت تلك التنازلات بوضع نظام أساسي للحكم - دستور بدائي -. وإنشاء مجلس شورى، خصصت بعض مقاعده للنساء، وتم تخفيض الرسوم الجمركية ورسوم الخدمات الحكومية.

يروي المؤرخ الروسي الكسي فاسلييف بعضا من مظاهر الحياة في عهد فهد على النحو الآتي: (... وتقلصت عوائد الدولة في الفترة ١٩٨٢-١٩٨٦ بنسبة ٣٢% وجرى تقليص نفقات الدولة في الواقع بنسبة ٤٨%. وكان عام ١٩٨٦ عاما عصيبا، حيث بدا من المتعذر عموما إقرار ميزانية الدولة. وفي ١١ آذار - مارس- ١٩٨٦، ألقى الملك فهد كلمة في التلفزيون السعودي قال فيها إن انخفاض سعر النفط من ٢٨ إلى ١٥ دولار للبرميل الواحد جعل من المتعذر تحديد الإيرادات المعقولة والنفقات المحتملة. وجرى حصر موازنة الإيرادات والنفقات في إطار شهري، وتم تأجيل تنفيذ المشاريع المقررة. واضطرت الحكومة أن تقلص النفقات، لدرجة كبيرة، في جميع أبواب الميزانية). ص ٦٤٢

(... ونشير بهذا الخصوص إلى مصير معمل تكرير النفط في القصيم. فقد

توقفت أعمال تشييده، في آذار/مارس ١٩٨٥ مع أن الأعمال الهندسية أنجزت بنسبة ٩٠%، وأنجزت الأعمال التتميمية بنسبة ١٥%. وتفيد التقديرات أن التعويضات التي دفعتها الهيئة العامة للبترول والمواد المعدنية - بترومين -، إلى المقاولين - شركة بكتيل كومبني - الأمريكية، ما بين ٥٠٠ و٨٠٠ مليون دولار. وقبل ذلك تم تسديد ٣٠٠ مليون دولار لقاء الأعمال التي نفذت. ويرى الخبراء أن هذه المبالغ كانت تكفي تماما لانجاز المشروع. وأثار تخلي بترومين عن المشروع افتراضات بأنها لم تكن أصلا بحاجة إلى المعمل المذكور). ص ٦٤٤

(... في عام ١٩٨٥ تقلصت قيمة المقاولات الإنشائية التي عرضتها الدولة على الشركات الخاصة حتى بلغت اقل من نصف ما كانت عليه: من ٨,٣ مليار دولار إلى ٣,٩ مليار. وتوقف تشييد معمل التكرير في رابغ، ومثيله في ينبع... وحلت أوقات عصيبة بالنسبة للبنوك أيضا. وكان توسيع نشاط البنوك الخاصة المتواصل والذي بدا ناجحا حسب الظاهر يتسم بطابع مفتعل لدرجة كبيرة، ويستند إلى تمويل صفقات المضاربة، أو تلبية الحاجات الاستهلاكية للفئات الموسرة أكثر من تمويل النشاط الإنتاجي. وتقلصت أرباح البنوك والمصارف، في النصف الثاني من الثمانينات بنسبة ٦٠%... وفي النصف الثاني من الثمانينات بدأ العديد من زبائن البنوك بتحويل أموالهم إلى أوراق نقدية أو سحب ودائعهم عموما. واضطرت الحكومة إلى الاستعانة بمصادر التمويل الداخلية. ولأول مرة اعتبارا من عام ١٩٧٢ زيدت أسعار الطاقة الكهربائية في عام ١٩٨٥ بنسبة ٧٠%، كما ارتفعت أسعار البنزين وزيدت ضريبة الإقامة وتأشيرات الخروج واستبدال الكفيل للأجانب. وارتفعت ضريبة السيارات من ٧٥ ريال في كل خمس سنوات إلى ١٠٠-٧٠٠ ريال سنويا. وزيدت الرسوم الجمركية بنسبة ٤-٧% على استيراد طائفة من البضائع... وفي ربيع ١٩٨٥، تقلصت لدرجة كبيرة المدفوعات والمكافآت المقدمة إلى ٢٥٠ ألف مستخدم في الدولة... وفي عام ١٩٨٤-١٩٨٥ أفلس حوالي ثلث شركات المقاولة البالغ عددها ١٢٠٠ أو واجهت صعوبات مالية بالغة. وتمت تصفية بضع مئات من الشركات الخاصة المختلطة. وإذا كانت وزارة الصناعة والطاقة قد أصدرت

حتى أواخر ١٩٨٢، ٢٤٢٤ ترخيصا منها ١٣٦١ ترخيصا بافتتاح مؤسسات صناعية، فإنها لم تصدر في النصف الأول من عام ١٩٨٣ سوى ١٨٠ ترخيصا صناعيا). ص ٦٤٧

ويعتقد فاسلييف أن السعوديين فخورين بالزيادة الكبيرة في المساحة المزروعة خلال سنوات حكم فهد. والحق أن كثير من المحللين وقعوا في هذا الخطأ، لأن الزراعة في الصحراء – وبالطرق التقليدية للزراعة - لا تستحق الإطراء لأنها غير مجدية اقتصاديا، وكان هذا رأي شريحة واسعة من أبناء البلاد، إلاَّ أن فهد أصر ونفذ خطته لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء محليا، ولم تكن النتيجة جيدة مطلقاً، فاضطرت الدولة لاحقا للتوقف عن شراء القمح من المزارعين، لأنه يستنزف الموارد المائية، ولأنَّ الدولة تتحمل مبالغ ضخمة لدعم المزارعين، وتقليص الفارق بين سعر المنتج المحلي، وما يمكن شراؤه من السوق العالمية، ثم تم لاحقاً أيضا منع زراعة الأعلاف محليا للأسباب ذاتها، ويمكن لنا أن نتخيل كم من مليارات الريالات تم إهدارها، بسبب هذه السياسة المتخبطة، وكم عدد الأشخاص الذين استثمروا أموالهم وأعمارهم وحملوا قروض كبيرة من اجل إنشاء المزارع، ثم وجدوا أن عملهم المضني لسنوات طويلة، تبخر بقرار حكومي، وكأن الأمر لم يكن سوى حلم غير واقعي، ومع أن الإنتاج المحلي من الخضار حقق اكتفاء ذاتي بالكثير من الأصناف، إلاَّ أنَّ المستهلك تحمل تبعات هذه السياسة الانعزالية، وأنا أتذكر أن الخضار والفاكهة كانت تأتي إلى القريات، قبل عهد فهد من الأردن، وكان سعر كيلو الطماطم - البندورة - ريال واحد في الأحوال العادية، وعندما يكون الإنتاج وفيرا ينخفض سعر الكيلو عن ريال، ثم يرتفع في أيام الندرة إلى ريال ونصف، ولما بدأ فرض حظر على استيراد الخضار والفواكه، صار سعر كيلو الطماطم من مزارع تبوك أو القصيم في سوق القريات بخمسة ريالات، ولا يقل عن أربعة ريالات في أوقات الوفرة.

(.. وكانت حرب الخليج امتحاناً عسيراً بالنسبة للاقتصاد السعودي. فقد

اضطرت الحكومة إلى اقتراض مبالغ بفائدة عالية من سوق الرأسمال الدولية، ومن البنوك التجارية الوطنية، لكي تغطي النفقات الهائلة على الدفاع عن المملكة وكذلك المدفوعات إلى حلفائها. وفي ظل الملابسات الصعبة، ازداد استخراج النفط في عام ١٩٩٠، إلى ٨,٥ ملايين برميل يوميا، أي أكثر بحوالي٣ ملايين من الكمية التي قررتها الاوبيك، وبلغ متوسط الاستخراج على مدار العام ٦,٢ ملايين برميل). تاريخ العربية السعودية. فاسلييف. ص ٦٥٠

لم يكن فهد يستطيع إقصاء ولي العهد عبدالله، فهمشه، وأعطي منصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء لسلطان، الأخ الشقيق لفهد، وأعطي سلطان أيضا مجموعة كبيرة من المناصب الهامة في ذات الوقت، فصار النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، ورئيس اللجنة العليا للإصلاح الإداري، ورئيس مجلس إدارة الخطوط الجوية العربية السعودية، وترأس في الوقت نفسه عدد من اللجان والجمعيات فيٍ حين أنَّ أخوهما الشقيق نايف عين وزيرا للداخلية، وصار في الوقت نفسه رئيسا للمجلس الأعلى للدفاع المدني، ورئيسا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وغير ذلك من المناصب، التي كان تجمعها بيد سلطان ونايف، يعكس مدى الاعتماد الكبير عليهما من قبل فهد في إدارة شؤون الدولة، مقارنة بتهميش ولي العهد الذي احتفظ برئاسة الحرس الوطني، ورئاسة نادي الفروسية.

في ذلك الوقت، بدا واضحاً أنَّ فهد كان يقود الوهابية الإمامية على خطى فيصل في حين أن عبدالله كان يقود الوهابية الوطنية، على خطى سعود، فهو يتصرف كإمام وهابي مطلق الصلاحيات، ويعمل على تقوية وتمكين علماء الوهابية، وحلفاؤه من آل السديري وغيرهم في حين أن عبدالله يكتفي بالاحتفاظ بموقعه كولي للعهد ورئيس للحرس الوطني، ثمَّ بدأ التنافس بين رؤوس السلطةٍ يتحول إلى صراع مكشوف على المناصب، عندما تم تعيين خالد سلطان قائداً للقوات العربية في حرب الخليج، ففي ذلك الوقت تمت ترقية خالد سلطان ترقية استثنائية

بأمر ملكي، ليحمل رتبة عسكرية عالية تؤهله للعمل مع قائد القوات المشتركة، الجنرال الأمريكي نورمان شوارسكوف،فطلب عبدالله ترقية استثنائية لابنه متعب أيضا، لأنه أقدم من خالد سلطان على ما يبدو، وحصل عليها.

وفي السنوات الأخيرة من حكم فهد، تم نقل سلطات الملك - أو كثير منها - إلى ولي العهد. وحدث أن تعرض عبدالرحمن السديري أمير منطقة الجوف لحادث سير، جعله عاجزٍ عن القيام بأعمال أمير المنطقة، فتمَّ عزله وتعيين الأمير عبدالإله عبدالعزيز، أميرا لمنطقة الجوف، وقد نتج عن هذا التعيين صدام مستمر بين وزير الداخلية نايف، وهو أحد أركان الإمامية الوهابية، والأمير عبدالإله الذي كان معروفا بأنه من الوهابية الوطنية؛ وقد سبق له أن كان أميرا لمنطقة القصيم في تسعينات القرن الماضي. وعندما حدثت المظاهرات في القصيم آنذاك، منع قوى الأمن من التصدي للمتظاهرين الذين توجهوا إلى قصره لتسليمه رسالة إلى الملك. كان نايف يصر على قمع المتظاهرين، ولكن عبدالإله قال له بحسب ما أشيع في ذلك الوقت، هؤلاء جاءوا إلى قصري لمقابلتي ولا علاقة للقوى الأمنية بالأمر ما لم أطلب أنا ذلك. إلا أن موازين القوى كانت تميل بقوة لصالح الوهابية الإمامية، وفي النهاية تم إعفاء عبدالإله من مهام أمير منطقة القصيم.

لذلك، فعندما تم تعيين عبدالإله أميرا لمنطقة الجوف، استمر في الدفاع عن سلطاته كأحد أبناء عبدالعزيز، ورفض الرضوخ لسياسات نايف الداخلية. ولأن منطقة الجوف من المناطق الأشد تهميشا في البلاد، فقد تفاجأ عبدالإله بسوء أحوال الناس وضعف الاعتمادات المالية للمنطقة في الميزانية العامة للدولة؛ وبدأ يطالب برفع الاعتمادات المالية للمنطقة، ولكن سلطان ونايف كانوا يعارضون ذلك بشدة، ويرفضون إطلاع الملك على خطابات إمارة المنطقة، فجمع عبدالاله أعيان المنطقة وطلب منهم الذهاب إلى الرياض ومقابلة الملك، لعرض أحوال المنطقة، فقام نايف بزيارة غير معلنة في الإعلام لمنطقة الجوف، وغادر بنفس اليوم إلى أوروبا، وقيل في ذلك الوقت إن نايف جاء يهدد عبدالاله فوقع بينهما

شجار، فتدخل فيه حرس كل منهما، ونتيجة لتلك المشاجرة كسرت يد نايف، وغادر إلى أوروبا للعلاج حتى لا يدخل مستشفى محلي فيشيع الخبر. واقعة المشاجرة لم يتم التأكد منها، إلا أنَّهُ تمَّ إعفاء عبدالإله من مهام أمير منطقة الجوف، بعد زيارة نايف المفاجئة لمنطقة الجوف - وهذه معلومات مؤكدة —، وهي تؤكد مع واقعة سفر نايف المفاجئ لأوروبا مدى شراسة المواجهة بين الوهابية الإمامية والوهابية الوطنية، في آخر عهد فهد.

الوهابية الإمامية لا تؤمن بالدولة، ولا تعترف بالقانون، فالملك عندهم إمام يحكم جماعة الوهابيين ويرعاهم، أما باقي أفراد الشعب من غير الوهابيين، فعبيد أو عتقاء في أفضل الأحوال، ولهؤلاء يقولون - أخذناكم بالسيف - كلما رفع أحدهم صوتاً بالشكوى أو المطالبة؛ ومؤسسات الدولة عندهم كما ظهرت في ممارساتهم منذ عهد فيصل، مجرد مظاهر شكلية فرضتها الحاجة للانضمام للأمم المتحدة، والحصول على الاعتراف الدولي، والقانون بالنسبة لهم، ليس سوى نصوص تطبق - أو تعلق - حسب توجيه - ولي الأمر -. يعتقدون أن دولتهم لم تنشأ إلا في ضل الحروب، ولا يمكن لها أن تستقر وتستمر إلا في ظلِّ الحروب؛ غزاة يعملون على إضعاف كل من حولهم من الأمم والشعوب والدول، ويسعون وراء الغنائم كحق أقره لهم محمد ابن سعود ومحمد ابن عبدالوهاب، ولذلك فإن حروبهم إقليميا، وسطوهم المسلح في الداخل عقيدة ومنهج حياة، وليست سياسة تستند لمعطيات واقعية، ولهذا السبب كان يتوجب على عبدالله بن عبدالعزيز بعد أن أصبح ملكا، أن يتمتع بشجاعة كبيرة ليقوم بزيارة لمنطقة الجوف، لأن سلطان الذي كان وزيرا للدفاع، ونايف الذي كان وزيرا للداخلية، وبندر بن سلطان الذي كان يرأس أجهزة المخابرات، أشاعوا وجود مؤامرة لاغتيال عبدالله أثناء زيارته لمنطقة الجوف، وذلك لمنعه من القيام بزيارة المنطقة، التي يريدونها مهمشة ومحرومة إلى الأبد، ومعلوم أنه لا يستطيع أي مسؤول حكومي، أن يتجاهل تأكيد جميع الوزارات المعنية، والمؤسسات الأمنية بوجود مخطط لاغتياله، لأن هذا الإجماع يعني وجود مؤامرة حقيقة، أو أنه تهديد من تلك

المؤسسات، بأنها ستغتاله إن ذهب إلى هناك ولكن عبدالله كان يعرف أن تحذيراتهم غير حقيقية، وأن تقاريرهم كيدية مزيفة. فأخذ قوة عسكرية كبيرة لحمايته، وأتم زيارته للمنطقة رغما عنهم.

لم تكن زيارة عبدالله لمنطقة الجوف هي الأولى له في أرجاء الوطن، لتلمس حاجات الناس والتعرف على الواقع. فقد سبق له عندما كان وليا للعهد، أن زار الأحياء الشعبية في الحجاز، واطلع على مدى البؤس الذي يعيش فيه فقراء البلد، وسوء أحوالهم المعيشية، وبعد أن صار ملكا، ظهر للجميع في الداخل والخارج، أنه يسير على منهج سعود وخالد، والوهابية الوطنية عموما.

تولى عبدالله عبدالعزيز مهام الملك يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/٢م، واستمر بذلك حتى ٢٠١٥/١/٢٣. وهي مدة تقل عن عشر سنوات، ولكنه أنجز خلالها من مشاريع التنمية ما لم يكن يعتقد أحد بإمكانية تنفيذها مجتمعة، وفيما يلي سرد مختصر لأهمية تلك المنجزات:

١ ـ قطار الحرمين. قطار ينقل الحجاج والمعتمرين والمسافرين بين جدة/مكة المكرمة. وجدة/المدينة المنورة.

٢ ـ قطار المشاعر المقدسة. قطار ينقل الحجاج بين مشعر منى وجبل عرفات.

٣ ـ قطار سار. قطار لنقل الركاب والبضائع بين الرياض والقريات، مرورا بالقصيم وحائل والجوف.

٤ ـ قطار نقل الفوسفات: قطار نقل الفوسفات بين حزم الجلاميد بالقرب من عرعر إلى موانئ التصدير على ساحل الخليج العربي.

علماً أن جميع هذه القطارات تم تأسيسها من الصفر، وهو ما يتضمن مد خطوط السكة الحديدة بعدة آلاف من الكيلومترات، وشراء عربات نقل الركاب وعربات نقل البضائع.

٣ ـ مشروع التعدين العملاق في حزم الجلاميد (وعد الشمال) الذي تتجاوز قيمة

الاستثمارات فيه ٨٠ مليار ريال.

٤ ــ استحداث ٦٠ ألف وظيفة بوزارة الداخلية.

٥ ــ إنشاء ١٧ جامعة جديدة بكل مبانيها وتجهيزاتها الكاملة.

٦ ــ إنتاج أول سيارة محلية الصنع أطلق عليها اسم (غزال١). وهي سيارة رباعية الدفع، تم تصنيعها محليا، وعرضت في وسائل الإعلام، ثم انقطع خبرها بعد ذلك.

٧ ــ إنشاء مدينة الملك عبدالله الاقتصادية على البحر الأحمر.

٨ ــ إنشاء جسر الجمرات متعدد الأدوار.

٩ ــ مشروع النقل العام بالرياض، الذي يتكون من شبكة خطوط قطارات كهربائية (مترو)، وشبكة خطوط حافلات.

١٠ ــ ساعة مكة المكرمة.

١١ ــ أكبر توسعة للحرم الملكي في التاريخ الإسلامي.

١٢ ــ بعث ٢٠٠ ألف طالب وطالبة للدراسة في الخارج.

١٣ ـ النقل المدرسي. وهو عبارة عن عدة آلاف من الحافلات الكبيرة (باصات) لنقل الطلبة والمعلمين إلى المدارس والجامعات، في جميع أنحاء البلاد.

١٤ ـ المنشئات الرياضية المتكاملة: أمر عبدالله بإنشاء إستاد رياضي متكامل في عاصمة كل منطقة إدارية. ولكن هذا الأمر لم ينفذ في جميع المناطق،

فحرمت المناطق المهمشة من هذه المنشئات، التي تستخدم في الألعاب الرياضية،

ولكنها مهمة جدا أيضا لإقامة الاحتفالات والفعاليات الجماهيرية.

١٥ ـ وزارة الإسكان. أنشأ عبدالله وزارة للإسكان لحل أزمة السكن المتفاقمة، ورصد لها موازنة ضخمة. إلا أن الوزارة فشلت بتنفيذ أية مشاريع مهمة، لأن أزمة السكن كانت ومازالت أزمة مفتعلة. كانت العقبة التي واجهت الوزارة هي عدم وجود أراضي داخل النطاق العمراني للمدن. وسبب ذلك، هو أن الوهابيين الإماميين الذين يسيطرون على قطاع العقار، رفضوا بيع أراضيهم للوزارة، وطالبوا بعدم تدخل الحكومة في سوق العقار، وأن تقدم لهم الوزارة قروضا ومساعدات، لينفذوا مشاريع تطوير عقاري خاصة، وأن تقدم الحكومة قروضا ومساعدات للمواطنين، ليشتروا مساكن من المطورين العقاريين، وهذا ما تمَّ فعلاً في عهد سلمان، حيث تم الغاء وزارة الإسكان وتوجيه الناس للاقتراض من البنوك التجارية، وبناء المساكن أو شراء مساكن جاهزة من السماسرة والمطورين العقاريين.

القسم الثالث: سلمان

عندما مات فهد، لم يعد بين سلطان - الذي أصبح وليا للعهد - وبين أن يصبح ملكاً إلا موت الملك عبدالله. ولكن الله أراد أن يموت سلطان فيصبح نايف وليا للعهد، ومات نايف أيضا قبل أن يموت الملك عبدالله. في تلك اللحظة كان قد بقي من أشقاء فهد الذين يسميهم بعض الباحثين (السديريون السبعة)، عبدالرحمن وأحمد وسلمان وسطام. كان عبدالرحمن نائبا لوزير الدفاع، وقيل إن العائلة لم تدعم تعيينه وليا للعهد لضعف شخصيته، فدفع له مبلغ كبير من المال فتنازل عن ولاية العهد، وكان أحمد نائبا لوزير الداخلية، وتم تعيينه وزيرا للداخلية بعد موت نايف. وعندما تعرض جنود حرس الحدود للقتل بعملية وقعت في الجنوب، تم إعفاؤه من الوزارة، وهذا يحرمه تلقائياً من أي عمل حكومي آخر، ومات سطام فلم يبقى من أشقاء فهد الستة سوى سلمان.

عين الملك عبدالله وزير الدفاع آنذاك سلمان وليا للعهد، وعين مقرن وليا لولي العهد. فلما مات عبدالله وصار سلمان ملكا، كان سلمان ضعيفا جدا. لأن الوهابية الإمامية كانت قد تلقت عدة ضربات قاسية، وسلمان نفسه لم يشغل أي منصب وزاري من قبل. وبالكاد يعرف شيئا عن إدارة الدولة.

ومع ذلك أراد أن يسير على خطى (الأئمة الكبار)، عبدالعزيز وفيصل وفهد فأطلق ما سماه حملة مكافحة الفساد، والتي هي في حقيقة الأمر حملة القضاء على الوهابية الوطنية في مؤسسات الدولة، وهؤلاء هم الذين عينهم عبدالله في المناصب الهامة، أو لهم علاقة مصاهرة أو نسب مع الملك عبدالله.

أعفى سلمان ولي العهد مقرن من مهام منصبه، وعين محمد بن نايف وليا للعهد، ثمَّ عزل ولي العهد الجديد ـ محمد بن نايف ـ وأعفاه أيضا من منصبه كوزير للداخلية، ثمَّ أطلق رؤية إصلاح اقتصادي سماها رؤية ٢٠٣٠، والتي تم اعتبارها مبررا لتنفيذ عملية سطو مسلح جديدة على جيوب الناس. فمنع التعيين على

الوظائف الحكومية وألغيت العلاوات والبدلات والترقيات، وفرضت ضرائب على السلع والخدمات لأول مرة في البلاد الوهابية. ألغيت كذلك المشاريع وتم خفض النفقات الحكومية بشكل حاد. وابتكر سلمان أسلوبا جديدا للسطو المسلح، فألغى قروض الصندوق العقاري وسلم المواطنين الذين يطلبون قروضا عقارية إلى البنوك التجارية، ولما اعترض بعض الناس وأقاموا دعاوى قضائية، تم منحهم قروض من الصندوق العقاري لإسكاتهم، ولكن غالبية المقترضين تم تسليمهم للبنوك التجارية، وصارت البنوك التجارية تقرض المواطنين بفوائد، وتقنعهم بأخذ الحد الأعلى للقرض، على اعتبار أن الحكومة هي التي ستتحمل الفوائد. ولكن ما يتم تطبيقه عمليا مختلف عن هذه المزاعم. فصار المقترض يدفع أقساط القرض كاملة، ومعها أقساط الفوائد أيضا. ثم يتقدم المقترض فيما بعد بطلب إلى الحكومة لتتفضل بتحمل فوائد القرض، وهكذا تكون هذه الخدعة القذرة، أكبر عملية سطو مسلح في تاريخ البلاد، لأن ما ستسرقه الحكومة والبنوك من المقترضين بهذه الطريقة، لا يقل عن عدة مليارات من الريالات. والأسوأ من ذلك، هو أن الحكومة بهذه الطريقة تكون قد خالفت شروط العقد المبرم بين البنك والحكومة والمقترض، وأعطت لنفسها سلطة تحديد من يتم تحمل فوائد قروضهم، ومن الذين يتم حرمانهم من هذا الحق المقرر بعقد القرض. ومعلوم سلفا أن جميع المعارضين والمنتقدين للسلطة، وجميع أبناء المناطق المهمشة وجميع المشكوك بولائهم للوهابية، سيتم استبعادهم تلقائيا.

ويجب أن ننظر أيضا إلى دفع النساء دفعا لشراء السيارات، دون أي اعتبار لقدرتهن المالية، وحاجتهن الفعلية لشراء السيارات، في سياق السطو على أموال الناس. لأن مطلب السماح للمرأة بقيادة السيارة، هو مطلب شعبي واجتماعي تمليه ضرورات الحياة المعاصرة. فنحن هنا نتكلم عن مجتمع تنعدم فيه وسائل النقل العام، والحكومة فيه لا تضمن حدا أدنى من الأمن للمرأة في حال ركوبها بسيارة أجرة. ونتيجة لذلك فإن الرجل يقضي نهاره بالعمل كسائق للأسرة. يوصل الزوجة أو الأم والأخت إلى مدارسهن وأعمالهن في الصباح، ويعود لإحضارهن إلى

البيت في المساء. وقد يضطر للخروج من عمله أثناء النهار، ليوصل المرأة أو الأطفال للمستشفى أو لإنجاز بعض معاملات المرأة في الجهات الحكومية المختلفة. ثمَّ يخرج مجدداً في المساء لجمع حاجات البيت من الأسواق، وليست المرأة في هذه الحالة، أكثر سعادة من الرجل بقرار السماح للمرأة بقيادة السيارة.

إلا أن الفرق كبير وكبير للغاية، بين السماح للمرأة بقيادة السيارة، ودفع النساء دفعا لتعلم قيادة السيارات، وشراء سيارات جديدة تحديداً، ولفهم الأمور بشكل صحيح، يجب أن يتذكر القارئ أن قطاع استيراد وتجارة السيارات في المملكة، خاضع لاحتكار وكالات يملك قسم كبير منها الأمراء أو أقاربهم، بل إن شركة عبداللطيف جميل، التي تبيع آلاف السيارات سنويا لوزارة الداخلية بوجه خاص، شريك مساهم في شركة صناعة السيارات اليابانية "تايوتا".

فسلمان لم يسمح للمرأة بقيادة السيارة فقط، وإنما نظم حملة تسويق ضخمة لإقناع النساء بشراء السيارات، وتضمنت تلك الحملة الشريرة عروض تقسيط السيارات، وتكليف الجامعات بعقد دورات مجانية لتعليم الموظفات قيادة السيارة، وهكذا تظهر الصورة الكاملة، فقد تم تحييد الأسرة لسلب راتب المرأة العاملة. الجامعات تعلم المرأة قيادة السيارة، وشركات السيارات تبيع لها السيارات بالتقسيط، وليس مطلوبا أن تتشارك المرأة مع الأسرة باستخدام السيارة، أو السيارات التي تملكها الأسرة فعلياً، ولم يبقى إلا أن يقولوا في حملتهم التسويقية الشريرة "امتلكي سيارة جديدة لتكملي جمالك وأناقتك"!!.

ويعتقد كثير من الناس أن ولي العهد، الشاب الغر محمد بن سلمان هو من يحكم فعليا. ولكن هذا فهم خاطئ. وعلى الأرجح أن محمد هذا لن يبايع ملكا، لما ظهر من عدم خبرته. وضعف شخصيته. والصحيح هو أن سلمان بعد أن قضى

عمره في دهاليز إمارة الرياض، بعيدا عن العلاقات الدولية وأضواء الإعلام، لم

يجد في نفسه الكفاءة للعمل تحت الشمس، وآثر أن يختبئ وراء ابنه، وبشكل إجمالي يمكن تلخيص أبرز أعمال سلمان داخلياً وخارجيا حتى الآن، بالنقاط الآتية:

١ ـ مذبحة الأمراء.

من المعلوم أن الأسرة في المجتمع السعودي هي نواة المجتمع، وكل الأنظمة والقوانين السعودية تؤكد على هذه المسألة، نظراً لأهميتها في تكوين ووحدة المجتمع، ولصلتها الوثيقة بالثقافة الإسلامية والعربية، ولذلك فقد حافظ ملوك آل سعود من قبل، على حد أدنى من التظاهر بوحدة العائلة الحاكمة، وتماسك أفرادها حتى في أحلك الظروف والمواقف، ولم يحدث في تاريخ آل سعود منذ العام ١٧٤٤، أن قام أحد منهم بقتل أو اعتقال جماعي للأمراء والأميرات كما فعل سلمان، خلال السنوات القليلة من بداية حكمه وحتى الآن. فبدأ بعزل مقرن من ولاية العهد. وأقال وزير الحرس الوطني متعب. وحبس الوليد طلال، وعزل محمد نايف من ولاية العهد، ووزارة الداخلية. ثم أمر باعتقاله. وأخفى أحمد عبدالعزيز. ثم أقال قائد القوات المشتركة باليمن، ووجه له تهمة الفساد، وأحاله للتحقيق. أقال نائب أمير منطقة الجوف، ووجه له تهمة الفساد، وأحاله للتحقيق. واعتقل الأميرات، حتى استنجدت إحدى بنات الملك سعود بالرئيسالأمريكي، وناشدت الكونجرس الأمريكي لإنقاذ حياتها، نتيجة لظروفها الصحية ومنعها من العلاج.

٢ ـ تقريب أبناء فيصل وسلطان ، وتمكينهم من المناصب العليا بالدولة.

في الوقت الذي يتم فيه هدم وتعطيل مؤسسات الدولة، والتنكيل بالأمراء والأميرات من عائلة آل سعود، عاد للظهور إعلاميا بكثافة، تبعا لمنطق الحرب والغنائم، كل من بندر بن سلطان وتركي الفيصل، للحديث عن السياسة الخارجية للدولة، دون أن يكون لهما صفة رسمية، وتم تعيين عبدالعزيز بن تركي الفيصل وزيراً للرياضة، وتم تعيين فيصل بن خالد بن سلطان، أميراً

لمنطقة الحدود الشمالية. وتعيين ريما بنت بندر بن سلطان سفيرة للمملكة في واشنطن، وتعيين خالد بن بندر بن سلطان سفيراً للمملكة في لندن، بينما تم تعيين بدر بن سلطان أميرا لمنطقة الجوف، وعندما أساء هذا استقبال الملك عند زيارته لمنطقة الجوف، تم نقله وتعيينه نائباً لأمير منطقة مكة المكرمة.

٣ ـ هدم مؤسسات الدولة.

تم ذلك بضم بعض مؤسسات الدولة إلى بعضها الآخر، وإلغاء بعض منهاعلى غير هدى. وتعطيل عمل مؤسسات حكومية أخرى. وكان أكبر عمل قام به سلمان في سبيل تدمير مؤسسات الدولة، هو إقالة وزراء وقادة عسكريين ومسؤولين أكفاء، من مختلف الوزارات والمستويات الإدارية. ومن نتيجة ذلك، أن أصبحت الدولة تدار برجال ونساء ليس لديهم أية خبرة أو معرفة، بالمهام والأعمال التي يقومون بها. وكان من أبرز تلك التنظيمات العبثية، إلغاء وزارة التعليم العالي، وإلحاق المؤسسات التابعة لها بوزارة التعليم. وضم المؤسسة العامة للتقاعد، إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وإحالة قائد القوات المشتركة في اليمن للتقاعد، وتوجيه تهمة الفساد له. وهذا القرار وحده يكفي لتوضيح معنى العبثية في إدارة شؤون الدولة، وهدم مؤسساتها، فقائد القوات ليس مسؤولا عن الشؤون المالية ليتم اتهامه بالفساد المالي، ولو افترضنا جدلاً أنَّه فاسد، فالصحيح في هذه الحالة أن يتم طرده من الخدمة، ومحاكمته عسكريا، وليس إحالته للتقاعد. ثم إن إحالة ضابط ذو رتبة عسكرية عالية، وكان يقود عمليات عسكرية على قدر كبير من الأهمية لأمن الوطن إلى لجنة تحقيق مدنية، يكشف حقيقة أن من يديرون الدولة، لا يعرفون أن نظم الخدمة العسكرية في جميع أنحاء العالم، تمنع التحقيق مع العسكريين، أمام هيئات ولجان مدنية، لما قد يتسبب به ذلك من كشف لأسرار العمليات العسكرية الجارية، وتهديد لحياة الجنود المنخرطين في القتال مع العدو، فكيف بالتحقيق مع القائد العام للقوات المشتركة؟

ومن هدمهم لمؤسسات الدولة، تعطيل عمل هيئة كبار العلماء، ومنع أعضاؤها من التعليق على قرار إغلاق الحرمين الشريفين ومنع إقامة صلاة الجمعة والجماعة فيهما، كأحد الإجراءات التي اتُّخِذَتْ لمواجهة كوفيد ١٩، فبعثوا أولا وزير الصحة إلى هيئة كبار العلماء، ليطلب موافقة الهيئة على قرار منع إقامة صلاة الجمعة والجماعة في عموم مساجد البلاد، بما في ذلك الحرمين الشريفين، فاجتمعت الهيئة وأصدرت فتوى في ٢٠٢٠/٣/١٧ بالموافقة على منع إقامة صلاة الجمعة والجماعة في جميع مساجد المملكة، باستثناء الحرمين الشريفين، وما كان من سلمان إلا أن أصدر في ٢٠٢٠/٣/٢٣، أمرا ملكيا بفرض حظر تجول في جميع أنحاء البلاد، وهو ما يعني عمليا، إبقاء أبواب الحرمين مفتوحة، ومنع الناس من الوصول إليهما بحظر التجول، ولمنع أعضاء الهيئة من التعليق على هذا الأمر الملكي، قاموا بنفس اليوم ٢٠٢٠/٣/٢٣ بعزل إمام مسجد قباء الشيخ صالح المغامسي من الإمامة في مسجد قباء بالمدينة المنورة، ومنعه من الظهور في الإعلام، وذلك بحجة أنه نصح ولاة الأمور بإطلاق سراح بعض السجناء، كأحد الإجراءات المطلوبة لمواجهة كوفيد١٩، فكانت هذه رسالة تهديد حقيرة شكلاً ومضموناً لأعضاء هيئة كبار العلماء، مفادها أن مجرد توجيه النصح لولاة الأمر، أو التعليق على الأوامر الملكية المتعلقة بكوفيد ١٩ خاصة، سيعاقب عليه بالفصل.

ولم يكتفي سلمان بذلك، فعطل أيضا نظام تداول السلطة بين آل سعود، وهَدَمَ هيئة البيعة، وكان الملك عبدالله، قد وضع نظاما لتداول السلطة العليا ـ الملك، ولاية العهد ـ بين آل سعود، وأنشأ مؤسسة تجمع ممثلين عن أبناء وأحفاد عبدالعزيز، لتتولى مهمة اختيار الأصلح من أبناء عبدالعزيز أو أحفاده لتولي الملك، وقد فعل عبدالله ذلك بعد أن وقع التنافس بين أبناء عبدالعزيز على الملك، ومنافسة أحفاد عبدالعزيز لأعمامهم على العرش، بحجة ضرورة نقل الملك إلى جيل الأحفاد، وهكذا يكون تداول السلطة بين أبناء وأحفاد عبدالعزيز، صار مرتبطا بنظام تصويت ديمقراطي لتفادي وقوع صدام بين أبناء عبدالعزيز، أو بينهم

وبين أبنائهم، وهيئة البيعة في هذه الحالة هيئة ديمقراطية، يتم فيها التشاور والترشح والتصويت، لحسم الصراع على السلطة. إلاّ أنَّ سلمان تجاهل ذلك النظام بتعيين ابنه محمد ولي للعهد، ثم قام بتوجيه تهمة الفساد لبعض أعضاء الهيئة . متعب عبدالله بوجه خاص ، وأخفى رئيس الهيئة أكبر أبناء عبدالعزيز الأحياء، أحمد عبدالعزيز بعد أن استدرجه للعودة إلى البلد، و كان أحمد قد غادر البلد غاضبا، وأقام بالعاصمة البريطانية لندن بعد أن تجاهل سلمان هيئة البيعة، وتفرد بقرار اختيار ولي العهد.

٤ ـ دفع الاقتصاد المحلي إلى حافة الهاوية.

قرر سلمان بعد أن صار ملكا، أن يقوم بعملية سطو على أموال الناس كما فعل فيصل وفهد، فاتَّخذَ إجراءات اقتصادية متطرفة. فرض ضرائب على المبيعات، وفرض رسوم بلدية جديدة على المحلات التجارية، وزاد أسعار الكهرباء ووقود السيارات والشاحنات، وتذاكر السفر جوا؛ ورفع الرسوم الجمركية، واستبدل الدعم الحكومي للخدمات والسلع بمبلغ نقدي زهيد، يتم دفعه لفئات محددة فقط من ذوي الدخل المنخفض؛ وفرض رسوم مالية على الدراسة الجامعية، ورفع رسوم استقدام العمالة بما في ذلك العمالة المنزلية، وفي الوقت نفسه منع الترقيات والانتدابات والعمل الإضافي، وأوقف صرف البدلات والعلاوات، وألغى الامتيازات التي كانت ممنوحة للمسؤولين الحكوميين. وفي محصلة ذلك، أصبح المواطن السعودي عمليا، سواء كان يعمل في الحكومة أو القطاع الخاص، يستلم راتبه الشهري ليدفعه في التو واللحظة إلى الحكومةكضرائب ورسوم، وأقساط قروض للحكومة أو للبنوك.

مثل هذا الوضع كان يمكن للاقتصاد المحلي تحمله لمدة طويلة، في عهد فيصل أو فهد عندما كان عدد السكان قليل، ونصفهم أو أكثر من ذلك، من أبناء البادية والريف الذين يعتمدون في معاشهم اليومي على الصيد وإنتاج مزارعهم ودواجنهم وأنعامهم، ويقضون معظم أعمارهم في الصحاري والمراعي والأرياف

الهادئة، ومتطلبات الحياة بالنسبة لهم قليلة. أمّا اليوم، فإن حجم المبيعات اليومية في الأسواق المحلية يقدر بمليارات الريالات، يسلمها المستهلكون للأسواق مقابل السلع والخدمات التجارية المختلفة، التي تحتاجها الأسرة باستمرار ودون انقطاع أو توقف. وهذا يعني، أن أي توقف في حركة تدفق السلع والخدمات إلى المستهلك، سيؤدي لخسارة التجار مئات المليارات من المبيعات يوميا. وسيتحملون أجور تخزين لمدة أطول لبضائعهم؛ وسيفسد كثير من تلك البضائع في المستودعات؛ وستتوقف المصانع عن الإنتاج، وتواجه المنتجات الزراعية كساداً لا يمكن للقطاع تحمله، وهذه هي الهاوية، التي وضع سلمان الاقتصاد المحلي في مواجهتها.

عندما اتّخذَ سلمان هذه الإجراءات العبثية، صدرت تحذيرات متعددة من داخل البلد ومن خارجه، ولكن تلك التحذيرات لم تلقَ أذن تسمع، أو عقل يفهم، فاستمر العمل بهذه الإجراءات لعدة أشهر، حتى بدأت النتائج السلبية تظهر على ميزانية الدولة نفسها،لأنَّه عندما يعجز الناس عن شراء السلع والخدمات، فإن إيرادات الدولة من ضريبة المبيعات ستساوي صفر، وعندما يعجز الناس عن شراء المنتجات المستوردة، فإن إيرادات الدولة من الرسوم الجمركية، ستساوي صفر أيضا. وعندما يعجز الموظف الحكومي، والعامل في القطاع الخاص وصاحب العمل عن شراء الغذاء والدواء، لأنفسهم ولأبنائهم، فإن إنتاجيتهم ستساوي صفر أيضا.

وكما هو متوقع، بدأت البنوك بعد أشهر قليلة تتحدث عن أزمة سيولة، لأنَّه وبعد أن توقفت الأعمال والمصالح التجارية، وبعد أن خسرت حركة الأسواق نسبة كبيرة من حجمها الطبيعي، فإن حجم الأموال المتداولة في الأسواق، لم يعد يكفي لتغطية حجم الطلب على النقود، فوجدت البنوك نفسها عاجزة عن رد أموال المودعين لهم عند الطلب، ووجدت حكومة سلمان نفسها مضطّرةً للتراجعٍ عن إجراءاتها الاقتصادية، التي تسببت بهذه الأزمة، ولكنَّ التراجع كان محدودا، فأعيدت العلاوات والبدلات للموظفين الحكوميين، ولأنَّ هذا الإجراء المحدود لا يكفي لإنهاء الأزمة المالية، مع استمرار الإنفاق الحكومي الضخم على

المشروعات الترفيهية، التي أصرت الحكومة على تنفيذها في الصحراء القريبة من العاصمة الرياض، فقد لجأ سلمان للسحب من الاحتياطي العام للدولة، وخلال أسابيع قليلة فقط، بدأ وزير المالية يتحدث عن ضرورة فرض ضريبة على استخدام الطرق، لأن الاحتياطي العام للدولة لا يستطيع تحمل السحب الكبير والمتواصل منه، لفترة طويلة.

٥ ـ هدر موارد الدولة وتبديدها.

حوّلَ سلمان شركة أرامكو المملوكة للدولة، والتي تتفرّد بإنتاج النفط إلى شركة مساهمة، وباع جزء من أسهم الدولة فيها، ووضع عوائد بيع أسهم أرامكو وغيرها من مدخرات الدولة في مشاريع عملاقة، لم يرَ أحد من الخبراء الاقتصاديين أنَّها مفيدةٌ أو ناجحةٌ.

أحد أبرز تلك المشاريع، مشروع نيوم الذي لا يعرف أحداً طبيعته، فكلُّ ما قيل عنه أنَّهُ عبارة عن ولاية فيدرالية مستقلة إدارياً وهو مدينة للحالمين، ومنطقة استثمارية، وبيئته تشبه أفلام المخلوقات الفضائية، وقد تمَّ دعوة المستثمرين العالميين إلى مؤتمر للاستثمار في المشروع، وعندما جاء المدعوون من كل أنحاء العالم، سألوا محمد سلمان عن طبيعة المشروع، فقال لهم لا أعرف، فسألته مقدمة برنامج المؤتمر عن نيوم فقال هي مدينة للحالمين، فهم سيأتون ويصنعون المستقبل، ولأنَّ هذا السؤال مهم جداً بالنسبة للمستثمرين، فقد أعادت عليه السؤال بطريقة أخرى. طلبت منه أن يبين تصوره لمدينة نيوم، فقال هي مدينة من الجيل الرابع، ولا يمكن لنا أن نعرف كيف ستكون، وأخرج من جيوبه هاتفين نقالين جوالين، أحدهما قديم من هواتف الجيل الأول، والآخر جوال حديث من هواتف الجيل الرابع، وقال موضحاًإنَّ المدن مثل هذه الهواتف، وعندما ظهر الجيل الأول منها، لم يكن أحد يعرف كيف سيكون الجيل الرابع من الهواتف النقالة، وهكذا أدرك الحضور أنهم يستمعون إلى رجل لا يعرف ما الذي يتحدث عنه،

وهو يعرف أنَّهُ لا يعرف شيئاً عنه، فغادروا ولم يعودوا مجدداًعلماً أن كلام محمد سلمان في المؤتمر مسجل بالصوت والصورة، ومنشور على الانترنت لمن يريد أن يرى ما الذي كان يقوله.

ومن المشروعات الضخمة أيضا، مشروع القدية الترفيهي، ومشروع بوابة الدرعية، وهي مشروعات سياحية خصص لها مبالغ فلكية، ولا يحتاج المرء أن يجري دراسة جدوى، ليفهم أن هذه المشروعات تمثل هدراً وتبديداً لأموال الدولة، لأن موسم السياحة في العالم أجمع، هو فصل الصيف، وفي الصيف تصل درجة حرارة الجو في الظل بمدينة الرياض وما حولها إلى ٥٠ درجة مئوية، ولن يذهب أحدٌ للاصطياف بالرياض.

٦ ـ السماح للأطفال بالسفر إلى الخارج.

تم الإعلان عن السماح للأطفال بالسفر للخارج دون الحاجة لموافقة الأب أو رب الأسرة، وعندما تمَّ تنبيه الحكومة إلى أن هذا يعني تشجيعاً للأطفال على الهروب من أسرهم، ويسمح للمجرمين باستدراج الأطفال إلى الخارج لاستخدامه في جرائم كبيرة، تراجعوا وذكروا أن الأطفال دون سن ١٦ سنة، لا يسمح لهم بمغادرة البلد إلا بمرافقة أحد الوالدين، أو موافقة رب الأسرة، ولا ندري ما الذي استقر عليه الأمر بعد ذلك، لكثرة ما يصدر في عهد سلمان من قرارات وتنظيمات عبثية.

٧ ـ التبرؤ من الوهابية الدينية.

أعلن ولي العهد محمد سلمان أن الدولة تخلت عن الوهابية الدينية، ولكن هذه خدعة لأنَّ محمد سلمان ليس له صفة حتى يقرر شيء كهذا، فهو وزير دفاع، ووزير الدفاع لا علاقة له بالعقيدة الدينية للدولة والمجتمع، وهو رئيس مجلس الشؤون السياسية، وهذه الصفة أيضا لا تعطي له سلطة تحديد عقيدة الدولة والمجتمع، لأن هذا المجلس هو في حقيقة الأمر مجلس استشاري منبثق عن

مجلس الوزراء، أما بصفته وليا للعهد، فليس له الحق في عمل أي شيء أو قول أي شيء إلا كنائب للملك، ولأن الملك موجود، ولم يتنازل عن سلطاته لولي العهد، ولم يفوضه رسميا ببعض سلطاته، فليس له غير أن يجلس في مكتبه لقراءة الصحف، وحل الكلمات المتقاطعة فيها.

هذه خدعة كبيرة انخدع بها كثير من الإعلاميين، والسياسيين في الخارج. وهي أن سلمان شخص لا يحب الأضواء، ولا يعرف كيف يحاور الإعلاميين ويجيب على أسئلتهم، ولذلك قدم ابنه وولي عهده لصدارة المشهد الإعلامي الرسمي. ولكن هذا لا يغير من الواقع شيئاً، فلا يحق لولي العهد أو وزير الدفاع أو رئيس مجلس الشؤون السياسية، أن يقرر بشأن يتطلب البت فيه قراراً من مجلس الوزراء، أو أمرا ملكيا، وبما أنَّه لم يصدر مثل هذا القرار عن مجلس الوزراء، ولم يصدر أمرٌ ملكي بهذا الشأن، فستبقى العقيدة الدينية للدولة السعودية، عقيدة وهابية، ويكفي للتأكد من ذلك، ملاحظة أنه لم يصدر أي قرار أو توجيه رسمي، من أي مسؤول حكومي بإبعاد الوهابيين من المناصب الحكومية، أو منع بيع وتدريس مؤلفاتهم.

ثم أن هنالك سبب آخر للسماح لولي العهد بمواجهة الإعلاميين، و ترؤس بعض الوفود إلى الخارج، فهذا الشاب ليس له أية علاقة سابقة بالشأن العام، لا أحداً يعرفه فٍي الداخل أو الخارج، ولن يجد فٍرصة أخرى لمحاولة تقديم نفسه داخلياً وخارجياً، غير فرصة كون والده ملكاً، فهذه مخاطرة محسوبة، فقد يزل لسانه في بعض الأمور، فتصدر عنه تصريحات أو تصرفات خاطئة، ولكنها في جميع الأحوال لن تلزم أحدا بشيء. وإن كانت الدولة السعودية ستتخلى عن الوهابية الدينية يوما ما، فلن يكون ذلك في عهد سلمان. وكل ما يتطلبه الأمر لإغلاق دور السينما، أو منع النساء من قيادة السيارات مجددا، أمر ملكي يصدر في آخر الليل، ككل الأوامر الملكية في عهد سلمان.

ولا يختلف الحال في مجال السياسية الخارجية، وفيما يلي أبرز ما فعله سلمان خارجيا:

١ ـ دعوة الرئيس الأمريكي.

وجهت الدعوة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب لزيارة السعودية، وتم منحه صفقات تجاوزت قيمتها ٧٠٠ مليار دولار، بحسب ما ذكر في وسائل الإعلام. وتم الترويج في الإعلام المحلي تلميحا، إلى أن هذه المبالغ الخرافية هي ثمن لحرب أمريكية منتظرة على إيران، وموافقة أمريكية على غزو سعودي لليمن وقطر، إلا أن الرئيس الأمريكي أعلن بعد عودته إلى بلاده أنه لن يغزو إيران، ولكنه سينسحب من الاتفاق النووي مع إيران، ويفرض عليها عقوبات اقتصادية. ثم أشار مجدداً إلى أنه لن يغزو إيران، وإنَّ العقوبات الاقتصادية كافية لمنع إيران من تهديد جيرانها. وقال فيما يشبه الرد على مطالبته بغزو إيران. العقوبات تكفي، ومن يريد أن يغزو إيران فليذهب ويفعل ذلك بنفسه.

٢ ـ الحرب على اليمن.

شنت الحرب على اليمن بدعوى حماية الشرعية، وهي جريمة متعددة الأوجه، ولا يمكن وصف ما تعرض له اليمن من تدمير. أما فيما يخص حمايتهم للشرعية، فقد تم نقل الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي من صنعاء إلى عدن، ثم تم نقله مرة أخرى من عدن إلى الرياض، فلم يحموه في صنعاء، ولم يحموه في عدن بلٍ أخذوه إلى الرياض، وصار أسيرا عندهم لا يملك من أمر اليمن وأمر نفسه شيئًا، كما تؤكد مصادر الحكومة اليمنية ذاتها، وتكفي الإشارة إلى أن اليمن بعد سنوات الحرب المتواصلة، باتت توصف في تقارير الأمم المتحدة بأنها أكبر كارثة إنسانية في العصر الحديث.

٣ ـ التحالف العربي لدعم الشرعية باليمن.

أعلن عن تحالف عربي لغزو اليمن، بحجة دعم الشرعية، إلا أن الدعوة لهذا التحالف، لم تجد صدى، ولم يرسل قواته إلى اليمن مع السعودية، سوى الإمارات والسودان، وكانت صدمتهم كبيرة عندما رفضت مصر بوجه خاص، المشاركة بالعمليات الحربية في اليمن، وهذا فشل دبلوماسي يعكس تخبط السياسية الخارجية في عهد "الإمام" سلمان.

٤ ـ التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب.

بعد فشل الدبلوماسية السعودية في تسويق التحالف العربي لدعم الشرعية، أعلن بشكل مفاجئ عن تحالف إسلامي، لمحاربة الإرهاب بحسب ما جاء في الإعلان، وتمَّ ذكر أسماء دول بعينها، قيل إنَّها وافقت على الانضمام للتحالف. إلا أن كثيرا من الدول الإسلامية أعلنت أنها لا تعرف شيئا عن التحالف، ولا تدري ما هي أهدافه، ولا تعرف لمن هو موجه، لأن السعودية لم تخبرها بشأن هذا التحالف قبل الإعلان عنه. ثم اجتمعت قوات برية وجوية من دول إسلامية متعددة، وأجرت مناورة عسكرية ضخمة، بحضور عدد من رؤساء الدول الإسلامية. وبعد أن تم تنفيذ المناورة في المناطق الشمالية من المملكة، وقيل إنها أكبر مناورة عسكرية في التاريخ تجري على أرض الجزيرة العربية، عاد الرؤساء والقوات المشاركة إلى بلدانهم، ولم يعد أحد يتذكر ذلك التحالف. لأن كثير من الناس، لا يحبون أن يتذكروا فشلهم.

٥ ـ الحصار الغادر على قطر.

كانت النية المبيتة لدى سلمان هي غزو عسكري لدولة قطر، إلا أن المعارضة القوية والفعالة من المجتمع الدولي، وبعض دول الخليج ممثلة في دولة الكويت

وسلطنة عمان، تمكنت من منع تنفيذ المخطط العدواني. ولكن الجهود الخيرة التي بُذِلَت لثني سلمان عن عدوانه، لم تنجح بمنع مواصلة العدوان بطرق أخرى. فأغلق سلمان الحدود البرية مع قطر، مانعا حركة المسافرين وتبادلالبضائع. ومنع تحليق الطائرات القطرية من المرور بأجواء المملكة، ومنع المواطنين السعوديين من البقاء في قطر.

لقد وصف هذا الحصار بأنه ظالم، ووصف بأنه غير مبرر، ولكن الوصف الصحيح والقانوني له، هو أنه حصار غادر لأنَّ دولة قطر واحدة من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وهذه الدول مرتبطة باتفاقات ومعاهدات سياسية وعسكرية وأمنية واقتصادية شاملة، تجعل كل دولة من دول المجلس تأمن جانب الدول الأخرى في المجلس، وتعتمد عليها في تلبية حاجاتها العسكرية والأمنية والاقتصادية، وكان الحديث قبل بضع سنوات يجري عن تكامل اقتصادي وعملة موحدة، ولذلك فإن الحصار على دولة مثل قطر أو أية دولة من دول المجلس، لا يشبه الحصار على أية دولة أخرى. لأن الحصار على أية دولة من دول المجلس، هو غدر بمستأمن. غدر بجار أعطي الأمان، وعقدت معه اتفاقات ومعاهدات جعلت اقتصاده يرتبط ارتباط تكاملي مع الدول الأخرى بما فيها المملكة؛ وفي هذه الحالة، فإن الحصار الاقتصادي يعني عمليا منع الخبز عن المدنيين القطريين، ومنع الحليب عن أطفالهم، ومنع العلاج عن مرضاهم. وهذا المستوى من الانحطاط والوحشية، لا يليق إلا بوكلاء الحروب والسطو المسلحالإماميين. وعندما نقارن بين التدرج في فرض العقوبات الاقتصادية من قبل أمريكا على إيران، أو النظام السوري، مع الحصار المفاجئ والغادر على قطر، وعندما نقارن بين هذا الحصار الشامل والغادر، مع التدرج في فرض العقوبات الاقتصادية من قبل أوروبا على روسيا أو غيرها من الدول، فلا يمكن أن نصف هذا الحصار إلا بأنه حصار وحشي غادر.

٦ ـ الحرب النفطية مع روسيا.

هذه حرب أسعار النفط، التي حدثت في ظل جائحة كوفيد ١٩. وهذه حرب نفطية حدثت بعد عدة أشهر من ركود غير مسبوق في الاقتصاد العالمي، نتيجة لإغلاق الاقتصادي العالمي بهدف السيطرة على انتشار الوباء عالميا. وكان من نتيجة هذا الإغلاق للاقتصاد العالمي، أن انخفضت أسعار النفط إلى مستويات متدنية للغاية. ومع ذلك، فقد قررت الدولة السعودية في عهد سلمان أن تشن حربا نفطية بسبب خلاف مع روسيا حول حصص الإنتاج، فزاد سلمان كميات الإنتاج في ظل عدم وجود طلب على النفط أصلا، بسبب الإغلاق العالمي للاقتصاد. ونتيجة لزيادة المعروض من النفط في الأسواق العالمية، فقد انهارت أسعار النفط عالميا إلى مستوى لم تصل إليه من قبل أبدا، وهو أن سعر برميل النفط بات بالسالب، وهذا يعني عمليا أنّ بائع النفط صار هو من يدفع للمشتري، وليس العكس. وهذا يحدث لأن ناقلات النفط الضخمة كانت محملة بنفط لا يريد أحد أن يشتريه؛ وفي هذه الحالة، فإن مالك النفط الموجود في السفينة، سيستمر بدفع إيجار الناقلة إلى أجل غير معلوم، حتى يتم فتح الاقتصاد العالمي فيجد مشتري للنفط. وللتخلص من هذه الخسائر، يقوم مالك النفط بعرضه مجانا لمن يقبل بأن يدفع إيجار ناقلة النفط. وعندما لا يجد من يقبل بذلك، فإنه يعرض دفع مبلغ من المال، لمن يقبل بأن يأخذ النفط، على أن يتحمل هو دفع إيجارالسفينة. هذا الجنون لا يحدث، وما كان له أن يحدث، لولا أن أصحاب منهجية السطو المسلح قرروا شن حرب نفطية في ظل اقتصاد عالمي مغلق أصلا. ولم يتراجعوا عن جريمتهم الاقتصادية تلك، إلا بعد تدخل الرئيس الأمريكي، الذي طالبهم بخفض إنتاجهم من النفط، فأذعنوا خائبين.

٧ ـ الحرب على تركيا.

أخذت الحرب على تركيا في عهد سلمان وجوها متعددة، ففي مجال الإعلام حدث ولا حرج. وفي المجال الدبلوماسي، تعمل السعودية مع مصر والإمارات لصياغة قرارات الجامعة العربية، متضمنة إدانة لتركيا في كل مناسبة، وفي المجال العسكري، تقف السعودية دائما إلى جانب الطرف الذي يدخل في حرب أو توتر عسكري مع تركيا، ففي نزاع تركيا مع اليونان بشأن الحدود البحرية بين البلدين والمناطق الاقتصادية البحرية لكل منهما، انحازت السعودية إلى اليونان، واستقبلت مسؤولين يونان على غير العادة، وفي الحرب بين أذربيجان وأرمينيا، انحازت السعودية لأرمينيا، فيما يبدو أنه مناكفة لتركيا فقط. لأن تركيا دولة جارة لكل من أذربيجان وأرمينيا، ولها مصالح سياسية واقتصادية فيما يجري بين البلدين من نزاع حول إقليم ناغورنو كارباخ. أما السعودية، فلا ناقة لها ولا جمل فيما يجري هناك، والأهم من كل ذلك أن السعودية انحازت علنا للمسلحين الأكراد، الذين ينشطون ضد تركيا في شمال العراق وشمال سوريا. وفي المجال الاقتصادي تكررت المساعي لإضعاف العملة التركية في مناسبات مختلفة، حتى وصل الأمر إلى دعوة رئيس الغرف التجارية الوهابي لمقاطعة المنتجات التركية، في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يواجهها الاقتصاد العالمي، ومعه الاقتصاد التركي بسبب جائحة كوفيد ١٩. وزعمت الحكومة السعودية أن دعوة مجلس الغرف التجارية لمقاطعة المنتجات التركية، حملة مقاطعة شعبية ولا تعبر عن الموقف الرسمي.

وبخلاف ما يدعيه الإعلام السعودي المضلل، فإن هذه الحرب ليست نتيجة لمواقف الحزب الحاكم في تركيا، أو بسبب مواقف وتصريحات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. فيجب ملاحظة أنه تم تعديل المناهج الدراسية في السعودية، ووصفت الدولة العثمانية في المناهج الجديدة، بأنها دولة غازية. وهكذا وصفت تركيا في تصريحات المسؤولين السعوديين، ووصف العثمانيين بالمحتلين، وهذا موقف من الدولة التركية ذاتها، وليس موقف من الحزب الحاكم أو الرئيس الحالي.

ولأن كثير من المحللين يخطئون بالربط بين هذه العدوانية تجاه تركيا، وموقف تركيا الصلب من جريمة اغتيال جمال خاشقجي، فيجب لفت الانتباه إلى أن الجميع حتى الآن فيما يبدو، انصب اهتمامهم عند النظر إلى جريمة اغتيال جمال على ما حدث، ولم نسمع أحدا يفكر فيما كان سيحدث، أو ما الذي كان مخططا له أن يحدث.

ما يستدعي النظر إلى جريمة اغتيال جمال خاشقجي من هذه الزاوية، هو أن سبب ذهابه إلى تركيا المعلن غير منطقي، ولأن تحضير بديل لجمال يخرج من القنصلية، ليظهر وكأن جمال خرج منها بعد إتمام معاملاته في القنصلية، غير مبرر، فليس منطقياً أن يقوم أحد من الناس بمراجعة سفارة/ قنصلية بلده في الدولة التي يقيم فيها لإنهاء أية معاملة كانت، فتطلب منه السفارة/ القنصلية أن يذهب إلى سفارة/ قنصلية بلده في دولة أخرى. هذا ليس منطقيا، لأن جميع سفارات/ قنصليات أية دولة، تقوم بنفس الأعمال التي تقوم بها السفارات والقنصليات في البلدان الأخرى. وإذا اختفى أي إنسان بعد دخوله إلى سفارة/ قنصلية بلده، فليس من واجب الدولة التي يكون المختفي من مواطنيها، أن تقدم إثباتا بأن المواطن المختفي خرج من السفارة/ القنصلية. لأنه ما من أحد يحق له أن يسأل الدولة التي اختفى مواطنها، أين هو، وإن حدث سؤال من الدولة التي توجد السفارة/ القنصلية على أراضيها، فإن الجواب الكافي في هذه الحالة، هو مواطن لجأ إلى سفارة/ قنصلية بلده، ونحن قدمنا له الملجأ، ولا علاقة لكم بهذا الأمر. صحيح أن القانون الدولي يمنع احتجاز الناس في المقرات الدبلوماسية، ولكن الدولة التي توجد السفارة/ القنصلية على أراضيها، لن تستطيع في هذه الحالة إثارة أزمة دولية، خوفا من أن يكون المختفي موجود داخل السفارة/ القنصلية برضاه، ولهذا السبب تحديدا، يظهر أن المخطط كان يستهدف إثبات أن جمال خرج من القنصلية، لتحميل تركيا المسؤولية عن اختفاءه وصولا إلى فرض عقوبات دولية على تركيا، ومنع السعوديين من السفر إلى تركيا. ووجوه أخرى من الحرب، التي أريد تبريرها بـ (إخفاء تركيا لمواطن سعودي).

على كل حال، هم أصروا في البداية على الإدعاء بأن جمال خرج من القنصلية، وهذا يعني أنهم استمروا بتنفيذ المخطط الأصلي، بانتظار توجيهات جديدة من القيادة السياسية، وهذه الوقاحة تعني أن المخطط الأصلي ضد تركيا، لم يتم التخلي عنه، ولعل مقاطعة المنتجات التركية، أو الحملات الإعلامية المتواصلة، ليست سوى أدوات أخرى لتحقيق الغاية التي لم تتحقق باغتيال جمال وإخفاء جثته، ونسأل الله أن يحمي من شرهم، تركيا وقطر واليمن وليبيا وسوريا والعراق، وكل بلد عربي وإسلامي، وكل بلد مسالم لا يستحق مثل هذه الشرور والمكائد.

ملحق الفصل الثالث

أولاً: صورة نادرة تجسد عمق أزمة هوية الوطن كما يظهرها الصراع على السلطة، بين ملوك الوهابية الوطنية واخوتهم ملوك الوهابية الإمامية.



نشرت هذه الصورة مع تغريدة على الحساب الرسمي العام لوكالة الأنباء السعودية في موقع تويتر بتاريخ ٢٣ / ٢ / ٢٠٢١ ، وبحسب ما يظهر في نص التغريدة فإن خلفية الصورة أحد جدران مكاتب هيئة تطوير بوابة الدرعية. الصورة بذاتها تغني عن أي تعليق. ولكنني سأشرح لمن لا يعرفون تاريخ بلادنا من هم أولئك المعلقة صورهم فقط.

على يمين المشاهد ـ القارئ ـ عبدالعزيز. ثم بالترتيب أبنائه فيصل وفهد وسلمان. وهذا ترتيب غير صحيح للملوك الذين حكموا بلادنا بعد عبدالعزيز. فمن يظهرون في الصورة هم فقط ملوك الوهابية الإمامية من أبناء عبدالعزيز - فيصل وفهد وسلمان - والصحيح هو أن الذي خَلَفَ عبدالعزيز بالملك هو الملك سعود. والذي خَلَفَ فيصل هو الملك خالد. والذي خَلَفَ فهد هو الملك عبدالله. ولكن لأن هؤلاء ـ سعود وخالد وعبدالله ـ هم ملوك الوهابية الوطنية، فإن طمس آثارهم ومحو ذكراهم، معركة أخرى يخوضها ملوك الإمامية الوهابية، حتى على مستوى صور رسمية تعلق على حائط في مبنى حكومي.

ثانياً: هدم مؤسسات الدولة.

١ ـ س.إن.إن العربية ـ ٢٠١٥ /٤/٢٩ السعودية: إعفاء الأمير مقرن من منصبه وتعيين الأمير محمد بن نايف وليا جديدا للعهد.

٢ ـ تويتر/ واس الأخبار الملكية ٢٠١٧/٦/٢١ # أمر _ملكي: إعفاء صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود من ولاية العهد ومن منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ومن منصب وزير الداخلية.

٣ ـ وكالة الأناضول للأنباء ٢٠١٧/١١/٤ أمر ملكي بإعفاء الأمير متعب بن عبدالله وزير الحرس الوطني من منصبه.

٤ ـ فرانس٢٤ ـ٢٠١٧/١١/٢٩ الإفراج عن الأمير متعب بن عبدالله بعد احتجازه ثلاثة أسابيع (أفرجت السلطات السعودية الثلاثاء عن الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز بعد أكثر من ثلاثة أسابع على اعتقاله في عملية التطهير التي طالت نحو مائتي شخصية سياسية واقتصادية رفيعة المستوى. ويعتبر الأمير متعب الشخصية الأكثر أهمية على المستوى السياسي من بين المحتجزين.

٥ ـ بي بي سي نيوز عربي، ٢٠٢٠/٣/٧ احتجاز أمراء في السعودية: احتجاز ثلاثة من كبار الأمراء أبرزهم أحمد بن عبدالعزيز شقيق الملك.

٦ ـ الجزيرة.نت، ٢٠٠٢ /٩/١ بينهم قائد التحالف في اليمن... إقالة عدد من كبار مسؤولي وزارة الدفاع السعودية بتهم فساد: قالت وكالة الأنباء السعودية إن الملك سلمان بن عبد العزيز أصدر أوامر بإنهاء خدمة عدد من كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين في وزارة الدفاع وإحالتهم إلى التحقيق، أبرزهم قائد القوات المشتركة للتحالف السعودي الإماراتي باليمن الفريق الركن فهد بن تركي بن عبد العزيز آل سعود... ووفقا لوكالة الأنباء السعودية، فقد شملت الأوامر الملكية أيضا إعفاء الأمير عبد العزيز بن فهد بن تركي آل سعود -وهو نجل الفريق فهد ونائب أمير منطقة الجوف- من منصبه، وإحالته إلى التحقيق.كما تم إعفاء عدد من كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين في وزارة الدفاع وإحالتهم إلى التحقيق الذي ستتولاه هيئة الرقابة ومكافحة الفساد.

٧ ـ "الإخبارية. نت" ٢٠٢٠/٣/١٧ (كبار العلماء: إيقاف صلاة الجمعة والجماعة في المساجد

باستثناء الحرمين . قالت هيئة كبار العلماء إنها اطلعت في دورتها الاستثنائية اليوم على ما يتعلق بجائحة كورونا... واطلعت على التقارير الطبية.... المشمولة بإيضاح وزير الصحة لدى حضوره في هذه الجلسة... وما بينه من أنه ما لم تكن هناك تدابير احترازية شاملة دون استثناء فإن الخطورة ستكون مضاعفة.... وقد استعرضت هيئة كبار العلماء النصوص الشرعية... وبناء على ما تقدم فقد أوضحت الهيئة أنه يسوغ شرعا إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد والاكتفاء برفع الأذان، ويستثنى من ذلك الحرمان الشريفان...).

٨ ـ الجزيرة نت ٢٠٢٠/٣/٢٩ بعد تغريده حذفها واعتذر عنها.. إقالة الشيخ المغامسي من إمامة مسجد قباء بالمدينة المنورة.

٩ ـ خبرني ٢ - ٤ - ٢٠٢٠ حظر تجول شامل في مكة المكرمة والمدينة. أكد مصدر أمني مسؤول منع التجول في أرجاء مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة كافة على مدى ٢٤ ساعة يومياً، مع استمرار منع الدخول إليهما أو الخروج منهما، اعتباراً من اليوم الخميس وحتى إشعار آخر.

ثالثاً: هدر وتبديد موارد الدولة المالية.

١ ـ بي بي سي عربي ٢٠١٩ /١١/٣ السعودية تطرح أسهما في شركتها النفطية للبيع.

٢ ـ سي.إن.إن عربي ٢٠١٧/٥/٢١ ترامب يعلن صفقات بين السعودية وأمريكا تتجاوز ٤٠٠ مليار دولار.

٣ ـ الجزيرة نت ٢٠٢٠/١/١٢ ترامب: السعودية دفعت لنا مليار دولار مقابل قوات إضافية.

٤ ـ سبوتنك عربي ٢٠١٧/١٠/٦ أمريكا توافق على صفقة بيع أنظمة "ثاد"للسعودية بقيمة ١٥ مليار دولار.

٥ ـ إرم نيوز ٢٠١٩/١١/٢٠ افتتاح أسطوري لمشروع بوابة الدرعية التي انطلقت منها الدولة السعودية الأولى.

٦ ـ العربية.نت ٢٠١٩/١١/٢١ السعودية.. "بوابة الدرعية"مشروع سياحي بـ٦٤ مليار ريال

٧ ـ أورو نيوز عربي ٢٠١٨/٤/٢٩ السعودية تدشن مشروع القدية السياحي والترفيهي بمليارات الدولارات.

٨ ـ ن. بوست ٢٠٢٠/٦/٦ ٨ مليارات دولار في ٦ أشهر... عن هرولة السعودية للاستثمار في أمريكا (زاد الصندوق السيادي السعودي... من استثماراته الخارجية بصورة لم يشهدها من قبل، حيث بلغت قيمة أسهمه المدرجة في البورصات الأمريكية مع نهاية الربع الأول من ٢٠٢٠

قرابة ١٠ مليارات دولار مقارنة فقط بملياري فقط بداية العام، بحسب البيانات الصادرة عن لجنة الأوراق المالية والبورصات الأمريكية.... ففي ٢٠١٦ حصلت شركة "أوبر"على ٣,٥ مليار دولار من صندوق الاستثمار العام السعودي عام ٢٠١٦، في حين تلقت "تسلا"نحو ملياري دولار في ٢٠١٨، كما خصص الصندوق في العام ذاته ٤٥ مليار دولار لصندوق رؤية "سوفت بنك"بقيمة ١٠٠ مليار دولار، الذي أفاد عن خسائر بقيمة ١٨ مليار دولار بعد تدوين تقييمات العديد من أصوله.... ومن زاوية أخرى يتهم خبراء ألمان المسؤولين عن الصندوق السيادي السعودي بإهدار مليارات الدولارات من خلال الدخول في صفقات استثمارية فاشلة، واختيار الوقت غير المناسب لضخ تلك الاستثمارات، منددين ببيع الصندوق أسهمه في شركة تسلا الأمريكية التي تقدر بـ٨ ملايين سهم قبل بضعة أشهر، حيث عرضها ذلك لخسارة فادحة..).

٩ ـ عكاظ ٢٠١٧/١/٢٠ في «دافوس».. الفالح: نسعى للتقارب مع روسيا.. وصندوق تحوط عالمي ينصح بالاستثمار في المملكة. الخليفي: انتهاء أزمة السيولة في السعودية (أعلن محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي «ساما» أحمد الخليفي أمس (الخميس)انتهاء أزمة السيولة المالية التي تعرضت لها البنوك التجارية العام الماضي)

١٠ ـ عكاظ ٢٠١٨/٢/٢٢ السعودية تستثمر ٦٤ مليار دولار في الترفيه (أعلنت السعودية الخميس أنها ستستثمر ٢٤٠ مليار ريال ٦٤. مليار دولار . في قطاع الترفيه في السنوات العشر القادمة، على أن يتم جمع هذه الأموال من الحكومة والقطاع الخاص)

١١ ـ مجلة هي ٢٠١٨/٩/٣٠ إقامة النسخة الثانية من "بطولة المملكة للبلوت"ومضاعفة الجوائز (وجه رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للرياضة، المستشار تركي آل الشيخ، بتنظيم بطولة المملكة للبلوت على كأس الهيئة العامة للرياضة بنسختها الثانية، وذلك تحت إشراف وتنظيم الاتحاد السعودي للرياضات الإلكترونية والذهنية. هذا ولقد تم الإعلان عن مضاعفة جوائز البطولة لتصل إلى مليوني ريال سعودي...).

رابعاً: السطو على جيوب الناس.

١ ـ مكة ٢٠١٦/٩/٢٦ مجلس الوزراء يوقف العلاوات السنوية ويلغي بدلات ومكافآت ومزايا مالية.

٢ ـ نيوز.سي إن عربي ٢٠١٧/١٢/١٣ السعودية (تصحيح أسعار الكهرباء والبنزين والديزل ووقود الطائرات في العام ٢٠١٨). توضيح من المؤلف: كلمة (تصحيح) تستخدمها بعض وسائل الإعلام نقلا عن الإعلام السعودي المضلل، والمقصود (رفع) .

٣ ـ عكاظ٢٣ /٢/ ٢٠١٨ . بنوك تشكو من مطالبة حكومية بدفع "الزكاة" بـ"أثر رجعي" (... وفي الأسبوعين الماضيين، كشفت بضعة بنوك أن الهيئة العامة للزكاة والدخل تطالبها بمدفوعات زكاة إضافية عن سنوات تعود إلى عام ٢٠٠٢ . وفي بعض الحالات تتجاوز المطالبات نصف صافي الربح السنوي للبنك. وتطعن البنوك في هذه التقييمات. ولمٍ ترد الهيئة العامة للزكاة والدخل على رسالة بالبريد الإلكتروني أرسلتها رويترز تطلب تعقيباً. وذكر مصرف الراجحي في قوائمه المالية لعام ٢٠١٧ أن الهيئة أصدرت «الربوط الزكوية» للفترة بين ٢٠٠٢ و٢٠٠٩ بقيمة ٧٢٣ مليون ريال. وقال مصرف الإنماء إن انكشافه الإضافي على الزكاة في الفترة بين ٢٠٠٩ و٢٠١٥ بلغ ١,٦٦ مليار ريال أو نحو ٨٢% من أرباحه في ٢٠١٧. وأوضح بنك الرياض أن المطالبات الإضافية للفترة بين ٢٠٠٨ و٢٠١٣ جرى تقديرها عند ٣,٥٤ مليار ريال، وهو ما يمثل نحو ٨٩% من أرباح ٢٠١٧.)

٤ ـ دي دبليو ٣٠/١/ ٢٠١٩ بن سلمان ينهي حملته على "الفساد" باستعادة ١٠٠ مليار دولار (تحول فندق ريتز كارلتون بالرياض إلى "سجن ذهبي" لعدد من الأمراء النافذين في السعودية ضمن ما سمي بحملة "مكافحة الفساد" التي قادها ولي العهد السعودي محمد بن سلمان. السعودية أعلنت إنهاء الحملة اليوم باستعادة ١٠٠ مليار دولار.)

٥ ـ العربي الجديد ٢٠١٩/٧/١٤ غلاء أسعار الوقود في السعودية للمرة الثالثة منذ ٢٠١٨... أعباء معيشية جديدة.

٦ ـ الجزيرة.نت ٢٠٢٠/٥/١١ إجراءات مالية مؤلمة بالسعودية لإنقاذ موازنة البلاد من العجز.

٧ ـ الجزيرة.نت ٢٠٢٠/٦/١٠ بعد ضريبة القيمة المضافة.. السعودية ترفع الرسوم الجمركية على ٣٠٠٠ سلعة.

٨ ـ الحرة ٢٠٢٠/٦/١١ تقرير يحذر السعودية من "مشاكل ضخمة"بسبب الضرائب الأخيرة.

خامساً: الحرب على تركيا.

عندما وقع زلزال بحر ايجه الذي ألحق أضرار متوسطة بمدينة أزمير التركية، كان الإعلام السعودي يواصل التحريض على تركيا ومساندة اليونان بشأن ترسيم الحدود البحرية مع

تركيا، ودعم أرمينيا ضد أذربيجان (وتركيا الداعمة لها) بشأن الحرب في إقليم كاراباخ الأذربيجاني المحتل من قبل أرمينيا. وكانت الدعوة لمقاطعة المنتجات التركية مستمرة في

الإعلام السعودي، ووسائل التواصل الاجتماعي التابعة للحكومة السعودية. فلم يحدث زلزال أزمير تغيرا في الموقف السعودي من تركيا. ثم أعلن سلمان بعد أسبوع من وقوع الزلزال تقديم مساعدات "إنسانية" للمتضررين من زلزال أزمير. فلماذا حدث هذا التحول؟

لننسأل هل يعتقد سلمان أن الجرحى والمصابين، مازالوا ينتظرون مساعداته الطبية بعد أسبوع من إصابتهم. ولننسأل هل يعتقد أن المشردين من بيوتهم نائمون في العراء لمدة أسبوع، بانتظار الخيام التي تأخر بإرسالها. السؤال هو لماذا يوم الجمعة بعد أسبوع من وقوع الزلزال؟

الجواب هو أن النتائج الرسمية غير النهائية في الانتخابات الأمريكية، أظهرت يوم الخميس أن دونالد ترامب خسر الانتخابات، ولم يعد له أمل في الاستمرار بالرئاسة. وهذا يعني عمليا أن الضوء الأخضر الأمريكي الذي يسمح للسعودية بنشر الفوضى والحروب في الشرق الأوسط، انطفأ.

١ ـ الحرة ٢٠٢٠/١٠/٣٠ زلزال يضرب أزمير في تركيا.. وفيديو للحظات الأولى.
٢ ـ الخليج أونلاين الخميس، ٠٥-١١-٢٠٢٠ بعد ذهابه للقضاء.. هل سينجح ترامب في تجاوز بايدن؟

٣ ـ الأناضول٢٠٢٠/١١/٦أعلنت السعودية، الجمعة، عزمها إرسال مساعدات إلى متضرري الزلزال الذي شهدته ولاية إزمير التركية نهاية الشهر الماضي.

مستخلصات الدراسة

الدعوة الدينية الوهابية ليست أحد الموضوعات التي تبحث فيها هذه الدراسة، إلا أنَّ الوهابية الدينية ترتبط بالوهابية السياسية ارتباطا وثيقاً، فكان لابد من ملاحظة ما تثبته الوثائق والوقائع التاريخية، من أن الوهابية الدينية نشأت في ظل صراع استعماري، ووظفت الدين لتغليب طرف استعماري على الآخر، وأنها كانت منذ نشأتها، ومازالت دعوة للحروب الإقليمية، وسلب أموال الناس في الداخل، وهذا يبرر الاعتقاد بأن الوهابية الدينية، فسرت ومازالت تفسر النصوص الدينية، تفسيراً أقل ما يقال عنه أنه خاطئ، ومخالف للعقل والمنطق السليم.

ومن الملفت للانتباه أنَّ الوهابية بشقيها الديني والسياسي ـ وهي التي لا تتورع عن التنكر لما يصدر عنها ثم يتبين للناس أنه مخالف للكتاب والسنة، وإجماع المسلمين قديماً وحديثاًـ أصدرت نسخة من كتاب ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" وحذفت منها كل ما يؤخذ على الدعوة الوهابية، على اعتبار أنَّهُ (مدسوس في نسخ مزورة من الكتاب)، ومع ذلك، وجدنا ابن بشر يروي تفاصيل واقعة السطو المسلح على مدينة كربلاء العراقية بهذه التفاصيل، في حوادث سنة ١٢١٦(.. وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين. وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون، وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من أعتقد فيها على قبر الحسين. وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها قريب ألفا رجل).

تأمل في قوله (وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت)، لأن من المعلوم أن الوهابيين يكفرون أهل كربلاء، ولكن القتل هنا في الأسواق والبيوت، ولا تخلوا أسواق المدن قديماً أو حديثاً، من غرباء يتوافدون على الأسواق للبيع والشراء، وهنا قتل للناس في الأسواق والبيوت، وهذه بينة لا تقبل الشك أو التأويل،

أن الوهابيين ـ في الحد الأدنى ـ يتجاهلون في قتالهم قوله تعالىٍ (إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)، أو أن لهم فهم خاص لمعنى هذه الآية، والصحيح أنه يوجد في بعض نسخ كتاب ابن بشر، مجادلة من الوهابيين بأن هذه الآية، تعطي لهم الحق بقتل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، إذا (تبين لهم) بعد ذلك، أن من نطق بالشهادتين لم يرجع عن الكفر حقيقة، في حين أن دلالة الآية واضحة في منع قتل المُسَالِم، وإن لم يدعي الإسلام أصلاً.

الوهابية السياسية حملت بذور الصراع والانقسام، منذ لحظة ولادتها، لأنَّ اتِّفاق محمد عبدالوهاب ومحمد سعود، لم يكن محدوداً بزمان أو مكان حسب فهم "الشيخ"، في حينٍ أنه يتعلق بـ(نجد وعربانها) حسب تمنيات "الشيخ"، التي قالها لـ"الأمير". وأيضاً لأن الاتفاق لم يحدد العلاقة بين السلطة السياسية التي ستنشأ نتيجة لهذا التحالف، والسلطات السياسية التي كانت قائمة آنذاك، في نجد وجزيرة العرب، والعالم الإسلامي عامة. وهكذا يتضح أن الوهابية السياسية، عقيدة نفعية تقوم على تحالف بين "أمير" يحمي "شيخ" وأتباعه، مقابل أن يبرر "الشيخ" سلطة "الأمير" السياسية، التي جعلها هذا التحالف وراثية لنسل الأمير.

ولأجل أن تكتمل المأساة التاريخية، فإن العقيدة الدينية التي ترتبط بها هذه العقيدة السياسية، هي عقيدة دينية محافظة/سلفية، وبذلك فإن مجرد التفكير بتغيير أو تعديل صيغة التحالف بين "الشيخ" و"الأمير" ممنوع، وهكذا يكون من غير الوارد مطلقاً، أن يتم التوصل لاتفاق جديد بينهما، يسمح بتغيير أو تحسين نظرة الطرفين للشعب ـ الذي أعتبر في الاتفاق بينهما، أتباع لـ"الشيخ"، ورعية لـ"الأمير". حتى بعد أن صار الشعب أكثر علماً، وأقوى حجةٍ منهما معاً.

هذا المأزق الذي وضع "الشيخ" و"الأمير" بلادنا فيه، صار أيضاً مع مرور الأيام، مأزقاً لأحفاد "الأمير"، فمرة يعتمدون في تحديد من يتولى السلطة، نظام الانتقال الرأسي ـ من الأب لابنه ـ، ومرة أخرى يعتمدون نظام "اختيار الأصلح"، ولأن

الانتقال من نظام لآخر، يعتمد على موازين القوى ومنطق المغالبة، فإن عدم الاستقرار السياسي، صار سمةً لازمةً للحكم في بلادنا.

يضاف إلى ذلك أن الحرب والغنائم، من المرتكزات التي قامت عليها دعوة "الشيخ"، ولهذا السبب، فإنه كلما وصل إلى السلطة "أمير" مُسَالمٌ حليمٌ، ينبذ الحربَ والغنائِمَ، ويسعى لإصلاح أحوال البلاد والشعب، فإن أحفاد وأتباع "الشيخ"، يصطفون خلف حلفائهم من أحفاد "الأمير" وشركاؤهم المخاصمون لـ"الأمير" وينصرونهم، حتى لا يخسروا شيئاً من السلطة والغنائم، وهو الأمر الذي يفاقم الصراع والشقاق بين الوهابيين، ويزيد من تعمق حالة عدم الاستقرار السياسي، واتساعها.

ومن مستخلصات هذه الدراسة، أن الموارد الاقتصادية للبلاد، وفيرة وكافية لإحداث تنمية شاملة ومستدامة، في الدولة والمجتمع. إلاَّ أنَّ نظرة أتباع "الشيخ" وبعض أحفاد "الأمير"، لموارد الدولة على أنها غنائم يتقاسمونها، أو على أنها مال الله، الذي لا يجوز إنفاقه على غير "الجهاد"، في حروب إقليمية متواصلة لا تنتهي، جعلت التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا، تتوقف على وجود "أمير"يعترف بالدولة والمواطنة، ويؤمن بتقاسم السلطة والثروة مع الشعب.

تحقق هذا الشرط اللازم لحدوث التنمية في بلادنا، ثلاث مرات بعد موت عبدالعزيز. سعود وخالد وعبدالله، نقلوا بلادنا بمشروعاتهم التنموية إلى مصاف الدول الصناعية المتقدمة، بمعايير دول العالم الثالث، إلاَّ أنَّ فيصل الذي إنقلب على سعود وجاء بعده، وفهد الذي جاء بعد خالد، وسلمان الذي جاء بعد عبدالله، كان لهم رأي مختلف بتقاسم الثروة. ولم يكتفوا بحرمان الشعب من نصيبهم في ثروات بلدهم، بل عملوا على أخذ ما بأيدي الناس من المال، ولكل منهم في ذلك أساليب وطرق متنوعة. فيصل عدل سعر صرف الريال، وقتل القدرة الشرائية للريال، وألغى خطط سعود التنموية، بحجة أنه لم يجد في خزينة الدولة سوى ٣٠٠ ريا؛ ورواتب الموظفين التي ضاعفها خالد وعبدالله عدة مرات، استرد فهد

وسلمان كثير منها بالضرائب ورسوم الخدمات الحكومية. الجامعات التي أسسها سعود وخالد وعبدالله، وجعلوا الالتحاق بها مجاني، جاء سلمان ليفرض على الدارسين فيها رسوم، بحجة أن "الحكمة" تتطلب تنويع مصادر الدخل، وعدم الاعتماد على النفط كمصدر دخل وحيد.

إن منهجية السطو على ما بأيدي الناس، لا تمارس على الموظفين ومحدودي الدخل فقط، ففيصل أوقف المخصصات المالية لأبناء سعود، بحجة محاربة الفساد. وكان هذا ليكون فعل حسن لو أنه أوقف مخصصات جميع أحفاد عبدالعزيز، وليس أبناء سعود فقط. وفهد انتزع أملاك كبار الملاك العقاريين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحجة توسعة الحرمين الشريفين، وما كان هذا ليحسب من السطو على أموال الناس، لو تمَّ توزيع بعض الأراضي التي أصبحت تحيط بالحرمين بعد توسعتهما، على من نزعت أملاكهم. أما سلمان فقد أخذ رهائن من الأمراء وكبار رجال الأعمال بحجة محاربة الفساد، ولم يطلق سراحهم حتى أخذ من أموالهم ما أراد، وما كان هذا ليحسب من السطو المسلح، لو أننا وجدنا اسماً لأحد أتباع وشركاء "الشيخ"، بين الرهائن، وسيبقى ميناء حقل الذي أنفق عليه الغريض ما يقارب ١٠٠ مليون ريال، لجعله ميناء تجاري وصناعي متميز على خليج العقبة وتم إغلاقه، شاهداً على أن منهجية السطو، تُدمِّرُ كلَّ إنجاز ليس لـ أحفاد "الأمير" و"الشيخ" وشركاؤهم، يد أو رأي بتحقيقه.

ولا يختلف الأمر عند النظر إلى مؤسسات الدولة، والقوانين التي تصدر، فالمجالس البلدية تم تعطيلها في عهد فيصل، وبعد أن أعادها عبدالله، أعاد سلمان تعطيلها، ومن أغرب ما يمكن أن يراه الباحث، هو أن المنظمات الدولية كانت في عهد عبدالله تطالب بتعديل القوانين الجنائية، لتتوافق مع المعايير الدولية، ونتيجة لذلك، فقد أصدر عبدالله أمراً ملكياً بتعديل قرار مجلس الوزراء المتعلق بتسجيل السوابق الجنائية، ورد الاعتبار منها، وكان من أهم ما تضمنه التعديل، جعل السوابق الجنائية تسقط بقوة النظام (أي تلقائيا)، بعد مضي مدة محددة، وبشروط

محددة، وأن السوابق التي تسقط، تسقط نهائيا (كأن لم تكن)، وهذا هو المذهب القانوني الذي يتوافق مع معايير حقوق الإنسان المعاصرة، إلا أن هذا التعديل لم يرضي أتباع "الشيخ" وشركاؤهم من أحفاد "الأمير"، الذين يحتفظون بسجلات سوابق لكل مواطن في البلد، فهذا إرهابي وذاك متهم بالفساد هذا كان من الأمراء الأحرار، وذاك أيّدَ حركة جهيمان، هذا شارك بالمظاهرات ضد فيصل، وذاك شارك بالمظاهرات ضد فهد، هذا إخوان مسلمون، وهذه كانت تطالب بقيادة المرأة للسيارة...الخ.

ونظراً لأن الأمر الملكي في بلدنا، لا يجوز تعديله أو إلغاؤه إلا بأمر ملكي، ولأن شركاء أحفاد "الشيخ" من أحفاد "الأمير" لا يستطيعون تطبيق هذا الأمر، ثم إلغاؤه أو تعديله بعد موت عبدالله، لأن سجلات السوابق يجب إتلافها بحسب الأمر الملكي، فقد لجئوا لخدعة تكشف إلى أي مدى يمكن لهم أن يصلوا في تطبيق منهجية السطو المسلح، فبعثوا بخطاب إلى "مجلس الشورى" لطلب "تفسير" الأمر الملكي.،وهذا إجراء غير قانوني وغير صحيح، ولا يترتب عليه أية آثار قانونية صحيحة، لأن "مجلس الشورى" ليس له سلطة إصدار وتعديل وتفسير القوانين، والأوامر الملكية. ومع ذلك، فقد أصدر "مجلس الشورى" قراره رقم ١٦/١٦ وتاريخ ١٤٢٣/٤/٢٧هـ، والذي يقول بأن السوابق يجب أن تبقى، لتعرض على النيابة والقضاء عند الحاجة، ويمكن لو أردنا التوسع بسرد الأمثلة، أن نقدم نماذج متعددة، لهذا الشكل من أشكال السطو المسلح على الأوامر الملكية.

ومما كشفت عنه هذه الدراسة، أن الإدعاء بوجود "دولة" سعودية أولى، و"دولة" سعودية ثانية، إدعاء باطل، ودعاية سياسية مضللة، لأن من الثابت ثبوتاً يقينياً، أن جزيرة العرب كاملةً دخلت تحت السيادة التامة للدولة العثمانية، قبل ظهور الدعوة الوهابية في العقد الخامس من القرن الثامن عشر، وبقيت كذلك حتى بدأت السيادة العثمانية تنحسر عن جزيرة العرب على مراحل، منذ بداية القرن العشرين.

ثم إن السلطة التي أنشأها الوهابيون في جزيرة العرب، لم تمارس أي عمل من

أعمال السيادة، التي تقيم بينة على استقلال السلطة الوهابية، عن الدولة العثمانية، فهي لم تصدر بلاغاً رسمياً، يُعلمُ شعبها والدولة العثمانية والعالم، بانفصالها والمناطق التي بحوزتها عن الدولة العثمانية، ولا هي التي انتزعت حرباً، اعتراف عثماني باستقلال السلطة الوهابية، ولا هي وقعت معاهدات مع أية دولة في العالم بوصفها دولةً مستقلة، ولا هي التي سيطرت سيطرة فعليه مستمرة، على أية أرض وراء حدود "جنوب نجد"، المعروف باسم "العارض".

وينسحب هذا الحكم أيضاًعلى السلطة التي أقامها عبدالعزيز في العارض والقصيم والأحساء ببداية القرن العشرين، فتلك كانت سلطة محلية تحت السيادة العثمانية، بادئ الأمر، ثم وضعها عبدالعزيز تحت الوصاية البريطانية، بموجب معاهدة العقير، ولم تكن دولة، ولأن عبدالعزيز لم يعلن إنشاء دولة على الأراضي التي كانت بحوزته، عندما انحسرت السيادة العثمانية عن البلاد العربية في العام ١٩٢٤، فإن البداية الصحيحة والحقيقية لوجود الدولة السعودية، إنما كان في٢٥/١/١٩٢٦، عندما تم الإعلان عن إنشاء مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، وقد اعترفت آنذاك دول متعددة، بهذه الدولة كدولة مستقلة.

هنا أيضاً كشفت الدراسة أن عبدالعزيز لم يكن يعرف الفرق بين السلطة والدولة، فبريطانيا وقّعت معه معاهدة العقير ١٩١٥، كحاكم محلي تابع للدولة العثمانية، وليس كحاكم لدولة مستقلة، ولذلك، فإن تلك المعاهدة أُلغِيَتْ تلقائياً في العام ١٩٢٤، نتيجة لانحسار سيادة الدولة العثمانية عن الأراضي العربية، لأنَّ انحسار سيادة الدولة العثمانية عن الأراضي العربية، يُبْطِلُ تلقائياً جميع ما صدر عن الدولة العثمانية من تنظيمات وقرارات تتعلق بالبلاد العربية، وهذا الحكم ينسحب تلقائياً على المعاهدات أو الاتفاقيات، التي وقعها حكام البلاد العربية، عندما كانوا تابعين للدولة العثمانية، ما لم يتم الاتفاق بين أطراف الاتفاقية أو المعاهدة، على استمرار العمل بها، وهذا ما يفسر التردد الذي أظهرته بريطانيا قبل الاستجابة لطلب عبدالعزيز بإلغاء معاهدة العقير، وهو الطلب الذي قدمه

عبدالعزيز لبريطانيا، بعد الإعلان عن استقلال مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها سنة ١٩٢٦.

يقول أمين سعيد في كتابة تاريخ الدولة السعودية أن بريطانيا ترددت بالموافقة على طلب إلغاء المعاهدة، لأنها لم تكن تريد إلغاء المعاهدة، لتبقي دولة عبدالعزيز تحت حمايتها، إلا أن الصحيح هو أن بريطانيا ترددت، لأن المعاهدة ملغاة فعلياً بحكم الأمر الواقع منذ العام ١٩٢٤، نتيجة لزوال السلطة التي تعاهدت بريطانيا مع ممثل لها، وعندما قَدَّمَتْ بريطانيا لعبدالعزيز اقتراح توقيع معاهدة اعتراف متبادل بين الدولتين، أصر عبدالعزيز على إلغاء معاهدة العقير، فتمَّ توقيع معاهدة اعتراف متبادل، وتمت الإشارة في المعاهدة الجديدة، إلى أن معاهدة العقير ملغاة.

وأيّاً كان الرأي الصحيح حول الزمان الذي أُلْغِيَتْ فيه تلك المعاهدة، فإن بريطانيا وافقت على إلغاء معاهدة العقير، واعترفت بمملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها كدولة مستقلة، في عام ١٩٢٧. وكانت عدة دول قد اعترفت قبل ذلك، باستقلال مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، وهذه الدولة الّتي أُعْلِنَ عن إنشائها وتبادلت الاعتراف مع دول أخرى، لم تزول من الوجود ومن المجتمع الدولي، وهي ذاتها التي تم تبديل اسمها فيما بعد، ليصبح اسمها المملكة العربية السعودية، وتمّ تغيير نظام الحكم فيها من نظام ملكي فيدرالي، ليصبح ملكي وراثي فردي مطلق.

هذه التغييرات التي تم إدخالها على اسم الدولة، ونظام الحكم فيها، لا تؤثر على المعاهدات الدولية، والاعتراف المتبادل مع الدول الأخرى، ولهذا السبب فإن هذه الدراسة كشفت أن اعتبار سنة ١٩٣٢، هي سنة تأسيس الدولة السعودية القائمة حالياً، خطأ تاريخي يبين أن الجهل بالفرق بين السلطة والدولة، جهل متوارث ومازال مستمر حتى اليوم، وهذا أحد أسباب الصراع المستمر بين الوهابيين.

ومن المأمول أن تكون هذه الدراسة قد أثبتت، أن الاستبداد بالسُلّطَة والاستئثار

بالثروة من قبل الوهابيين، ممارسة سلطوية مرتبطة بالعقيدة السياسية لتحالف الشيخ والأمير، لأنه تحالف يستند ـ كما نص اتفاق الشيخ والأمير ـ على مفهوم الغزو والغنائم.

لقد كانت الفيدرالية قبل فرض نظام الحكم الملكي الفردي المطلق سنة ١٩٣٢، هي الخيار الشعبي، الذي عاهد عبدالعزيز الناس عليه في بلادنا؛ بل إنَّ عبدالعزيز نفسه، كان قد اقترح على الدولة العثمانية قبل ذلك، جعل بلاد العرب ولايات فيدرالية، تحت السيادة العثمانية؛ وقد أوردنا ما ذكره سعود ابن هذلول آل سعود، حول ذلك.

وإذا كنا نتجاهل في هذه الدراسة، الرد على الدعاية السياسية المضللة التي تستهدف إقناع الناس بأن الإتحاد الفيدرالي يعني تقسيم الدولة، فذلك لأن أمريكا وهي أقوى دولة في العالم، من حيث القوة الاقتصادية والعسكرية، دولة إتحاد فيدرالي؛ وروسيا التي هي أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، دولة ذات نظام حكم فيدرالي؛ كذلك فإن الهند وهي أكبر دولة ديمقراطية في العالم من حيث عدد السكان، نظام الحكم فيها نظام فيدرالي. بل إن جارتنا حديثة النشأة، الإمارات العربية المتحدة، دولة ذات نظام حكم فيدرالي. وقد أثبتت هذه التجارب المتعددة وغيرها من التجارب العالمية، أن نظام الحكم الفيدرالي هو أكثر نظم الحكم عدالة بتوزيع السلطة والثروة؛ وأفضلها من حيث تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي.

إن سبب الاعتقاد بأن الفيدرالية هي الحل الوحيد لحالة الاستبداد بالسلطة والاستئثار بالثروة التي تعاني منها بلادنا، هو أن هذه الحالة ناشئة عن عقيدة سياسية، أضفت الشرعية الدينية على الغزو والسطو المسلح بهدف السلب والنهب، لفرض إمامة وهابية متوهمة؛ وما من وسيلة أخرى لاجتثاث هذه العقيدة السياسية الإرهابية، واقتلاع جذورها من أرض بلادنا المقدسة، غير نظام حكم فيدرالي، يعيد للناس حقهم الأصيل بالمشاركة في السلطة والثروة.

المراجع

١ ـ مشروعية حلم. رواية. أمجد الجارالله.

٢ ـ ثلاثية المجتمع المدني. عبدالله الحامد.

٣ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد. ج١ . ج٢. عثمان بن عبدالله ابن بشر .

٤ ـ تاريخ العربية السعودية.اليكسي فاسلييف.

٥ ـ تاريخ ملوك آل سعود. سعود ابن هذلول آل سعود.

٦ ـ تاريخ الدولة السعودية. ج١ . ج٢ . ج٣.أمين سعيد.

٧ ـ إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى. ج١. د. محمد مرسي عبدالله.

٨ ـ الجوف . وادي النفاخ. عبدالرحمن أحمد السديري.

٩ـ التعليم في عهد الملك سعود عبدالعزيز آل سعود. دراسة أكاديمية.د.حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني.

١٠ ـ في شمال غرب الجزيرة. حمد الجاسر.

١١ـ تجنيس القبائل المتاخمة للحدود الأردنية السعودية. ١٩٢١ـ١٩٣٢.
د.خالدالمقصقص. نشرت هذه الدراسة على الانترنت كملف مستقل بهذاالاسم، وأصلها منشور في مجلة المنارة . المجلد٢٢ العدد٣/ب ٢٠١٦. من الصفحة ٣٥٩ إلى صفحة ٤٢٦.

١٢ـ منطقة تبوك في عهد الملك عبدالعزيز ـ دراسة جامعية ـ مطلق بن صَيّاح البلوي.

١٣ ـ الملك فيصل بن عبدالعزيز. محمد حرب.

١٤ـ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود. دراسة تاريخية وحضارية . نوال محمد عبدالغني خياط.

١٥ ــ تاريخ مصر الحديث. محمد عبدالرحيم مصطفى.

١٦ ــ رحلة إلى شمال الجزيرة. عبدالله جبرين.

١٧ ـ صحف ومواقع إلكترونية، ذكرت أسماؤها في متن الكتاب أو ملاحق الفصول.

فهرست

الفصل الثالث: أزمة الوطن بين ملك يبني وإمام يهدم